شؤون فلسطينية

١٠٥

آب (اغسطس) ١٩٨٠

شؤون فلسطينية

١٠٥

آب (اغسطس) ١٩٨٠

شؤون فلسطينية

١٠٥ آب (اغسطس) ١٩٨٠

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين

المحتويات

الصفحة

٣	زياد عبد الفتاح	**الديمقراطية والخوف من الديمقراطية**
٧	عربي عواد	**دلالات الانتفاضة الجماهيرية في الأرض المحتلة**
١٤	د . احمد صدقي الدجاني	**مسيرة الشعب الفلسطيني وآفاق الصراع العربي الاسرائيلي في الثمانينات**
٣٣	العميد سعد صايل	**عمل الثورة الفلسطينية العسكري وآفاق تطوره** (مقابلة اجراها المقدم الطيار حسين عويضة وفيصل حوراني)
٤٩	صبري جريس	**نهجان في العداء الاسرائيلي للعرب ...**
٧٢	عبد الحفيظ محارب	**نشأة التنظيمات الصهيونية المسلحة**
١٠٩	د . حسني محمود حسين	**بدايات شعر المقاومة الفلسطينية في مرحلة الانتداب**

١٣٣ **تقارير**

١ ـ القدس امام مجلس الأمن ، سليمان ابراهيم ؛
٢ ـ ندوة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الدولية... ، نهى تادرس

١٤٤ **ردود**

رواية « النقيض » و « التركيب » النقدي عند الدكتور حسام الخطيب ، أفنان القاسم

١٥١ **شهريات**

المقاومة الفلسطينية عسكريا ، المقدم الطيار حسين عويضة ؛

المناطق المحتلة ، ع. ح. م. ؛

العرب في اسرائيل ، محمد عبد الرحمن ؛

اسرائيليات ، مكرم يونس وحمدان بدر ؛

قضايا دولية ، سمير كرم .

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين ، للفنانة **ليلى الشوا**

المدير العام : صبري جريس * **رئيس التحرير : محمود درويش**

سكرتير التحرير : فيصل حوراني

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) رأس بيروت ـ لبنان ، ص . ب . ١٦٩١ ، تلفون التحرير والتوزيع : ٣٥١٢٦٠ ، برقيا : مرابحاث ، بيروت .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل . ل . في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل . ل . في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل . ل . في اوروبا ، ١٢٥ ل . ل . في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل . ل . في جميع الدول غير العربية .

زياد عبد الفتاح

الديمقراطية .. والخوف من الديمقراطية

مطلوب أن يكتب الكثيرون عن مؤتمر فتح الرابع الذي انعقد اواخر الشهر قبل الماضي ؛ فالمؤتمر فيه الكثير من الزخم والعديد من الدروس ، وفيه قراءات جديدة للواقع الفلسطيني والعربي والدولي ، ثم فيه ، ما هو أخطر من هذا وذاك ، إذ انه يمثل قفزة نوعية على طريق تكريس الديمقراطية التي اصبح الحديث عنها ، في الوطن العربي ، يدور ويتم همساً أو في غرف مغلقة ، كما أن المطالبة بها اصبحت محفوفة بالمخاطر ، وهي ، كما لا يخفى ، ضرورة ملحة في كل حال .

لذا لا بدّ ان تتعدد الرؤى وان تتوالى التحليلات والمناقشات والطروحات حول ما تمخّض عنه ذلك المؤتمر العتيد ، بغية ابراز الدروس المستفادة ، كي يفيد منها من يفيد ، في زمن وصل فيه العديد من الاحزاب والقوى السياسية العربية الى مآزقها ، وذلك حين انكفأت على تملق الفرد ، ومارست شللها القيادية الارهاب الفكري على القاعدة ، وعاث انتهازيوها فساداً في كافة مراتبها التنظيمية فدعوا ومارسوا وضغطوا من اجل تقديس الفرد ، وطرح كل ما يتعلق بالقيادة الجماعية جانباً ، وشنوا على الديمقراطية حرباً لا هوادة فيها ، قادت مع معطيات أخرى الى الهزائم المتتالية .

ولا اعتقد انني مقدم ، بقدر أو بآخر ، على الاستعانة بالنظرية ، لتحليل هذه الاحزاب والحركات والقوى السياسية العربية ،ورصد الظواهر التي لازمتها ، والامراض التي افرزتها . فذلك ، ليس هدف هذا المقال الذي نريد له ان يقتصر على معالجة قضية الديمقراطية داخل مؤتمر حركة فتح ؛ فالديمقراطية هي مطلبنا الأول ، اذ هي مطلب الانسان العربي الاكثر الحاحاً ، وحاجته اليها ، توازي حاجته الى خبزه اليومي ، فبدون الديمقراطية لن تكون كرامة ، ولن يتحقق ، مهما طال المدى ، أي نصر .

هل الديمقراطية في صلب حركة فتح ، وهل كانت ممارستها في مؤتمر الحركة الأخير ، افرازاً طبيعياً لهذه الحركة الوطنية الواسعة التي تضم كل من كان هدفه تحرير فلسطين وتحرير الانسان العربي ؟

لا أظن أن الاجابة عن هذا السؤال ، بوضوح ودقة ، أمر سهل دون الخوض في تحليلات ودقائق وتفاصيل يضيق المجال ، هنا ، عن ذكرها ؛ لكنني استطيع القول ان الديمقراطية قد تكرست داخل مؤتمر فتح ، وانه من المتوقع ان تتكرس ايضاً في واقع الحركة بفضل تنامي الوعي السياسي ، على الصعيد القاعدي في الحركة ، والذي « حبلت » به تسع سنوات فصلت ما بين مؤتمر ومؤتمر ، فكان هذا التنامي ، على صعيد المقاتل الرابض خلف بندقيته في اقصى الجنوب ، وكل المناطق الأخرى ، وعلى الصعيد العضو في التنظيم مفاجأة غير محسوبة وغير متوقعة

من هنا ، يمكن القول ، ولا تثريب في ذلك ، إن البعض لم يرق له هذا التنامي في الوعي الذي أدى الى ممارسة شاملة وواعية للديمقراطية ، مع ما تستتبعه هذه الممارسة من حرية للنقد تقود الى ردع المخالفات التنظيمية ومنع التجاوزات والقضاء على النفاق والانتهازية .

لن نناقش هذا البعض ، طويلاً وإنما سوف نعطي وقتاً أطول لأولئك الذين وقع في روعهم ، بوعي أو بغير وعي ، ان ممارسة الديمقراطية سوف تؤدي الى تعريض الوحدة الوطنية للخطر ، وان حرية القول والنقد تقود الى فرز للتيارات والاتجاهات المتعددة ، الامر الذي يؤدي ، غالباً ، الى شق الحركة الواحدة .

ولقد رفع هؤلاء ، خصوصاً من وعي الامر منهم ، سيف الخوف على الوحدة الوطنية في مواجهة شعلة الديمقراطية . ووصل الامر ببعضهم الى حد نعي الحركة والتبشير بنهايتها ، الأمر الذي انعكس قلقاً كاد يؤثر ، بشكل او بآخر ، على ذلك الجو الصحي الديمقراطي الذي ساد اعمال المؤتمر منذ البداية ؛ وكاد يؤدي بالتالي الى تعطيل الممارسة الديمقراطية ، لولا تسلح القاعدة بذلك الوعي المتنامي الذي تحدثنا عنه ، والذي عبّر عن نفسه بشكل رائع طوال المناقشات التي دارت اثناء أيام المؤتمر العشرة .

هل انعكست خلجات الخوف السائد ، أو بتعبير أدق التخويف السائد من الديمقراطية في الوطن العربي ، بحيث ان الكثير من المخلصين خالجهم ذلك الخوف ، لوقت ما ، من الممارسة الديمقراطية . واعتقدوا بما روجه اعداء « الديمقراطية للجماهير » ، من ان الديمقراطية تؤدي الى تقسيم الصفوف والى اضعاف الوحدة الوطنية ؟

انه تساؤل مشروع ، وهو تساؤل في موقعه ايضاً ؛ فنحن نعيش هذا الواقع العربي ، ونحمل بعض أمراضه ؛ فالارهاب الفكري الذي يسود فيه ينعكس ، في جزء منه ، على واقعنا ايضاً . وانه ، في احسن الاحوال ، يمكن القول ان التخويف السائد نقل الينا القليل او الكثير من الخوف ، الذي يمكن للبعض ان يقع في كمينه ، وفي الوقت نفسه يمكن للبعض الآخر أن يستثمره ، ويلوح به ، ليحقق ، من خلاله ، اهدافاً يسعى الى تحقيقها .

ولذلك يمكن القول ان بداية المؤتمر كانت ارتباكاً ، أو تعثراً لم يطل ، حيث ان الاغلبية الساحقة فيه حسمت امرها ، واختارت الممارسة الديمقراطية طريقاً لها ، فسقط التخويف ، وتراجع الخوف ، ومضت الامور الى نهايتها ، لتجعل من المؤتمر مفخرة واعتزازاً خاصاً يقدمه الشعب الفلسطيني لهذه المنطقة من العالم التي تسود فيها العديد من الديكتاتوريات ، ويتحكم

فـــي بعض أقطارها ، مزاج الحاكم الفرد ، محور كل شيء .

وإن كان لا بدّ من قراءة للنتائج ، حيث لا بدّ من تقييم الممارسة الديمقراطية التي نتحدث عنها ، فاننا نشير ، تحديداً ، الى النقاط التالية :

١ ـ امكن ، دون شك ، ومن خلال الجو الديمقراطي الذي ساد اعمال مؤتمر حركة فتح صيانة وحدة الحركة وتعزيز وتمتين أواصرها . الأمر الذي يدفع الى الاستنتاج ، دونما تردد ، بأن طريق الوحدة الوطنية انما يمر عبر الديمقراطية وعبر الحوار الديمقراطي ، وبدون ذلك فليس ثمة وحدة .

٢ ـ اسقط المؤتمر الادعاءات والذرائع التي لوح بها اعداء الديمقراطية في الوطن العربي ، طويلاً وكثيراً . والتي تمركز مضمونها في زعم واحد مفاده أن الديمقراطية تقسم الشعب وتمزقه شيعاً واحزاباً وتيارات .

ولم يسقط المؤتمر هذا الزعم فحسب وإنما أثبت صحة العكس ؛ إذ بالديمقراطية تجمع التيارات والاتجاهات ، ومن خلالها يتعايش الكل في واحد ، وتمضي المسيرة الى غايتها. فالديكتاتورية وحدها تقسم وتفرق ، وفي ظلها يتربى المنافقون ، وعلى هامشها يتعيَّش الانتهازيون ويرتزق المرتزقون ، وتحتدم الصراعات الفكرية والسياسية ، وتترعرع النزعات الاقليمية والقبلية .

٣ ـ استطاع المؤتمر ، بالممارسة الديمقراطية ايضاً ، ان يخرج متفقاً على برنامج سياسي وتنظيمي متقدم . مثّل القاسم المشترك لطموحات ووعي الاغلبية الساحقة ؛ ومن نافل القول أنه بدون الممارسة الديمقراطية ما كان لمثل هذين البرنامجين ، تحديداً ، والبرامج الأخرى ، عموماً ، ان تخرج الى دائرة الضوء .

وكي نخرج من العموميات الى قليل من التفصيل نقول : إن البرامج التي تحققت من خلال الحوار الديمقراطي ، خصوصاً البرنامج السياسي ، قد اربكت الخطط الاميركية التي وضعت على اساس النصائح والاوهام التي قدمها اعوان الولايات المتحدة الاميركية في المنطقة ؛ للادارة الاميركية ، والتي اشارت كلها الى أن تدجين الثورة الفلسطينية يسير في طريقه المرسوم ، وأن ليس عليهم إلا الانتظار ليقطفوا الثمار . ولقد أجاب مؤتمر فتح على هذا فبدد الأوهام التي وقعت في أذهان حكام واشنطن ، وكانت مفاجأة لهم لم يتمالكوا انفسهم أمامها ، فخرجت التصريحات وردود الفعل الاميركية ، بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من انتهاء اعمال المؤتمر ، لتعبر عن خيبة الأمل والغضب ، وأشياء أخرى نقرأها بين السطور وخلفها .

٤ ـ القت الديمقراطية على المؤتمرين مسؤولية كاملة تجاه كل الامور والقضايا والقرارات والبرامج التي جرى الاتفاق عليها . ويمكن تسمية هذه المسؤولية بالمسؤولية التضامنية ، التي يكون فيها الفرد مسؤولا عن الكل ، والكل مسؤولا عن الكل . ولم يكن الوصول الى مثل هذه المسؤولية التضامنية ممكناً في غياب الممارسة الديمقراطية ، فبدونها يلقي الواحد بمسؤوليته على الآخر ، والآخر على الآخرين ، وتصبح حماية المقررات والبرامج مسؤولية اختيارية . وهذا ما قصدناه ، قبل قليل ، بقولنا : ان الديكتاتورية او التفرد في

المسؤولية ، تؤديان ، بالتأكيد ، الى تصدع الوحدة الوطنية ، والى احتدام الصراعات الفكرية والسياسية وغيرها .

٥ ـ ان هذه التجربة الديمقراطية الرائدة ، التي كشفت حركة فتح عن ممارستها لها ، ضمن أرقى الأشكال والقوانين ، كان لها أكثر من وقع ؛ فهي ، على صعيد أنظمة الحكم الفردية المتسلطة ، تثير السخط والكراهية والحقد ، وقد تثير ما هو أكثر من ذلك ، المحاربة العلنية أو السرية من قبل مثل هذه الأنظمة . ان الذين يسجنون مواطنيهم في الغرف السرية المظلمة وفي الأقبية الرطبة ، ولا يسمحون بفتح نوافذ سجونهم على الهواء الطلق والشمس والخضرة اليانعة ، على الحرية . هؤلاء يعتبرون « روضة » الديمقراطية عدوى خبيثة ، يدفعون كل ما يملكون لاستئصال شأفتها ، وترتعد فرائصهم خيفة شيوعها في أقطارهم .

وهي على صعيد الجماهير المحرومة من شمس الحرية تثير الرعاية والاعجاب؛ فالشعوب المضطهدة المقهورة المغلوبة على أمرها تدرك اهميتها وضرورتها ، وليس من شك في ان اعجاب الجماهير ورعايتها ، أهم كثيراً من غضب الانظمة ، ذلك ان الجماهير هي مصدر قوة الثورة دائماً ، وهي محركها ووقود لهيبها . إضافة الى أن طموح الثورة الفلسطينية ، يتلخص اساساً في احداث التغيير الذي يقود ، دون شك ، الى تعزيز المسيرة ، والى امتداد الثورة في العمق العربي . الأمر الذي يقرب مسافة النصر ومسافة التحرر والتحرير .

بقيت نقطة أود الاشارة اليها قبل ان اختتم مقالي عن الديمقراطية .. والخوف من الديمقراطية . ففي بداية هذا المقال طالبت بأن يكتب الكثيرون عن المؤتمر العام الرابع لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح ، لعلمي واعتقادي بأن في هذا المؤتمر من الزخم والدروس ما يلفت الانتباه ويستحق عناء البحث والدراسة والتحليل .

والآن وبعد ان حاولت التطرق الى مسألة من اهم المسائل وأخطرهـا في وطننا العربي ، ألا وهي مسألة الديمقراطية .. والخوف منها . فانني أدعو بالحاح أكبر الى الكتابة . لكن ليس من منطلق التحيز الاعمى والعداء البغيض .

وقولي عائد إلى انني قرأت « فُتاتاً » كتب عن مؤتمر فتح ، هنا وهناك ، أرى انه ينطلق من الاحقاد اكثر مما ينطلق من محاولة المعالجة العلمية . ففيه تشويه متعمد احياناً ، وفيه معلومات مضللة احياناً أخرى .

لا اريد الاطالة ، ولا المزيد من التعنيف وانما اقول ان مؤتمر فتح مفخرة فلسطينية تستحق ان نتناولها بالبحث ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة ؛ خصوصاً في هذا الزمن العربي الغارق في القمع والارهاب الفكري والجسدي ، تمارسه الديكتاتوريات على أوسع الجماهير .

وليس من مصلحة أحد ، سوى أولئك الذين هم على غير اتفاق مع الديمقراطية ، النيل من هذه المفخرة .

عزمي عوّاد

دلالات الانتفاضة الجماهيرية في الأرض المحتلة

شمولية الانتفاضة

الانتفاضة الجماهيرية الأخيرة في الأرض الفلسطينية المحتلة لها دلالات هامة . فقد امتدت عدة شهور ، وتميزت بسعة المشاركة الجماهيرية فيها ، وشمولها كل الأرض المحتلة ، وانتشار ظاهرة العنف في المقاومة الجماهيرية للاحتلال ، وبروز أمثلة من البسالة والبطولة أفقدت المحتلين أعصابهم ودفعت بهم الى استخدام أساليب ارهابية جديدة غاية في الوحشية ، لم تقتصر على أساليبهم القمعية المألوفة مثل نسف البيوت وابعاد القادة الوطنيين وزج المئات في السجون وفرض منع التجول والحصار الاقتصادي ومجابهة المظاهرات برصاص الرشاشات ، بل وصلت الى حد محاولة اغتيال القادة الوطنيين كما جرى بالنسبة للمناضلين بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس ، وكريم خلف رئيس بلدية رام الله ، وغيرهما من رؤساء البلديات والشخصيات الوطنية .

وتتأكد تلك الدلالات عندما نلقي نظرة على سلسلة الانتفاضات الجماهيرية السابقة التي تفجرت منذ حرب تشرين ١٩٧٣ ، ولم تتمكن من ايقافها كل الوسائل القمعية التي لجأ اليها المحتلون الصهاينة ، ومن أبرزها الانتفاضة التي أعقبت مؤتمر القمة العربي في الجزائر في تشرين الثاني ١٩٧٣ ، الذي اعترف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، والانتفاضة التي جرت بعد مؤتمر الرباط الذي أقر بالاجماع حق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة على الأرض الفلسطينية التي تتحرر من الاحتلال ، وموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في دورتها التي انعقدت في تشرين الثاني ١٩٧٤ ، على قبولها كعضو مراقب في الامم المتحدة ، واصدار القرار رقم ٣٢٣٦ الذي يؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال الوطني ، والانتفاضة التي اندلعت في ربيع ١٩٧٦ على أبواب انتخابات المجالس البلدية ضد مشروع الادارة المدنية الذي كان يعمل المحتلون لتمريره من خلال تلك الانتخابات . وفي غمرة تلك الانتفاضة أحرزت القوائم الوطنية ، التي شكلتها الجبهة الوطنية ، نجاحا كاسحا ؛ لأنها كانت تتبنى برنامج رفض مشروعي الادارة المدنية والمملكة المتحدة وسواهما من المشاريع التصفوية للقضية الفلسطينية ، وكل أشكال القيادة البديلة ، وتتمسك بهدف الدولة الفلسطينية المستقلة والالتفاف حول منظمة التحرير كممثل شرعي

وحيد للشعب الفلسطيني وقائد لنضاله الوطني ،وأضحت المجالس البلدية الجديدة ،في أغلبيتها ، مواقع هامة للنضال الوطني ، تقوم بدور نشيط في تعبئة الجماهير ضد الاحتلال ومخططاته الاستيطانية وضد مؤامرة كمب ديفيد ومشروع الحكم الذاتي .

ودلالة ذلك كله أن عاملا رئيسيا في تفجير الانتفاضات الجماهيرية في الأرض المحتلة وتواصلها وجو النهوض الوطني الذي شمل اتساع نطاق المقاومة المسلحة والصمود في وجه وسائل القمع والارهاب الصهيوني ، هو الامساك ببرنامج وطني محدد واضح يتسم بالواقعية الثورية ؛ برنامج العودة وتقرير المصير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة على التراب الوطني الذي أقرته المجالس الوطنية في دوراتها الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة ، والالتفاف حول قيادة وطنية امينة على هذا البرنامج ، مخلصة له ، ممثلة في منظمة التحرير . وقد اثر ذلك في اتساع التأييد للقضية الفلسطينية ومنظمة التحرير على النطاقين العربي والعالمي .

ان الهوية الفلسطينية المستقلة في الأرض المحتلة أضحت عميقة الجذور ،وتغلغلت في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية ، بحيث أثارت مخاوف المحتلين الصهاينة . وقد كتبت جريدة « الجيروزاليم بوست » ، في معرض تعليقها على مؤتمر الجمعيات الخيرية والاجتماعية ، الذي انعقد في القدس في صيف العام الماضي وتحول الى مؤتمر سياسي أعلن تأييد منظمة التحرير وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس ، أن الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة تجتاحهم موجة طاغية من الحماس للتأكيد على هويتهم الفلسطينية ؛ فكل اجتماع أو مؤتمر ، مهما كان اختصاصه اجتماعيا أو خيريا أو ثقافيا ، يتحول الى مؤتمر سياسي مؤيد للدولة الفلسطينية ومنظمة التحرير ، وصارت كل مجالات النشاط تقترن بالاسم الفلسطيني ، مثل الفولكلور الفلسطيني والبازار الفلسطيني والعرس الفلسطيني ، وأصبح العلم الفلسطيني يرتفع في أرجاء الأرض الفلسطينية ويركز حتى على مخافر الشرطة الاسرائيلية ، امعانا في تحدي المحتلين وتأكيدا للاستقلال الوطني الفلسطيني .

وفي الانتفاضة الأخيرة ، التي تأججت في نيسان وأيار ، مع اقتراب يوم السادس والعشرين من أيار الماضي ، الذي كان قد حدده أطراف كمب ديفيد ، كارتر وبيغن والسادات ، موعداً لتنفيذ مؤامرة الحكم الذاتي ، كان شعار الدولة الفلسطينية وتأييد منظمة التحرير شعارا رئيسيا تردده جموع المتظاهرين في شوارع المدن والقرى والمخيمات ، وتتضمنه المذكرات والبيانات والتصريحات الصادرة عن الهيئات والمنظمات والمؤسسات الوطنية ، ويردده بسام الشكعة وكريم خلف وهما يستقبلان وفود الزوار والصحافيين الذين اموا المستشفيين اللذين يرقدان فيهما بعد اصابتهما نتيجة المحاولة الصهيونية الاجرامية لاغتيالهما ،ويؤكده المناضلون المبعدون الثلاثة خلال جولاتهم في أوروبا وامريكا .

ان شعار الدولة الفلسطينية المستقلة ، بقيادة منظمة التحرير ، قد أضحى ، بالنسبة لجماهيرنا في الأرض المحتلة ، صوت النفير الذي يعبئها في المعركة الضارية التي تخوضها ضد الاحتلال ومشاريعه الاستيطانية واجراءاته القمعية ، وضد مؤامرة كمب ديفيد ومشروع الحكم الذاتي وكل الصيغ والأشكال التآمرية الأخرى على شعبنا الفلسطيني وقضيته الوطنية .

ومن هنا ، فان دعم الانتفاضة الجماهيرية في الأرض المحتلة يستدعي من منظمة التحرير

التمسك بشعار الدولة الفلسطينية المستقلة ، والتصدي لكل المؤامرات عليها ، والحذر من التصور الخاطىء بأن طمس شعار الدولة الفلسطينية المستقلة ، أو عدم الاهتمام بابرازه ، يساعد على تصليب الموقف الفلسطيني في مواجهة التآمر الذي اشتدت أخطاره بعد مؤامرة كمب ديفيد

كما أن عمق تغلغل الهوية الوطنية الفلسطينية المستقلة بين جماهير الأرض المحتلة ، يشكل قاعدة صلبة للموقف الفلسطيني الوطني المستقل ، وبالاستناد اليه تتمكن منظمة التحرير من صيانة القرار الفلسطيني المستقل ، والوقوف في وجه كل محاولات التدخل والوصاية والتبعية لأي نظام عربي أيا كان ومهما كانت طبيعته

والحقيقة الأخرى التي لها دلالتها ، بالنسبة للنهوض الوطني في الأرض المحتلة ، هي أن مؤامرة كمب ديفيد - وهي أخطر مؤامرة تعرضت لها قضية شعبنا الوطنية بسبب خيانة السادات وانتقاله بمصر ، وهي أكبر دولة عربية مواجهة للعدوان والاحتلال ، الى المعسكر الأمبريالي الصهيوني المعادي لشعبنا ولحركة التحرر الوطني العربي وانخراطه مع بيغن وكارتر في مؤامرة تصفية القضية الفلسطينية من خلال مشروع الحكم الذاتي - كانت نقطة انعطاف في مجرى النهوض الوطني وكانت حافزاً لتشديد النضال وصعود تيار المقاومة خلال العامين الماضيين وانخراط أوساط واسعة في ميدان النضال ، وازدياد تلاحم القوى الوطنية ، رغم ادراك جماهيرنا خطورة مؤامرة كمب ديفيد وجو التخاذل المسيطر في المنطقة العربية ، ورغم شراسة الهجمة الاستيطانية وتصاعد القمع والتنكيل الصهيوني وتدهور الظروف المعيشية وزيادة الأسعار وتدهور قيمة الليرة ومختلف أساليب النهب الاقتصادي التي يمارسها المحتلون ، وسد فرص العمل أمام المثقفين والخريجين ، وازدياد البطالة في صفوف العمال ؛ مما يدفع أعداداً غير قليلة للهجرة خارج الأراضي المحتلة . بل ان هذه العوامل كانت حوافز أخرى لتأجيج نار المقاومة .

لقد تحولت الضفة الغربية ، من أقصاها الى أقصاها ، من جنين شمالا حتى الظاهرية جنوبا ، الى مسرح للاشتباكات العنيفة بين جحافل قوات الاحتلال التي احتشدت في الضفة الغربية بعد سحب قسم كبير منها من جبهة سيناء ، اثر المعاهدة المصرية - الاسرائيلية ، وبين الجماهير التي راحت تقاوم المحتلين في شوارع المدن والقرى والمخيمات وفي الجامعات والمعاهد العلمية ، وتقيم المتاريس في وجه قوات المحتلين وتواجه رصاصهم ودباباتهم بالحجارة والعصي والقضبان . وارتفع ، الى جانب ذلك ، مستوى الكفاح المسلح وفعاليته كما جرى في عملية الخليل البطولية ضد جماعات المستوطنين وجماعة غوش ايمونيم ، والعمليات الأخرى التي تتسم بالدقة والجرأة .

ودلالة ذلك أن تكالب التآمر على قضية الشعب الفلسطيني الوطنية وايغال المحتلين الصهاينة في القمع والنهب الاقتصادي ومصادرة الأراضي وتهويدها ، كل ذلك يذكي تيار المقاومة ويزيده قوة واتساعا ، وهذا من شأنه أن يشد أزر المقاومة الفلسطينية وجماهيرها في لبنان ، حيث تواجه امتداد مؤامرة كمب ديفيد ممثلاً في عمليات الابادة والأرض المحروقة التي تمارسها القوات الاسرائيلية من خلال غاراتها الوحشية المتواصلة ، وتحالفها مع القوى الانعزالية التي ما زالت ماضية في التآمر والتعبئة الحاقدة ضد الشعب الفلسطيني ، بالاضافة لنشاط المكتب الثاني اللبناني وأجهزة المخابرات الأمبريالية والرجعية لنشر حالة الفوضى والتخريب في المناطق الوطنية اللبنانية واثارة العداء للوجود الفلسطيني ؛ ومن شأنه أيضا أن يزيد في صمودها واستعدادها لمقاومة التآمر

واضعاف التفاف الجماهير اللبنانية الوطنية حول المقاومة الفلسطينية ، ويشكل حافزا للجماهير العربية لتقوم بدورها في مواجهة التآمر الأميريالي الصهيوني الرجعي .

لجنة التوجيه الوطني والوحدة الوطنية

وفي غمرة مواجهة مؤامرة كمب ديفيد والهجمة الاستيطانية الصهيونية وأعمال التخريب التي تمارسها جماعات المستوطنين ، تعززت الوحدة الوطنية بين صفوف الشعب الفلسطيني ، وليس صدفة أن لجنة التوجيه الوطني ، التي تمثل مختلف المنظمات الجماهيرية والنقابات العمالية ومجالس الطلبة والصحافيين الوطنيين والمجالس البلدية ، قد انبثقت ابان موجة المؤتمرات الشعبية التي اجتاحت مدن الضفة الغربية وقطاع غزة غداة ابرام اتفاقية كمب ديفيد ، وأخذت على عاتقها مهمة متابعة النضال ضد مؤامرة الحكم الذاتي ، وأضحت ، خلال العامين الماضيين ، القيادة الوطنية المعترف بها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفرضت علنيتها على المحتلين رغم كل محاولاتهم لحظر نشاطها . وهي تضطلع بدور رئيسي في تعبئة الجماهير التي تستجيب لنداءاتها وبياناتها بالاضراب أو التظاهر ، وتلتزم بتوجيهاتها ازاء أية قضية سياسية . وبفضل موقفها الحازم في ملاحقة تحركات أطراف كمب ديفيد ونشاطاتهم لتمرير الحكم الذاتي ، ودعوتها لمقاطعة رسل الأمبريالية الأميركية، تمكنت من محاصرة دعاة الاستسلام والتردد والمهادنة مع الاحتلال والمساومة مع مشروع الحكم الذاتي ، وأحاطتهم بجو من العزلة .

وتستند لجنة التوجيه الوطني الى الهيئات الوطنية والمنظمات الجماهيرية ، وفي مقدمتها المجالس البلدية التي تلعب دورا بارزا في اطار اللجنة وفي قيادة النضال الجماهيري ، وكذلك نقابات العمال والنقابات المهنية ومجالس الطلبة والهيئات النسائية والصحف والشخصيات الوطنية من رجال الدين والتجار .

وليس صدفة تجدد نشاط الجبهة الوطنية ، في جو هذا النهوض الذي حركته اتفاقية كمب ديفيد ، فقد أعلنت استئناف نشاطها ، في بيانها الذي صدر في أواخر أيار من العام الماضي ، ونشرت في تشرين الأول الماضي برنامجها النضالي المستند الى برنامج الوحدة الوطنية الذي أقره المجلس الوطني في دورته الخامسة عشرة ، مع تركيز على بعض القضايا الأساسية ، مثل تعرية موقف الأمبريالية الأميركية ورفض الحوار معها ومقاطعة ممثليها ، وكذلك تنظيم العلاقة مع قيادة منظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج وقائد نضاله الوطني وحصر التعامل مع الجبهة الوطنية بوصفها امتدادا لمنظمة التحرير في الداخل ، لقطع الطريق على دعاة الاستسلام الذين يتسترون بصلاتهم مع منظمة التحرير في الخارج ، وتصحيح العلاقة بين المنظمة والحكم في الأردن ؛ لان هذا الحكم يسعى للاستفادة من الظروف الراهنة في تعزيز نفوذه في الأرض المحتلة على حساب منظمة التحرير من خلال المساعدات التي تقدمها اللجنة الفلسطينية - الاردنية المشتركة .

ان السمة البارزة للنضال الوطني في الأرض المحتلة هي الاستناد الى وحدة وطنية متينة وطابع التنظيم الدقيق ؛ وقد تجلى ذلك ابان الانتفاضة التي اثارها قرار المحتلين بطرد المناضل بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس ، في تشرين الثاني الماضي ، حين تلاحمت الضفة الغربية وقطاع غزة ، الأمر الذي فاجأ المحتلين وأرغمهم على التراجع عن قرارهم . ودلالة ذلك أن الوحدة الوطنية في الأرض

المحتلة ، ممثلة في الجبهة الوطنية الفلسطينية ولجنة التوجيه الوطني وباقي المنظمات والمؤسسات والهيئات الوطنية الأخرى ، هي الصخرة التي تحطمت عليها كل مؤامرات المحتلين لاخضاع شعبنا وهي التي سدت الطريق أمام مؤامرة مشروع الحكم الذاتي الاداري . وهذا يتطلب أولا دعم هذه الهيئات والمؤسسات والمنظمات الوطنية ، وفي مقدمتها الجبهة الوطنية ولجنة التوجيه الوطني ، والتخلي عن كل تحفظ وحساسية ازاءها ؛ فنار المعركة الملتهبة في أرضنا المحتلة قد أذابت الحساسيات والتحفظات بين القوى الوطنية هناك ، وصهرتها جميعها في بوتقة واحدة لتذود عن أرض الوطن غائلة الاستيطان والتهويد ، وتحمي تراث شعبنا وثقافته ومقدساته ، وتعبىء صفوف كل الشعب لكنس الغزاة الصهاينة وانتزاع حقوق شعبنا الوطنية ، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة .

ضرورات تعزيز الوحدة الوطنية

وهذا يتطلب ايضاً العمل لتعزيز الوحدة بين القوى الوطنية الفلسطينية في الداخل والخارج في اطار منظمة التحرير ، بحيث تتمثل في اللجنة التنفيذية للمنظمة باعتبارها قيادتها اليومية . وتبرز في هذا المجال حقيقة ان مشاركة الشيوعيين في اللجنة التنفيذية من شأنها ان تعزز الموقف الفلسطيني المستقل في وجه أية ضغوطات تحاول الانتقاص منه ، فضلاً عن دورها في تعزيز الوحدة الوطنية ؛ فالدور الذي يلعبه الشيوعيون في مجرى النضال الوطني الفلسطيني معروف ، وخصوصاً في الارض المحتلة ، سواء في الجبهة الوطنية او في لجنة التوجيه الوطني او في النقابات المهنية والعمالية ومجالس الطلبة والمجالس البلدية وباقي المؤسسات والهيئات الوطنية الأخرى .

ان تيار النهوض الوطني ، مستندا الى الوحدة الوطنية وتأكيد الشخصية الفلسطينية المستقلة ، قد امتد ليشمل الجماهير الفلسطينية في الجليل والمثلث والنقب . فالائتلاف الوطني ، المتمثل في الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة واللجنة القطرية للدفاع عن الأرض ولجان الطلبة العرب ولجنة المبادرة الدرزية ولجنة رؤساء مجالس البلدية والمحلية ، يضم مختلف القوى الوطنية العربية ، بالاضافة لعدد من القوى الديمقراطية اليهودية . ويلعب الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح) دورا رئيسيا فيها . وأضحت هذه الهيئات ، ذات الطابع الجبهوي ، تمارس نضالاً متنامياً في التصدي لغطرسة الصهاينة وحماية الأراضي والحقوق المعيشية والوطنية للجماهير الفلسطينية ، وتؤكد موقفها الحازم المتمثل في رفض مؤامرة كمب ديفيد ومشروع الحكم الذاتي .

وقد أثارت مخاوف الصهاينة الغضبة العارمة التي اجتاحت المدن والقرى في الجليل والمثلث ، استنكارا لجريمة محاولة اغتيال بسام الشكعة وكريم خلف وابراهيم الطويل ، والمواقف الجريئة التي أظهرها المناضل توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة واللجنة القطرية للدفاع عن الأرض ولجان الطلبة العرب .

ان نهوض الجماهير الفلسطينية في الجليل والمثلث والنقب ، واعلانها الصريح الحازم انها جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني ، في المسيرات والمهرجانات والبيانات وفي الكنيست الاسرائيلي نفسه ، على لسان توفيق طوبي وتوفيق زياد ، وتأييدها لمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، وبرنامجها في العودة وتقرير المصير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة ، انما يشكل رافدا نضاليا جديدا يصب في المجرى الواسع الكبير للثورة الفلسطينية . وفي مقابل تعاظم المقاومة

لجماهيرنا في الأرض المحتلة ، التي حركتها مؤامرة كمب ديفيد ، سيطرت على الحياة السياسية الاسرائيلية الاجنحة الصهيونية الأشد عدوانية والاكثر غلوا في أطماعها التوسعية ونهجها الارهابي ، ويقف على رأس السلطة الثلاثي بيغن ـ شارون ـ شامير ، وتاريخ هؤلاء الثلاثة حافل بالجرائم الدموية ضد الشعب الفلسطيني ، وهم دعاة اسرائيل الكبرى . فبيغن ، رئيس الوزراء ووزير الدفاع بالوكالة بعد استقالة وايزمن هو زعيم عصابة الارغون الارهابية أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين وبطل مجزرة دير ياسين ؛ وشامير ، وزير الخارجية ، زعيم منظمة شتيرن العصابة الارهابية الثانية ؛ وشارون بطل حملة القمع الوحشية ضد الجماهير في غزة في سنتي ٧٠ ـ ٧١ . وهذا الثالوث من زعماء الارهاب الصهيوني يتبنى برنامجا توسعيا سافرا مغرقا في عنصريته ورجعيته ، يعتبر الضفة الغربية وقطاع غزة « أرضا محررة » ، وأن لا حق للشعب الفلسطيني فيها ، بل ان حق اليهود فيها مقدس يستند الى التوراة ، ويسعى بسرعة محمومة لتهويدها وزرع المستوطنات فيها ، ويواجه كل مظهر لمقاومة هذه المخططات العدوانية بالارهاب الدموي .

لقد أوجد هذا النهج العدواني الارهابي التربة الصالحة لنمو واستشراء أشد النزعات غلوا وتطرفا وسفالة في الحياة السياسية الاسرائيلية وترعرع عصابات المستوطنين الارهابين القتلة ، أمثال عصابة غوش ايمونيم وعصابة مئير كاهانا وحركة كاتس وجيش شارون السري . وقد انطلقت هذه العصابات السائبة على امتداد الضفة الغربية وقطاع غزة ، تعبث فيهما ، وتزرع المستوطنات الصهيونية بعد اغتصاب الأرض من اصحابها ، وتهاجم القرى والمدن والمخيمات ، وتعمل فيها يد النهب والسلب ، وتحطم المتاجر والسيارات ، وترتكب جرائم القتل والاغتيال .

لقد أصبحت هذه العصابات الفاشية ذراعا ارهابية اضافية لحكومة بيغن ، تطبق سياسة « القبضة الحديدية » التي تعلن عنها . فهذه العصابات هي التي تشترك مع القوات الاسرائيلية في اغراق المظاهرات التي جرت في حلحول ورام الله وجامعة بير زيت بالدماء . وباتت تكشف عن نواياها في تنفيذ مخطط تشريد جماعي للشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة وطرد زهاء ٧٠٠ ألف أو ٨٠٠ الف مواطن فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة . بينما تطلق التهديدات ضد التقدميين من اليهود المناهضين لنشاطاتها

إن مؤامرة كمب ديفيد هي من أهم العوامل التي أدت إلى انفلات النزعات الصهيونية الوحشية من عقالها . فخيانة السادات أغرت الصهيونيين وشجعتهم على التمادي في تنفيذ مخططاتهم التوسعية العدوانية . وأهم من ذلك ، فان الدعم غير المحدود ، سياسياً وعسكريا واقتصاديا ، من الولايات المتحدة لاسرائيل ، هو العامل الاساسي لاستشراء النزعات العدوانية الفاشية لدى الصهيونيين . ويكفي للتدليل على الدعم الأميركي لحكومة بيغن أن المساعدة الأميركية لاسرائيل في هذا العام تبلغ ٢٣٠٠ مليون دولار ، وتشكل ٤٣٪ من قيمة المساعدات الأميركية الخارجية كلها .

ان صعود عصابة بيغن الارهابية للسلطة في اسرائيل وعربدتها في المنطقة العربية وحرب الابادة والتشريد والتنكيل التي تشنها على الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة ، وفي الجنوب اللبناني ، هي جزء لا يتجزأ من سياسة العربدة العدوانية التي تمارسها الامبريالية الأميركية في المنطقة ، تنفيذا لمبدأ كارتر الذي أعلنه في نهاية العام الماضي ، معتبرا منطقة الخليج ضمن المصالح

الحيوية الاميركية ، وما ترتب على ذلك من حشد الأساطيل وبناء القواعد العسكرية الجديدة في المنطقة .

لقد تعمقت تبعية اسرائيل للامبريالية الاميركية التي باتت تسيطر على الحياة السياسية الاسرائيلية والأجنحة والتكتلات الصهيونية فيها . وإذا كانت قد دعمت تكتل الليكود بزعامة بيغن ، ودفعت به إلى الحكم منذ سنة ١٩٧٧ ، فهي تبقي على نفوذها على التكتل الصهيوني المعارض المسمى بالمعراخ بقيادة حزب العمل الاسرائيلي ، وتحتفظ به كورقة في يدها تطرحها في الوقت المناسب وتدفع به للسلطة حين تتأكد من فشل حكومة بيغن في تنفيذ مخططاتها . وهي منذ الآن تسعى لتزيين وجه حزب العمل الاسرائيلي .

ولكن ذلك لا يمكن ان يخدع الشعب الفلسطيني ، الذي يعرف حزب العمل الاسرائيلي على حقيقته ، مهما جرت المحاولات لتجميل وجهه الصهيوني القبيح ، ورغم طلاء الاشتراكية الزائف الذي يتستر به الآن ، بحكم توليه السلطة في اسرائيل وقيادة الحركة الصهيونية منذ سنة ٤٨ حتى سنة ١٩٧٧ ، فهو المسؤول الأول والرئيسي عن كل الجرائم التي لحقت بشعبنا الفلسطيني من تشريد وتقتيل وتنكيل ، وهو الذي أثار أربعة حروب عدوانية ضد العرب . وبرنامجه بالنسبة للقضية الفلسطينية كما أعلنه مجدداً زعيمه بيرس ، لا يختلف في جوهره عن برنامج بيغن ، لأنه يرفض قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، ويصر على استمرار مرابطة قوات الاحتلال الاسرائيلي على طول نهر الأردن ، الذي يعتبره الحد الأمني لاسرائيل ، والاحتفاظ بالمستوطنات الصهيونية التي اقيمت في الأرض التي احتلت بعد عام ١٩٦٧ ، ولكنه يسمح فقط بعودة الادارة الأردنية الى عدد من المناطق في الضفة الغربية .

ان النضال البطولي الذي تخوضه جماهيرنا الفلسطينية في الأرض المحتلة . أكد ، أمام العالم كله ، حقيقة الثورة الفلسطينية كثورة شعب بأسره وعزز القضية الفلسطينية على النطاق العالمي وأكسبها مزيداً من التأييد والتعاطف ، باعتبارها قضية شعب يناضل في سبيل تحرره واستقلاله الوطني وعودته إلى دياره . وفي المقابل زاد في تعرية المحتلين الصهاينة وعزلتهم ، الأمر الذي يضاعف من عزيمة الشعب الفلسطيني وثقته بحتمية انتصار قضيته العادلة .

من هنا يتضح ان التصدي لمؤامرة كمب ديفيد ومشروع الحكم الذاتي وحماية الشعب الفلسطيني من الهجمة الارهابية الهستيرية التي تشنها عصابات بيغن ، لا يقتصر فقط على عزل نظام السادات وفضح خيانته ، بل يتطلب في الدرجة الأولى مواجهة الامبريالية الاميركية وتعبئة كل الطاقات النضالية ضدها في المنطقة ، وكشف زيف مواقف الأنظمة الرجعية واليمينية التي تعلن معارضتها لكمب ديفيد ، ولكنها تبقي على علاقاتها مع الولايات المتحدة ، بل وتسمح بتدفق البترول اليها وتكديس بلايين الأرصدة من الدولارات في بنوكها .

ان الوسيلة لردع الولايات المتحدة ومواجهة مخططاتها العدوانية ، وفي مقدمتها مؤامرة كمب ديفيد ، ليست في السعي للحوار معها والعمل على اقناعها بعدالة الموقف العربي وتعليق الأوهام على المبادرات الأوروبية التي لا تخرج عن اطار السياسة الأميركية ، بل باتخاذ موقف حازم ازاءها وازاء مصالحها في المنطقة ، وذلك يستدعي تعبئة طاقات الشعوب العربية وقواها الوطنية والتقدمية ، وتنشيط جبهة الصمود والتصدي ، وتعزيز التحالف مع البلاد الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي ، ومع كل قوى التقدم والحرية والسلام في العالم .

د. أحمد صدقي الدجاني

مسيرة الشعب الفلسطيني وآفاق الصراع العربي الإسرائيلي في الثمانينات

ماذا نرى في آفاق الصراع العربي الاسرائيلي خلال ثمانينات القرن العشرين ؟

كيف ستكون مسيرة الشعب الفلسطيني وسط أمته العربية وهو يناضل من اجل تحرير وطنه في هذا العقد من السنين ؟ اي شوط ستقطعه هذه المسيرة ؟ ما هي التحديات التي ستواجهها ، وما هي القضايا التي ينبغي التصدي لمعالجتها ؟

ان تعاملنا مع بعد الزمان في هذا البحث يذكرنا بأن شعب فلسطين يدخل ، مع الثمانينات ، القرن الثاني في مواجهته للغزوة الصهيونية التي استهدفت وطنه ، حيث بدت تباشيرها واضحة مع الموجة الاولى للتهجير الصهيوني عام ١٨٨٢ . كما نذكر ان اكثر من ستة عقود مضت على صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧ ، واكثر من ثلاثة عقود مضت على قيام دولة اسرائيل بقرار دولي . ونشير الى اننا نعيش العقد الثاني في المرحلة الراهنة من النضال الفلسطيني الذي تقوده منظمة التحرير الفلسطينية ، والى ان منطقتنا العربية دخلت قرنا هجريا جديدا هو القرن الخامس عشر .

نستشعر الحاجة ونحن في صدد البحث في رؤية مستقبلية ان نطرح بايجاز فهمنا لحديث المستقبل ومنهجنا في الدراسة المستقبلية . ان حديث المستقبل يلبي حاجة انسانية في استشراف آفاق الغد واستشفاف كنه ما سيأتي . وكما أن الذي يعرف من أين ، يعرف الى أين ، فان الذي يتشوف غده يدرك بوعي أعمق أين يقف اليوم . وواضح أن حديث المستقبل وثيق الصلة بحديث الحاضر والماضي . وهو ليس مجرد تنبّؤ يقوم على الرجم بالغيب ، ولكنه محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر ، وتلاحظ فيها سنن الكون ومجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي ، وترسم على ضوء ذلك كله صورة المستقبل .

ان البحث في آفاق الصراع العربي الاسرائيلي على مدى عقد قادم من السنين يقتضي أن ننظر الى الأحداث الجارية بنظرة شاملة ، تأخذ بعين الاعتبار مختلف أبعاد الصراع وتحيط

بشتى جوانبه . فهي ترى الابعاد الدولية والقومية والمحلية ، وما يخص العدو منها وما يخصنا نحن ، والجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية . كما أن هذا البحث ينطلق من ادراك أن توقع ما سيجري مرتبط بتطلع الانسان الى الاسهام في صنع المستقبل ، فالفرد الانساني قادر على أن يكون فاعلا في الاحداث . وهو وان لم يكن بامكانه الوقوف في وجه حركة التاريخ ، الا أن بامكانه التأثير على تيار الاحداث المتدفق وتحويله لصالحه . وهكذا فان هذا الحديث المستقبلي يوظف المعرفة للفعل والتأثير . ويحاول تحديد ما ينبغي أن يكون دون أن يغفل عن توقع ما سيكون . والغاية أن تتوافق من خلال الفكر والارادة والقدرة صورة الآمال مع صورة التوقعات [١] .

نبدأ بحديث الحاضر والماضي فننظر كيف كانت مسيرة الشعب الفلسطيني في اطار الثورة الفلسطينية خلال السبعينات التي ودعناها ، وننظر أين تقف منظمة التحرير الفلسطينية التي تقود هذه الثورة اليوم وهي تستقبل الثمانينات .

لقد حفل العقد الماضي بأحداث هامة اتصلت بالصراع العربي الاسرائيلي مباشرة أو بصورة غير مباشرة . وجرت على شتى الصعد المحلية والقومية والدولية .

بدأت السبعينات بأحداث ايلول الاسود عام ١٩٧٠ في الاردن ، وغاب عن المسرح السياسي العربي ، في ذلك الشهر ، جمال عبد الناصر ، أبرز زعامة عربية في المنطقة . وبلغت تلك الاحداث ذروتها عام ١٩٧١ ونتج عنها انتقال مركز قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الى لبنان . ونشبت حرب رمضان في تشرين الاول ١٩٧٣ بين مصر وسوريا والمنظمة من جهة)وبين اسرائيل من جهة أخرى ، وهي الحرب الرابعة في الصراع العربي الاسرائيلي ، وكان من حصادها ظهور قضية الطاقة في العالم الغربي . وتم في اعقابها انعقاد مؤتمر جنيف وابرام اتفاقيتي فصل القوات بين مصر واسرائيل اولا ثم بين سوريا واسرائيل . كما تم ابرام اتفاقية فصل القوات الثانية بين مصر واسرائيل في ايلول ١٩٧٥ . وتفجرت في النصف الاول من ذلك العام الحرب اللبنانية ، وكان التوتر قد ظهر في لبنان بوضوح منذ عام ١٩٧٣ . وتمت في تشرين الثاني من عام ١٩٧٧ زيارة رئيس جمهورية مصر أنور السادات الى القدس حيث تحدث في الكنيست الاسرائيلي . وقامت اسرائيل بهجومها على جنوب لبنان في آذار ١٩٧٨ فجرت حرب الايام الثمانية . وجاء ابرام اتفاقيات كامب دافيد بين الولايات المتحدة واسرائيل ومصر في ايلول ١٩٧٨ . وانعقد مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد لمواجهة هذه الاتفاقيات في تشرين الثاني ١٩٧٨ .وتم ابرام المعاهدة الاسرائيلية المصرية في آذار ١٩٧٩ بعد فترة قصيرة من انتصار الثورة الاسلامية في ايران وسقوط نظام الشاه في مطلع ذلك العام . وشهدت السبعينات أحداثا اخرى هامة في عالمنا ، نشير من بينها الى تصفية الاستعمار البرتغالي في افريقيا والخروج الاميركي من الهند الصينية وبروز الأمة الافغانية .

بين الانفراج والانفراد

جرت أحداث منطقتنا في السبعينات وسط مناخ دولي كان له دوره في انضاجها ، وحملت هذه الاحداث في تضاعيفها تغيرات هامة تتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي . وقد أثرت بدورها على هذا المناخ الدولي الذي بدا ، في مطلع السبعينات محكوما**بسياسة الانفراج**وأصبح في

نهايتها محكوما **بأزمة حادة** تعاني منها سياسة الانفراج .

كانت ملامح المرحلة الجديدة في التوازن الدولي التي عرفت باسم الانفراج قد بدت في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، حين اجتمع كوسيغن وجونسون في جلاسبور ، وما أسرع ما بانت بوضوح اكثر في اجتماع موسكو عام ١٩٧٢ بين بريجنيف ونيسكون ، واجتماع فلاد يسفوستك عام ١٩٧٤ بين بريجنيف وفورد ، وأخذت صورة اجتماعات دورية بين ممثلي الدولتين وأثمرت اتفاقيات في عدد من المجالات . وقد جاءت هذه المرحلة في اعقاب مراحل ثلاث عبرها التوازن الدولي منذ الحرب العالمية الثانية ، كتطور منطقي يعبر عن الاستجابة لتحدي الخطر النووي الذي اشتد مع تقدم صنع الاسلحة النووية ، ولتغيرات اخرى في الصورة الدولية . وهكذا انتقل هذا التوازن من سياسة حافة الحرب الى سياسة الردع الشامل الى سياسة التعايش السلمي الى سياسة الانفراج [٢] .

اختلف تطبيق سياسة الانفراج عند الدولتين الكبيرتين من منطقة الى اخرى بحسب مواقع هذه المناطق منهما وطبيعة مصالحهما فيها . وقد اتسمت منطقة الوطن العربي بحساسية خاصة في هذه السياسة لما تتميز به من أهمية تنامت بقوة في السبعينيات ، ولأنها من المناطق التي لم تتحدد فيها بوضوح **الخطوط الفاصلة بين مصالح الدولتين** . وانعكست هذه الحساسية على طريقة معالجة كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة قضية فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي عموماً ، وعلى طريقة تعاونهما في هذه المعالجة . ولقد شرح هارولد ساوندرز في مؤتمر حول الشرق الاوسط انعقد بسانت لويس خريف عام ١٩٧٩ مكان الصراع في العلاقة بين الدولتين حين عرض للمصالح الاميركية في المنطقة ، ووضع المصلحة المتعلقة بالاتحاد السوفياتي كأول هذه المصالح فقال : « مع اننا ادركنا ، منذ أمد طويل ، أهمية حرمان الاتحاد السوفياتي من أن يكون له نفوذ ساحق في الشرق الاوسط ، الا أننا غرفنا ايضا في حدة أزمتين بأن لنا اهتماما خاصا بتحاشي المجابهة مع السوفيات في الشرق الاوسط في هذا العصر النووي . ان الاتحاد السوفياتي يرى ، لأسباب تتعلق بالنفوذ والنفط والقرب الجغرافي والروابط العرقية والثقافية بين عناصر من سكانه وشعوب الشرق الاوسط ، بأن له مصالح في تلك المنطقة . كما اننا نهتم بأن نساعد شعوب المنطقة في الحفاظ على استقلالها حيال أية سيطرة اجنبية . ولكن خلافا لما عليه الحال في اوروبا حيث الخطوط بين السوفيات وبيننا مرسومة جغرافيا وبالسوابق ، نجد **أن هذه الخطوط ليست محددة بوضوح في الشرق الاوسط** ومن الممكن سواء بالصدفة أو بالتصعيد أن ينتهي الحال بالدولتين العظميين الى المجابهة . وان الرسائل المتبادلة بين موسكو وواشنطن خلال حدة الازمتين في حربي ٦٧ و٧٣ جعلت ذلك الخطر في منتهى الوضوح . ولهذا فاننا ندرك التحدي بشكل أكثر حدة من أي وقت مضى من أجل تجنب المجابهة .. »[٣] .

لقد مثلت حرب حزيران عام ١٩٦٧ نوعا من المواجهة بين الدولتين الكبيرتين وكذلك مثلت حرب رمضان عام ١٩٧٣ مع أنها جاءت بعد اخراج الخبراء السوفيات من مصر عام ١٩٧٢ . ومن هنا توزعت السياسة الاميركية في تحركها تجاه تسوية الصراع العربي الاسرائيلي بين ما يتطلبه دفع خطر المواجهة من **تفاهم** مع الاتحاد السوفياتي بشأن التسوية وبين ما تتطلبه منافسة الاتحاد السوفياتي في المنطقة وابعاده من **انفراد** في التحرك . وهكذا برز اتجاهان في السياسة

الاميركية حول المشاركة السوفياتية في تحقيق التسوية ، يرى احدهما ضرورة التوصل الى اتفاق مع السوفيات حول المبادى والاجراءات ، ويرى الآخر الانفراد وابعاد السوفيات والمضي في تحقيق التسوية من دونهم .

عبرت سياسة كيسنجر في النصف الاول من السبعينات عن هذا التوزع ووصلت الى تبني الاتجاه الآخر . فقد تم الاتفاق في اعقاب حرب ٧٣ مع الاتحاد السوفياتي على إطار مؤتمر جنيف برئاسة الدولتين كاطار للتوصل إلى تسوية الصراع العربي الاسرائيلي . ولكن كيسنجر سعى عمليا الى ابعاد الاتحاد السوفياتي عما أسماه « عملية السلام » . ومع أنه حريص على التباحث بين حين وآخر ، مع وزير الخارجية السوفياتي اندريه غروميكو لتغطية سعيه ، الا أن السوفيات لم يروا في هذا التباحث اكثر من كونه نوعا من التشاور ولا يوصل الى المشاركة المطلوبة. وهكذا هاجمت البيانات السوفياتية مفاوضات الخطوة خطوة التي تولتها الولايات المتحدة بمفردها ، وامتنعت موسكو عن ارسال مبعوث لحضور التوقيع الرسمي في جنيف على الوثائق الخاصة بالاتفاق الاسرائيلي المصري الذي أبرمه كيسنجر عام ١٩٧٥ (٤) .

اتجهت الولايات المتحدة الى التفاهم من جديد مع الاتحاد السوفياتي حول التسوية ، في منتصف سنة ١٩٧٧ ، بعد تولي الرئيس كارتر زمام أمور الادارة الاميركية . وكان كارتر قد طرح حال توليه ، تصوره للوصول الى حل سلمي للصراع العربي الاسرائيلي وحدده في ثلاثة بنود رئيسية هي : « انسحاب اسرائيل من اراض محتلة ، مع اجراء تعديلات طفيفة على حدود ١٩٦٧ ، واقامة سلام كامل يشمل اقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية بين اسرائيل وجيرانها العرب، وانشاء وطن للشعب الفلسطيني » . وقد اعتمد مشروع كارتر هذا على تقرير معهد بروكينز واستفاد في بنده الاول من مشروع روجرز لعام ١٩٦٩ . كما تعدى في بنده الثاني ما جاء في القرار ٢٤٢ الذي تحدث عن انهاء حالة الحرب، وأشار في بنده الثالث الى تقرير مصير الفلسطينيين . وحين نبحث عن دوافع الولايات المتحدة لهذا التوجه نحو التفاهم مع الاتحاد السوفياتي نلاحظ انه ينسجم مع متطلبات سياسة الانفراج التي شهدت عام ١٩٧٥ توقيع اتفاقية هلسنكي للأمن الاوروبي . كما نلاحظ أنه جاء بعد أن جوبهت محاولات الولايات المتحدة اشراك جميع العرب في مفاوضات بصعوبات فائقة . وهكذا اتفقت الحكومتان الاميركية والسوفياتية على احياء فكرة التقارب المشترك . واوصل اتفاقهما الى اعلان البيان السوفياتي الاميركي المشترك في ١ تشرين الاول ١٩٧٧ الذي وقعه كل من سيروس فانس واندريه غروميكو باسم دولتيهما باعتبارهما رئيسي مؤتمر السلام حول الشرق الاوسط (٥) .

لقد تضمن هذا البيان عدداً من المبادىء والاجراءات . فتحدث عن ضرورة التوصل في اسرع وقت الى تسوية عادلة ودائمة وشاملة (تتناول كل المواضيع وكل الاطراف) . وتعالج المسائل الاساسية في المشكلة بانسحاب اسرائيل من اراض احتلت في حرب ١٩٦٧ ، وحل المسألة الفلسطينية بما في ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وانهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية عادية رسمية على اسس الاعتراف المتبادل بمبادى السيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي . وحدد البيان أن الطريق الوحيد لبلوغ ذلك هو التفاوض في اطار مؤتمر جنيف للسلام على ان تشترك في اعماله « كل اطراف الصراع بمن في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني » .

كمنت أهمية هذا البيان في توقيت اعلانه وفي صدوره عن الدولتين الكبيرتين من خلال عملية تفاوض ، وفي حديثه عن ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومشاركة جميع الاطراف في التفاوض بما في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني . وكانت الولايات المتحدة تتحدث قبله عن « المصالح المشروعة للفلسطينيين » وتتجنب الحديث عن مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني . وقد رأى الكثيرون في توقيع الولايات المتحدة على البيان اتجاها محمودا للاعتراف بالحقائق القائمة ومباشرة مفاوضات مثمرة . فيما رأت اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية غير ذلك ، واعتبرت توقيع البيان انحرافا في السياسة الاميركية التي جنحت الى الانفراد . وهكذا أثارت الصهيونية العالمية ضجيجا قويا وشنت حملة شديدة على البيان وهاجمت فكرة اشراك السوفيات في التسوية . الامر الذي دفع الادارة الاميركية الى التخلي عن البيان بعد أيام قليلة من اعلانه .

سارت الولايات المتحدة في طريق الانفراد وعملت على فرض تسوية خاصة بها . واتفقت مع اسرائيل على ورقة عمل اغضبت عددا من الاطراف العربية واكدت قناعتهم بانحيازها لاسرائيل . وحين فشلت في احضار جميع الفرقاء الى طاولة المفاوضات شجعت زيارة رئيس جمهورية مصر الى اسرائيل وتولت رعاية الخط الذي رسمته هذه الزيارة ، وهكذا اسقطت احتمال تحقيق مفاوضات شاملة واحتمال قيام الاتحاد السوفياتي بدوره في المفاوضات .

أوصلت هذه السياسة الاميركية الى ابرام اتفاقيات كامب دافيد بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة ، ومن ثم الى توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل . وأدت هذه السياسة ،**على صعيد المنطقة ، الى زيادة التوتر فيها والى تورط الولايات المتحدة في تبني المنهج الاسرائيلي في تسوية الصراع العربي الاسرائيلي** . كما أدت على **صعيد العلاقات بين الدولتين الى الاسهام في صنع أزمة في الانفراج الذي قام بينهما**. وأصبحت واحدة من القضايا الهامة التي زادت من حدة هذه الازمة، ولم يخف الاتحاد السوفياتي هذه الحقيقة في شرحه لحال الانفراج وللواقع القائم بعد دخوله افغانستان .

لقد كشفت السبعينات عن حقيقة تأثر الصراع العربي الاسرائيلي بالعلاقات بين الدولتين الكبيرتين . وبدا واضحا أن هناك خلافا قويا حول كيفية تسوية هذا الصراع ، بعد أن اتجهت السياسة الاميركية الى الانفراد في معالجته،وما زال هذا الخلاف يفعل فعله في أحداث المنطقة

كيف ستكون العلاقات بين الدولتين خلال الثمانينات ؟ هل تنتهي أزمة الانفراج أم تشتد ؟ كيف سيكون تعامل كل من الدولتين مع الصراع العربي الاسرائيلي في كل من الحالتين ؟

مواقف المجموعات الدولية

سنحاول الاجابة عن هذه الاسئلة في حديث المستقبل . ونتابع الآن التعرف بايجاز على **جوانب اخرى في الصورة الدولية** كما بدت خلال السبعينات ، وعلى الخصوص موقف كل من اوروبا الغربية ومجموعة عدم الانحياز من الصراع العربي الاسرائيلي .

لقد اشتد اهتمام اوروبا الغربية بالصراع بعد حرب رمضان حيث بدا واضحاً تأثر أمن اوروبا الغربية بأمن الوطن العربي وارتباط اقتصاد اوروبا الغربية بالنفط العربي . وهكذا

اصدرت دول المجموعة الاوروبية بيان ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ حول موقفها من الصراع ، وبنت هذا الموقف على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ مع اضافة محددة هي أخذ الحقوق المشروعة للفلسطينيين في الحسبان من اجل بلوغ سلام دائم وعادل . وتوجهت هذه الدول لمباشرة حوار مع الدول العربية ، وباشرت هذا الحوار وسارت فيه سيرا وئيدا ولم تستطع أن تقوم بالدور الذي كان متوقعا قيامها به في التعامل مع الصراع بسبب ضغوط ارتباطاتها بالولايات المتحدة الاميركية ، وبسبب تباين الاتجاهات داخلها . وقد أوصل الحوار الى موقف اوروبي غربي يؤكد المبادىء التي تضمنها القرار ٢٤٢ مع التسليم بتلبية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في التعبير عن هويته الوطنية والعيش في وطن . ووصل في بيان البندقية الاخير الذي صدر في حزيران ١٩٨٠ الى النص الصريح عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وتضمن الموقف الاوروبي ادانة للاستيطان الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ورفضا لأية تغييرات اسرائيلية في وضع القدس .

شهدت السبعينات تطورا في الموقف الاوروبي . ولكن هذا التطور لم يتجسد في اجراءات عملية . وبقي عاجزا عن تلبية المطلب العربي باعتراف دول المجموعة الاوروبية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولم تطرح على مدى العقد الماضي أية صيغة يكون للدول التسع فيها مكان ودور لحل الصراع ، ويصدق هذا على صيغة جنيف التي تمسك بها البيان السوفياتي الاميركي . وقد فرضت سياسة الانفراد الاميركية على المجموعة الاوروبية أن توقف تحركها البطيء وتنتظر وتترقب على مدى عامين جمدت خلالهما الحوار العربي الاوروبي . حتى انتهى التاريخ المحدد للفراغ من مفاوضات الحكم الذاتي يوم ٢٦ ايار الماضي فباشرت دول المجموعة تحركها من جديد وأصدرت بيان البندقية .

يجدر ان نشير ايضا الى ان بعض دول اوروبا الغربية خارج اطار المجموعة الاوروبية قد طورت موقفها من الصراع . ونشير من بين هذه الدول الى النمسا التي حاول مستشارها أن يقوم بدور فعال في تطوير موقف الاشتراكية الدولية [٦] .

كان موقف دول عدم الانحياز بمجموعاتها الافريقية والآسيوية والاسلامية متجاوبا مع الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ومؤيدا لوجهة النظر العربية في تسوية الصراع . وقد رحبت هذه الدول بعضوية منظمة التحرير في المجموعة وقاطعت غالبيتها اسرائيل . وتحركت في الامم المتحدة وفي المنظمات الدولية عموما ضمن هذا الموقف . واتخذت في مؤتمراتها المتعاقبة وآخرها مؤتمر هافانا عام ١٩٧٩ قرارات واضحة بشأن الصراع وكيفية التحرك لتسويته .

شهدت السبعينات ايضا تطورا ايجابيا في موقف دول المجموعة الاشتراكية من قضية الصراع العربي الاسرائيلي . واعترفت هذه الدول بمنظمة التحرير الفلسطينية ودعت الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة وتلبية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . وجاءت مواقفها في المنظمات الدولية تعبيرا عن هذا الموقف .

كذلك بقيت الصين على موقفها المؤيد للحق الفلسطيني . وكانت من أول الدول التي اقامت علاقات بمنظمة التحرير الفلسطينية . أما اليابان فكان التطور الذي حدث في موقفها ضئيلا . وبقي هذا الموقف تابعا للموقف الاوروبي واسيرا للضغوط الاميركية . وقد حدث تطور محدود في

مواقف دول اميركا اللاتينية . وقد تحسن موقف الهند المؤيد للحق الفلسطيني بعد عودة حزب المؤتمر بقيادة انديرا غاندي الى الحكم في العام الماضي .

تطورات على الجانب الاسرائيلي

ننتقل الى **البعد الاسرائيلي** في الصراع ونوجز حصيلة ما شهدته السبعينات على هذا الصعيد .

لقد جاءت حرب رمضان لتكون **تجربة جديدة** على التجمع الاسرائيلي بما تضمنته من جديد على صعيد اتخاذ القرار وعلى المبادرة في الهجوم وعلى صعيد مجريات المعركة . ومع ذلك بقي توجه التجمع الاسرائيلي في محصلته على ما هو عليه بعد الحرب . وبقي الهدف الصهيوني كما هو . وأزدادت نزعات التطرف في اوساط الاسرائيليين حتى اوصلت تجمع ليكود الى الحكم عام ١٩٧٧ وأبرزت جماعة جوش ايمونيم كجماعة مؤثرة في سياسة التوسع الاسرائيلية . وشهد التجمع في الوقت نفسه بروز جماعات تنادي بوقف التوسع مقابل السلام ، ولكن تأثير هذه الجماعات على الحكم في اسرائيل بقي ضئيلا للغاية . وعمل الحكم الاسرائيلي ، من خلال اعتماده التطرف والتشدد ، على فرض التسوية التي يريدها والتي تحفظ له السيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة . واعتمد في محاولته النجاح في هذه السياسة على ربط الموقف الاميركي بموقفه وركز على دفع الولايات المتحدة للانفراد في التحرك لبلوغ التسوية مبعدا الاتحاد السوفياتي . كما ركز على عزل مصر واخراجها من الصراع العربي الاسرائيلي . ونشط في عملية الاستيطان في الضفة الغربية وفي تغيير معالم القدس . كما لجأ الى المغالاة في سياسة القمع التي ينتهجها ضد الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل . وتابع محاولاته لتهجير مزيد من يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . واستمر في موقفه المنكر لوجود شعب فلسطين وسعيه للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية . واستهدف لبنان مصعدا عملياته في الجنوب اللبناني .

لعل من اهم ما يمكن تسجيله على البعد الاسرائيلي في الصراع كما وصل في نهاية السبعينات ما يلي:

* نجحت اسرائيل في التوصل الى ابرام معاهدة سلام مع مصر عام ١٩٧٩ .
* عانت اسرائيل من عزلة دولية ازدادت شدة منذ مجيء حكومة ليكود وبفعل مواقف هذه الحكومة اثناء المفاوضات المصرية الاميركية الاسرائيلية حول الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة والقطاع .
* حدث خلال السبعينات اختلال في التطابق بين مواقف الحكومة الاسرائيلية وبين مواقف التجمعات اليهودية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية . وبدأت بعض اوساط هذه التجمعات في محاولات للتأثير على المواقف الاسرائيلية بما ينسجم مع مصالحها في الدول التي تعيش فيها .
* بدأت الخلافات داخل التجمع الاسرائيلي تأخذ شكلا اكثر حدة مع تزايد النزوع الى التطرف وبروز قوى تنادي بالسلام .
* بدأت العلاقات الاميركية الاسرائيلية بعد اتفاقيات كامب دافيد ، على الخصوص ، مرحلة جديدة برزت فيها تعارضات نابعة من اختلاف الاساليب بين طرفي العلاقة ومن مستلزمات

المصالح الاميركية في المنطقة والعلاقات الاميركية العربية [٧] .

الصراع العربي - العربي

نأتي الى البعد العربي في الصراع ونوجز حصيلة ما شهدته السبعينات على هذا الصعيد .

كانت السبعينات حافلة بالاحداث المتصلة بالصراع . بدأت بمعاناة احداث ايلول ، وتتالت هذه المعاناة مع **اشتداد الصراع داخل الوطن العربي بين عرب وعرب** . وقد تعددت بذور التوتر والانفجار في الوطن العربي ، وقامت عدة حروب عربية عربية . بعد حرب رمضان على الخصوص . وكانت حرب رمضان قد اظهرت امكانيات الموقف العربي الواحد الكبيرة في حالة حشدها وتوظيفها في الصراع . ولكن السنوات التي تلت ابرزت عجز الكيانات العربية عن توحيد اراداتها وصياغة الارادة العربية المشتركة .

وشهدت السبعينات حدوث**تحولات هامة** في البلاد العربية على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ، كانت سببا في حدوث جيشان في الاوضاع الداخلية لكل قطر ، وأسهمت في الصراع العربي العربي . وافتقد العمل العربي الموحد وجود الزعامة العربية الواحدة أو وجود المؤسسة التي تحل محلها . وتنامت الثروات في البلاد النفطية بعد ارتفاع اسعار النفط منذ ١٩٧٣ .

استطاعت الدول العربية ان تصوغ موقفا موحدا من الصراع لم يبلغ حد الاجماع في حرب ١٩٧٣ ، ولكن سرعان ما أنتثرت حبات عقد هذا الموقف . واعترفت الدول العربية عام ١٩٧٤ بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لشعب فلسطين . وانشغلت منذ عام ١٩٧٥ بالازمة اللبنانية ، التي ما ان خفت حدتها حتى جاءت زيارة رئيس جمهورية مصر الى القدس المحتلة في تشرين الثاني ١٩٧٧ . وهكذا انشغلت الدول العربية بالتصدي لهذا الانفراد ومعالجة ما نجم عنه من آثار . وقد استطاعت ، في اعقاب توقيع مصر لاتفاق كامب دافيد مع اسرائيل والولايات المتحدة أن تصوغ موقفا عربيا موحدا في مؤتمر القمة التاسع ببغداد في تشرين الثاني ١٩٧٨ اكدت فيه التزامها بقرارات الامم المتحدة في تسوية الصراع العربي الاسرائيلي وجمدت عضوية مصر في الجامعة العربية ونقلت مقر هذه الجامعة الى تونس

يمكننا أن نلاحظ ايضا ، فيما يخص هذا البعد في الصراع ، أن المنطقة العربية شهدت حركة احياء روحي ، بدت تباشيرها منذ نكسة حزيران ١٩٦٧ وتنامت في السبعينات وبلغت مداها بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ . وقد عبرت هذه الحركة عن موقف حضاري يرفض الاستغراب والتحديث على الطريقة الغربية ، وحكمت بفشله . كما مثلت تطورا في المفهوم القومي الذي ساد خلال العقدين السابقين اضاف اليه بعد الأخوة الروحية ضمن دائرة الحضارة العربية الاسلامية . وقد هيأ هذا التطور فرصة سانحة لاقامة علاقات صحيحة بين منطقة الوطن العربي وبين جاراتها التي تمثل عمق هذا الوطن ، ونلاحظ ان ايران وتركيا تشهدان الظاهرة نفسها . كذلك نلاحظ أنّ العداء الموجه الى الولايات المتحدة في المنطقة يتزايد مع وجود نزعة قوية لاستعادة **الهوية الثقافية** ، ترجع بالمنطقة الى اصولها ، وتقرن بين

الاصالة والتجديد . ونلاحظ ان **اطراف منطقة الوطن العربي أصبحت مراكز لبؤر توتر شديد في الصراع الدولي** وعلى الخصوص في القرن الافريقي وبحر العرب القريب من افغانستان الامر الذي جعل بحر العرب والمحيط الهندي ساحة مواجهة في هذا الصراع (٨) .

كيف تفاعلت م . ت . ف . مع الاحداث ؟

نصل بعد استحضار ابعاد الصراع كما بدت في السبعينات الى الاجابة عن السؤال الذي طرحناه ، حول مسيرة الشعب الفلسطيني في اطار ثورته خلال العقد الماضي ، وحول موقف منظمة التحرير الفلسطينية اليوم وهي تستقبل الثمانينات .

لقد تفاعلت منظمة التحرير مع الاحداث التي عاشتها المنظمة فأثرت فيها الى حد ليس بالقليل ، وتأثرت بها الى حد ليس بالقليل . وشقت طريقها وسط هذه الاحداث، وتابعت النضال في داخل الوطن المحتل وخارجه، وحققت نتائج هامة . وتوزع جهد المنظمة بين توجيه الضربات للعدو الصهيوني على الصعيدين العسكري والسياسي وتحقيق تقدم على طريق التحرير وبين حماية نفسها من الضربات التي توجه اليها . وقد خرجت من المعارك المتصلة التي خاضتها أشد قوة وصلابة .

يمكننا أن نشير هنا بايجاز الى أهم ما نراه في تحرك المنظمة خلال السبعينات ، ونميز بين ثلاث مراحل عبرها هذا التحرك :

* بدأت السبعينات بأزمة ايلول في الاردن ، وعانت الثورة منها ما عانت . ولكنها ما لبثت أن خرجت من هذه المعاناة وتابعت نضالها . ونجحت المنظمة في مطلع السبعينات في **استكمال هدف أساسي لها وهو تلاحم شعبها الفلسطيني بها** ، فأصبحت الممثل الحقيقي الوحيد لهذا الشعب . واستقرت مؤسساتها على أرض صلبة من الشوري والديمقراطية ، وتحقق في هذه المؤسسات حد أدنى من الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة . وهكذا اختتمت المنظمة مرحلة أولى هامة في نضالها .

* كذلك نجحت المنظمة عام ١٩٧٤ في **استكمال هدف أساسي آخر لها وهو اعتراف الدول العربية بها ممثلا شرعيا لشعب فلسطين** . وقد اتخذ هذا الاعتراف صفة العضوية الكاملة في جامعة الدول العربية عام ١٩٧٧ . وكان ذلك تعبيرا عن استكمال تأييد امتها العربية لها . وهكذا اختتمت المنظمة مرحلة اخرى هامة في نضالها .

* وغذت منظمة التحرير السير في اعقاب حرب ١٩٧٣ **للحصول على اعتراف العالم بها وبالحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين** . وكانت بعض الفصائل قد وجهت جزءا من نشاطها لعمليات في الساحة الدولية ضد اهداف صهيونية لفتت الانظار الى المشكلة . كما وجهت المنظمة جزءا من نشاطها السياسي للنفاذ في بعض مجالات الساحة الدولية . **وهكذا دخلت المنظمة المرحلة الثالثة الحاسمة في نضالها ، التي تصل بها الى حصولها على الشرعية الدولية ومن ثم بلوغ أهدافها .**

اعطت المنظمة اهتماما **للكفاح المسلح** ضد العدو الصهيوني داخل فلسطين المحتلة . وقد اتخذ هذا الكفاح المسلح صورة عمليات عسكرية تقوم بها المقاومة الشعبية في الداخل ، وصورة عمليات عسكرية توجه الى الداخل من قواعد الثورة في الخارج ، ونلاحظ أن المقاومة

المسلحة حققت تصاعدا يلفت النظر وتطويرا في اساليبها في قطاع غزة والضفة الغربية في اوائل السبعينات ، الامر الذي دفع العدو الى مضاعفة جهوده للقضاء عليها . واستمرت هذه المقاومة على الرغم من ذلك ضمن حد معين في القطاع وفي الضفة الغربية وسط ظروف بالغة الصعوبة وعلى الرغم من كل وسائل القمع الاسرائيلي . وما زالت مستمرة تقدم صورا من بطولات شعب فلسطين .

كذلك تتابعت عمليات المقاومة الموجهة من خارج فلسطين وتنوعت وقامت بدورها مع عمليات الداخل خلال حرب رمضان . وطرحت في بعض الاحيان نماذج متطورة تجلت فيها بطولات شعب فلسطين .

بقي معدل عمليات الكفاح المسلح خلال السبعينات محافظا على مستوى معين لا يتجاوزه . ولم يصل هذا المعدل الى حد يغير من طابع المواجهة مع العدو . وكانت جل الجبهات العربية مغلقة امام هذه العمليات . كما لم تستطع المقاومةالمسلحة بناء قواعد ثابتة لها في الداخل . وبقيت هناك نسبة من العمليات يجري كشفها قبل ان تنفذ . ونمت قوة المنظمة على الصعيد العسكري نموا لا بأس به . واستوعبت بعض الاسلحة المتطورة ، ولكن هذا التطور والنمو بقي محدودا . وعانت قوة المنظمة العسكرية من بعض اوضاع جيش التحرير ومن تعدد الفصائل .

وخاضت المنظمة معارك دفاعية في مواجهة محاولات العدو تصفية وجودها في لبنان . وكانت اشد هذه المعارك ضراوة ما سمي**بحرب الايام الثمانية في اذار ١٩٧٨** . وقد خرجت المنظمة من هذه المعارك اكثر قوة .

واجبرت المنظمة على دخول معارك مع اطراف عربية خلال وجودها في لبنان منذ عام ١٩٦٩ . فكان هناك اشتباك عام ١٩٧٣ . ثم جاءت الازمة اللبنانية التي استمرت سنتين بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٧ . وقد اثرت هذه المعارك على الكفاح المسلح داخل الوطن المحتل تأثيرا سلبيا .

اهتمت المنظمة خلال هذا العقد **بتصعيد نضالها السياسي داخل فلسطين المحتلة وخارجها** .وبذلت في هذا النضال جهودا كبيرة ، ونجحت المنظمة من خلاله في تحقيق نتائج هامة .

فعلى صعيد الوطن المحتل استمرت المقاومة الشعبية للاحتلال . وتجلت في الانتخابات البلدية حيث فاز مرشحو المنظمة . وخاضت قيادات الداخل معارك سياسية متصلة كان لها دور لفت انظار العالم . وبلغ النضال السياسي احدى ذراه في انتفاضة يوم الارض في الجليل عام ١٩٧٦ . واتجهت قيادات فلسطينيي المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ الى الالتحام بمنظمة التحرير . واصبحت **المنظمة بحق الممثل الوحيد لشعب فلسطين** . ودللت مجموعة اختبارات على صدق هذه المقولة . وكان من آخر هذه الاختبارات محاولات اشراك فلسطينيي الضفة والقطاع في مفاوضات الحكم الذاتي ضمن اطار كامب دافيد ، وقد فشلت هذه المحاولات فشلا ذريعا .

وعلى صعيد شعب فلسطين في اماكن تجمعه المختلفة ، نجحت المنظمة في التواصل مع

ابناء فلسطين وفي حشد جانب من طاقاتهم تتناسب مع الظروف المحيطة بهم . ونظمت قطاعات منهم على الصعيد المهني . وبقيت قطاعات اخرى تفتقر الى التنظيم الشعبي . وبنت عددا من المؤسسات الخاصة بهم . وتولت رعاية بعض نشاطاتهم في بعض اماكن التجمع . واصبحت على الصعيد المعنوي المسؤول عن كل فلسطيني ، وعلى الصعيد المادي مسؤولة عن قطاع منهم، وتجاوزت اهتماماتها الجانبين العسكري والسياسي الى الجوانب الاقتصادية والثقافية والتربوية والاجتماعية والصحية .

واستقر **بناء المنظمة الدستوري على اساس راسخ من خلال الممارسة في ظل المؤسسات الدستورية** ، وانتظمت العلاقة بين المجلس الوطني والمجلس المركزي واللجنة التنفيذية والدوائر والجيش والفصائل . كما تحددت صيغة العلاقات بين الفصائل على ارض المنظمة . وتبلورت الى حد ليس بالقليل**طريقة صنع القرار** . وقدمت هذه الممارسة بمجملها تجربةديمقراطية ثورية **تستحق التقدير** .

كان من أهم ما فعلته المنظمة ، خلال السبعينات ، هو طرحها **برنامجاً سياسياً حددت فيه اهدافها وطرحت افكارا واضحة لكيفية تحركها** على طريق بلوغ هذه الاهداف . وقد طرحت المنظمة عام ١٩٦٩ **صيغة الدولة الديمقراطية في فلسطين** التي يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون مواطنين متساوين ، كحل عادل للصراع . وفي عام ١٩٧٤ **طرحت فكرة السلطة الوطنية على أي** جزء من فلسطين يتحرر ، ضمن برنامج النقاط العشر . ثم طرحت عام ١٩٧٧**فكرة قيام دولة فلسطينية** على أي جزء من فلسطين ينسحب منه العدو . وحددت الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني : حقه في العودة وفي تقرير المصير وفي اقامة الدولة المستقلة ذات السيادة . وقد ابرز خطاب رئيس المنظمة في الامم المتحدة هذه الافكار فتحدث عن الحكم الفلسطيني بدولة فلسطين الديمقراطية . ورحب أن يعيش اليهود الموجودون على ارض فلسطين مع العرب بسلام بعد ان ينبذوا العدوان . وطرحت **فكرة اقامة حكومة فلسطينية في المنفى** عدة مرات خلال السبعينات ، ولكن المنظمة لم تستجب لها مقدرة ان الشروط اللازمة لإقامتها لم تستكمل بعد .

قاوم الكيان الصهيوني فكرة الدولة الديمقراطية في فلسطين مقاومة شديدة واعتبرها تستهدف تقويض دولة اسرائيل . تماما كما قاوم فكرة اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين واعتبرها تهديدا لامن اسرائيل والنقيض لدولة اسرائيل . ولكن طرح المنظمة للفكرة الاولى ثم للفكرة الثانية لاقى تجاوبا في قطاعات من الرأي العام العالمي وفي دول كثيرة . ومهد لاقامة علاقات بين المنظمة وبين هذه القطاعات والدول . وقد رحبت غالبية الدول العربية بافكار المنظمة ، ولكن بعض هذه الدول تحفظ على هذه الافكار . ولم يقبل بفكرة اقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين ، حتى انعقد مؤتمر بغداد واتخذ قرارا بهذا الشأن ضمن تصوره للحل العادل الشامل ، فزال التحفظ على الصعيد الرسمي (٩) .

اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بالبرنامج الوطني للمنظمة، وعلى الخصوص بهدف المرحلة الراهنة وصلته بالهدف النهائي . خصوصا بعد ان ادى ابرام اتفاق كامب دافيد وما اقترن به من ممارسات صهيونية في الوطن المحتل الى نزوع للتشـــدد في بعض

اوساط الساحة الفلسطينية والساحة العربية عموما ، والى احساس بعدم جدوى « الواقعية العملية » ، وضرورة الوصول الى الهدف النهائي . وقد تجلى ذلك بوضوح في مؤتمر حركةفتح، كبرى التنظيمات الفلسطينية، الاخير .

من هذه الاسئلة المطروحة :

ماذا يجب ان يتضمن برنامجنا الوطني ونحن على ابواب الثمانينات ؟

هل يمكن ميزان القوى الراهن من تحقيق هدف اقامة دولة فلسطين الديمقراطية من خلال تسوية سياسية ؟

هل نقبل باقامة دولة على جزء من التراب الفلسطيني إن تمكن ميزان القوى الراهن من فرض انسحاب اسرائيل من هذا الجزء ؟

هل تكون اقامة هذه الدولة خطوة على طريق بلوغ الهدف النهائي ام عقبة في طريق بلوغه ؟

ما هي الشروط التي يمكن بها ان نقبل اقامة دولة فلسطين على جزء من التراب ؟

ما هو موقفنا من النشاط السياسي إن كان ميزان القوى الراهن لا يصل بنا الى الحد الادنى الذي نتطلع اليه ؟ هل نحد منه ونوجه طاقاتنا للعمل العسكري ؟ هل نجعل الهدف منه التمهيد للحسم العسكري ؟

كيف نصعد عملنا العسكري داخل الوطن المحتل ؟ وكيف نعد للحرب العربية الاسرائيلية القادمة ؟

تحركت المنظمة بنشاط على **الصعيد العربي** ، واهتمت بعلاقاتها العربية مستشعرة بعمق حقيقة كونها جزءا من الدائرة العربية . وتميزت هذه العلاقات **بالتداخل النابع من وجود ارتباط عضوي** بين الجسم الفلسطيني والدول العربية ، من خلال ثقل الوجود الفلسطيني في بعض هذه الدول المجاورة لفلسطين وفي الجزيرة العربية ، ووجود ارتباط عضوي بين فصائل الثورة والمؤسسات الحاكمة في هذه الدول . الامر الذي جعل صورة **هذه العلاقات تبدو غاية في التعقيد والتشوش احيانا** . ويمكننا ان نستخلص الخطوط الرئيسية التي ترسم هذه الصورة ان امعنا النظر فيها .

* حرصت المنظمة على الحفاظ على **دائرة خاصة بها تعبر فيها عن استقلالها** . وقاتلت قيادة المنظمة حفاظا على هذه الدائرة التي بدت صغيرة على العموم وكانت تتسع وتضيق احيانا بحسب الظروف . وجاء هذا الحرص تعبيرا عن تمسكها بسياسة استقلال القرار الفلسطيني .
* تمسكت المنظمة جهد المستطاع بسياستها القائلة بعدم التدخل في الامور الداخلية للدول العربية ، وهي سياسة تنسجم مع سياسة استقلال القرار الفلسطيني . وكانت تعمد الى التدخل كرد على التدخل في ما تعتبره تدخلا في ساحتها الفلسطينية ومساسا بدائرة استقلالها .
* حاولت المنظمة جهدها ان توفق بين ارتباطاتها الرسمية مع الدول العربية وصفتها كمنظمة رسمية تتعامل مع هذه الدول ، وبين علاقاتها الشعبية وتفاعلاتها مع قوى التغيير في هذه الدول وصفتها كمنظمة ثورية تقود ثورة شعبية هي قبلة انظار الثوار العرب .

ولم تكن المحاولة سهلة **ابدا في عملية الجمع بين ما اصطلح على تسميته بالعمل العربي الموحد والعمل العربي الثوري** . ومع ان المحاولة نجحت الى حد ما الا **انها سببت**

سوء فهم في الدول العربية و في اوساط المنظمة على السواء . ولم تبذل الجهود اللازمة لازالة سوء الفهم هذا **بشرح طبيعة العلاقات على ضوء طبيعة تكوين اطرافها** [١٠]

* تحركت قيادة المنظمة بين مختلف اطراف الدائرة العربية واقامت علاقات ثنائية معها وشاركت في تحالفاتها المختلفة والمتعارضة احيانا ، ودخلت كوسيط في النزاعات التي تقوم بين بعض هذه الاطراف . وقد حكمها في تحركها هذا ادراك بأهمية المبادرة والفعل ، واستشعار لدورها المعنوي كثورة ، ووعي بحدة تأثرها بالاحداث العربية المحيطة ، واحساس بقيمة عمقها ، وحرص على عدم وقوعها اسيرة أية صيغة تفقدها استقلال القرار الفلسطيني .

حين ننظر في **حصيلة علاقات المنظمة على الصعيد العربي خلال السبعينات** نرى ان قيادة المنظمة نجحت في **احتلال مكان هام من الصورة العربية** .ونجحت ، حسب وجهة نظر بعض المراقبين ، في الخروج من مآزق صعبة حصرت فيها ، فاستمرت بفعالية تؤثر في الدائرة العربية . ونلاحظ ان علاقاتها سارت وتوترت مع عدد من الدول العربية واحدة بعد الاخرى ، ولكنها لم تصل فقط الى طريق مسدود ، بل عادت وانفرجت ثم تحسنت من جديد. ونلاحظ ان **علاقات خاصة** ربطتها بدول عربية بعينها بحكم الجغرافيا احيانا، وبحكم الظروف السياسية المحيطة احيانا اخرى . ويلاحظ بعض المراقبين ان **قيادة المنظمة لم تكن طوبائية في نظرتها الى العلاقات العربية فتعاملت معها بواقعية عملية « براجماتية »** .وهذا في رأيهم ما ساعدها على البقاء والاستمرار . كما يلاحظ البعض **انها لم تحرص على بناء الموقف العربي الواحد** لان « الاختلاف في الساحة العربية رحمة وليس نقمة » فيما يختص بالنضال من اجل تحرير فلسطين في رأي هؤلاء . وقد وجد تيار قوي في قيادة المنظمة يرى غير ذلك ، ويعتقد ان بناء الموقف العربي الواحد يقوي المنظمة ويمكنها من القيام بدور هام في قيادته ويمنع الانفراد الذي تسعى اليه اسرائيل في تسوية الصراع . وايا كان الحال فان السبعينات اوصلت الى طرح مجموعة اسئلة تخص علاقات المنطقة العربية . ولا بد من اجابات واضحة على هذه الاسئلة:

ما هو مستقبل وجود المنظمة في لبنان ، وكيف تنظم العلاقة الفلسطينية اللبنانية وتقنن ؟

ما هي الصيغة الامثل للعلاقة الفلسطينية الاردنية من اجل بلوغ هدف التحرير ؟

كيف تعزز العلاقة الفلسطينية السورية ، وكيف يتحقق الانسجام بينها وبين كل من العلاقتين السابقتين ؟

بتعبير آخر : ما هي خريطة العلاقات العربية في ما اصطلح على تسميته بسورية الكبرى ؟

كيف نعمل من اجل بناء الجبهة الشمالية الشرقية ؟ وما هو الدور الذي يمكن للعراق القيام به في النضال من اجل التحرير ؟ وكيف تعزز العلاقة الفلسطينية العراقية ؟

كيف نعمل من اجل بناء جبهة الدول النفطية في الجزيرة العربية ؟ وما هو الدور الذي يمكن لهذه الجبهة ان تقوم به في النضال من اجل التحرير ؟

ما هي رؤية المنظمة لدور العمل العربي الموحد في النضال من اجل التحرير على الصعيد العسكري وعلى صعيد العلاقات الدولية ؟

كيف نعمل فلسطينيا وعربيا لمواجهة اتفاق كامب دافيد في مصر واعادة مصر الى المجموعة العربية ؟

م .ت .ف.على الصعيد الدولي

كثفت المنظمة نشاطها بعد حرب رمضان عام ١٩٧٣ على الصعيد الدولي ، مدركة طبيعة المرحلة التي دخل فيها النضال الفلسطيني ، ومستشعرة اهمية البعد الدولي في حل الصراعات ، وواعية المكانة التي تحتلها الثورة الفلسطينية في عالمنا كواحدة من اكبر حركات التحرير المعاصرة ، وكأولى هذه الحركات بعد انتصار فييتنام ورمز للثورة العالمية . وتحركت المنظمة على عدة صعد في النطاق الدولي ، فاقامت صلات مع التنظيمات الشعبية والاحزاب في عدد من الدول ، ومع المنظمات الشعبية الدولية ، ومع الدول على صعيد ثنائي ، ومع المجموعات الدولية ، ودخلت في المنظمات الدولية المختلفة .

اصبحت المنظمة عضوا مراقبا في منظمة الامم المتحدة عام ١٩٧٤ . وبدأت تشارك بهذه الصفة في مختلف نشاطات المنظمة الدولية والمنظمات المتفرعة عنها . واذا كان قرار دخول المنظمة في الامم المتحدة قد تم بموافقة اغلبية الساحة الفلسطينية ، ووجد عند ذاك من يهاجم هذه الخطوة ، فقد اكدت التجربة العملية مدى سلامتها واصبحت القناعة بها شاملة . وبعد ان اصبحت المنظمة عضوا مراقبا في اليونسكو ومنظمة العمل الدولية والمنظمة الصحية وغيرها، تطلعت لكي تصبح عضوا في صندوق النقد الدولي .

انطلقت المنظمة من هذه الخطوة الى اقامة علاقات ثنائية مع العديد من الدول وافتتحت مكاتب لها فيها . وقد اعطت اهتماما لدول العالم الثالث في دوائره الاسلامية والافريقية والآسيوية وعدم الانحياز ، واصبحت عضوا كامل العضوية في المؤتمر الاسلامي ومؤتمر عدم الانحياز وعضوا مراقبا في مؤتمر الوحدة الافريقية .

وقد شهدت نهاية السبعينات افتتاح مكتب للمنظمة في ايران احتل مبنى السفارة الاسرائيلية التي جرى اغلاقها بعد انتصار الثورة الاسلامية هناك ، وافتتاح مكتب للمنظمة في تركيا تبعته زيارة رسمية لرئيس اللجنة التنفيذية الى انقرة . وهكذا تم طرد اسرائيل من العمق العربي في الشرق ـ نعني ايران ـ وبقي ان تطرد من العمق العربي في الشمال ـ نعني تركيا ـ وفي الجنوب ـ نعني اثيوبيا ـ ليتحقق مزيد من امن الوطن العربي ونستكمل عزلها وشلها عن العدوان .

واعطت المنظمة اهتماما لعلاقاتها بدول المنظومة الاشتراكية التي يقودها الاتحاد السوفياتي ، وحرصت على تقوية اواصر الصداقة مع هذه الدول . وافتتح مكتب للمنظمة في موسكو اخذ وضعا رسميا واستقبل رئيس المنظمة عدة مرات رسميا والتقى بامين عام الحزب وكبار القادة . وحدث مثل ذلك في دول اوروبا الشرقية . وقد اعلن الاتحاد السوفياتي تأييده للحقوق المشروعة لشعب فلسطين ودعا الى تطبيق سريع لقراري ٢٤٢ و٣٣٨ الصادرين عن مجلس الامن .

وتابعت المنظمة تعزيز علاقاتها مع الصين التي كانت اول دولة خارجية تعترف بالمنظمة كجزء من موقف متكامل يعترف بالحق الفلسطيني .

وبذلت المنظمة جهدها للنفاذ الى اوروبا الغربية ، خلال السبعينات . وقد بعثت بمجموعة

مسؤولين اعلاميين تحركوا من خلال مكاتب اعلام جامعة الدول العربية . وتحركت على صعيد التنظيمات الشعبية والحزبية وعلى صعيد العلاقات الثنائية الرسمية وعلى صعيد الحوار العربي الاوروبي الحكومي والبرلماني . واتخذت موقفا ايجابيا من فكرة الحوار العربي الاوروبي وعملت من خلاله على ايجاد حقائق جديدة تصل بالدول الاوروبية الى تطوير موقفها والاعتراف بالحق الفلسطيني وبالمنظمة . وقد وصلت دول المجموعة الاوروبية التسع الى الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني في بيان البندقية حزيران ١٩٨٠ كما سبق ان ذكرنا . وكانت النمسا من بين الدول الاوروبية الاخرى قد اتخذت موقفا متقدما واعترفت بالمنظمةرسميا، ومثلها كانت اسبانيا . وقد نجحت المنظمة بالتعاون مع الدول العربية في تطوير مواقف الدول الاوروبية من الحقوق الفلسطينية خلال العقد الماضي . ولكن هذه المواقف بقيت تحاول الموازنة بين هذه الحقوق وبين ما تسميه « امن اسرائيل » . كما بقيت تتأثر الى حد كبير بالموقف الاميركي ، ولم يقدر لها ان تتجسد في اجراءات عملية بعد ، ولا ان تصوغ بمجموعها دورا اوروبيا واضحاً في العمل لبلوغ التسوية العادلة .

وجابهت المنظمة على مدى السبعينات سياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاه الصراع مجابهة شديدة ، وحاولت في النصف الثاني من العقد النفاذ الى قطاعات في الشعب الاميركي للتأثير على السياسة الرسمية الاميركية . وكانت الادارة الاميركية قد اسهمت بوضوح في تدبير ازمة ايلول في الاردن عام ١٩٧٠ ، ثم في تدبير ازمة لبنان ربيع عام ١٩٧٣ ، وتولت الاجهزة الامريكية القيام بدور بالغ الخطورة في حرب السنتين تنفيذا للسياسة التي رسمها هنري كيسنجر والتي اتجهت الى فرض التسوية على مراحل والى ابعاد منظمة التحرير الفلسطينية والى رفض فكرة اقامة دولة فلسطينية . وقد عمد كيسنجر الى تقييد الحكومة الاميركية بالاتفاقيات السرية التي ابرمها مع اسرائيل والحقها باتفاقية سيناء عام ١٩٧٥ بين مصر واسرائيل . وحين تولت ادارة الرئيس كارتر في مطلع عام ١٩٧٧ تحدثت عن وطن للفلسطينيين ثم عن الحقوق المشروعة للفلسطينيين في البيان السوفياتي الاميركي بعد ان كانت السياسة الاميركية تتحدث عن المصالح المشروعة للفلسطينيين .

ولكن هذه الادارة اعتمدت سياسة متذبذبة تقوم على التقدم والتراجع . فكان ان اشارت الى حق تقرير المصير ، ثم تراجعت الى المشاركة في حق تقرير المصير ، ثم الى المشاركة في صنع مستقبلهم ، وتراجعت عن البيان وابرمت اتفاقيات كامب دافيد التي جسدت هذا التراجع . واتجهت في صيف عام ١٩٧٧ الى تعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ شريطة اعتراف المنظمة بالنص الخاص بضمان امن جميع دول المنطقة . ثم اتجهت في مطلع عام ١٩٧٨ الى سياسة الاجهاز على المنظمة التي عبر عنها بريجنسكي « مستشار الامن القومي » « وداعاً لمنظمة التحرير » . ثم لم تلبث، مع فشل هذه السياسة، ان اعادت النظر فيها ، وبدأت تفكر بموقف آخر . وقد بدت هذه السياسة مناقضة لشعار حقوق الانسان الذي رفعته ادارة الرئيس كارتر وسبب تذبذبها عدم ثقة اكثر الدول العربية بها وفقدان احترامهم لها .

تصدت المنظمة لهذه السياسة بعناد شديد ووظفت علاقاتها العربية والدولية لمقاومتها ونجحت في الصمود امامها . ورفضت الاستجابة للشرط الاميركي لمباشرة الحوار معها . وقامت في الوقت نفسه بجهود تلفت النظر للنفاذ في بعض اوساط الشعب الاميركي . ووضعت نصب

اعينها ان تصبح قضية فلسطين واحدة من القضايا التي تؤثر على ضميره وعلى مصالحه . ونجحت في اقامة صلات محدودة مع بعض رجال الكونغرس ، ثم مع بعض قيادات السود ، ورجالات الحركة المعادية للحرب ، وقامت مؤخرا بتنظيم الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة والتواصل مع الجالية العربية هناك .

لقد اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بعلاقات المنظمة الدولية وبالسياسات الدولية في المنطقة .

هل طرأ تغير على مكان اسرائيل في الاستراتيجية الاميركية تجاه منطقة الوطن العربي بعد اتفاق كامب دافيد ؟

هل ستغير الولايات المتحدة موقفها من منظمة التحرير الفلسطينية ؟ وهل ستعترف بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين ؟

هل يتم التوصل الى اتفاق بشأن منطقة الوطن العربي بين الدولتين العظميين ؟

كيف يمكن ان يطور الاتحاد السوفياتي موقفه من الحقوق الوطنية لشعب فلسطين ؟

كيف نوجه العلاقة السوفياتية ـ العربية والسوفياتية ـ الفلسطينية لفرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ؟

كيف يمكن ان نوجه اوروبا الغربية للقيام بدور فعال في فرض انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ؟

كيف نعمل لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية ، ولفرض العقوبات عليها ، ولتمكين الامم المتحدة على تنفيذ قراراتها ؟

جهود م . ت . ف . في الاوساط اليهودية

لا يكمل هذا الحديث عن جهود المنظمة على شتى الصعد الا بتطرقنا الى الصعيد الاسرائيلي اليهودي

لم تهمل المنظمة في تحركها خلال السبعينات هذا الصعيد ، واعطته شيئا من اهتماماتها . وكان ذلك امرا جديدا في النضال الفلسطيني والعربي عامة . وقد تفاعل في الوصول اليه عاملان : اولهما هو ازدياد معرفة الثورة الفلسطينية بواقع اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ نتيجة تقدم الدراسات الفلسطينة في هذا الميدان ونتيجة التفاعل المباشر في ساحة الصراع داخل الاراضي المحتلة . والعامل الآخر هو الثقة بالنفس التي اورثتها الثورة الفلسطينية للفلسطيني والعربي عامة ، والتي ابرزت منطق الفعل والتأثير . وهكذا اصبح النضال الفلسطيني يتتبع دقائق ما يجري داخل الكيان الاسرائيلي ويحاول التأثير عليه ، وكان النضال قبل ذلك يتعامل مع هذا الكيان من خلال نظرة عمومية غير دقيقة لا تثمر الا احكاما عامة . ولكن يمكن القول في الوقت نفسه ان المنظمة لم تعط هذا التحرك الاهتمام اللازم كله ، وتقيدت حركتها فيه برواسب المرحلة السابقة وبضغوط اسرى العموميات في الساحة العربية وبعدم الوضوح الكامل فيه .

تعرفت المنظمة على حركات الرفض الاسرائيلية التي ظهرت اواخر الستينات كـ« ماتسبن » ، واحتكت بفلسطينيي الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ لأول مرة - وهم جزء من الشعب الفلسطيني انقطع التواصل معه بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ - واوصلها ذلك الاحتكاك الى التعرف على حزب راكاح الشيوعي الاسرائيلي ، الذي يضم عددا هاما من هؤلاء الفلسطينيين ، ثم الى التفاعل معه . كما تعرفت المنظمة على مواقف افراد اسرائيليين يرفضون التوسع الصهيوني ، ومواقف آخرين يقلقهم الارهاب الصهيوني الموجه لعرب فلسطين ، ودرست المنظمة بعناية برامج الاحزاب الاسرائيلية وحددت مواقع كل منها .

كذلك التقت المنظمة ، خلال تحركها على الساحة الدولية بعناصر يهودية تقدمية ترفض الصهيونية كليا او جزئيا ، وتدعو الى وقف التوسع الصهيوني ووقف الارهاب الصهيوني الموجه لعرب فلسطين . ودرست المنظمة دراسة اولية طبيعة تكوّن التجمعات اليهودية في الولايات المتحدة واوروبا الغربية واوروبا الشرقية ، والعوامل التي تؤثر في توجهاتها ، واقامت علاقات مع العناصر التقدمية فيها .

وانطلقت المنظمة من تفريقها بين الصهيونية واليهودية الى اتخاذ موقف ينادي بالحوار مع القوى التقدمية اليهودية والتعاون معها في مواجهة الاطماع الصهيونية . كما اتخذت موقفا واضحا يؤيد بقوة حجة اليهود في العيش على قدم المساواة في اوطانهم مع مواطنيهم بما في ذلك يهود الوطن العربي[١١] . ورحب خطاب فلسطين في الامم المتحدة عام ١٩٧٤ بأن يعيش اليهود في فلسطين مع شعب فلسطين بسلام بعد ان ينبذوا العنصرية الصهيونية . ثم قرر المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٧٧ التوجه للحوار مع القوى التقدمية اليهودية . وقامت منظمة التحرير باللقاء مع حزب راكاح باعتباره ينكر الصهيونية . وشهدت السبعينات دخول افراد اسرائيليين في تنظيمات الثورة ومشاركتهم في بعض العمليات . كما شهدت توجه عدد من القيادات الاسرائيلية المعارضة للحوار مع المنظمة . وقد جابهت الاحزاب الصهيونية هذا التوجه بشدة تلفت النظر . كما قاومت هذا التوجه في المجتمعات اليهودية في العالم .

وعلى الرغم من ان تحرك المنظمة على هذا الصعيد اوصل الى نتائج اولية هامة ، وبدت فيه القوى الاسرائيلية الصهيونية في موقع الدفاع والعزلة وهي ترفض الاعتراف بوجود منظمة التحرير ، فان حركة المنظمة في هذا المجال لم تأخذ مداها وقيدتها فكرة رفض الحوار مع اليهود التي سادت في مرحلة النضال السابقة فظهرت آنذاك كموقف دفاعي امام الهجمة الصهيونية ، وضغوط اسرى العموميات في الساحة العربية الذين بقوا يعيشون في ظل تلك المرحلة ولم ينتقلوا الى المرحلة الجديدة في فهم الغزوة الصهيونية والتعامل معها . واساء الى هذه الحركة احيانا عدم الوضوح والاقدام على خطوات لم يتم بحثها بشكل كاف ، الامر الذي ترك مجالا للتخوف والتحسب .

كانت اهم النتائج التي حققها هذا التحرك هو اسهامه في تفجير انتفاضات داخل الكيان الاسرائيلي في الاتجاه المعادي للصهيونية ، واسهامه في الاخلال في التطابق بين الحركة الصهيونية وتجمعات اليهود في عالمنا . ومن المؤشرات التي تلفت النظر ان عددا متزايدا من داخل اسرائيل وخارجها بدأ يرفض الصهيونية ، وان عددا آخر منهم ، ممن لا يزال يعتنق

الصهيونية ، يحاول ان يطرح لها مفهوما جديدا يزاوج بين اعتقاده انها حركة احياء يهودية وبين رفضه لممارساتها العنصرية .

لقد اوصلت السبعينات الى طرح مجموعة اسئلة تتعلق بتحرك المنظمة على صعيد يهود العالم واليهود الاسرائيليين :

كيف تصعد المنظمة مقاومتها المسلحة للاستيطان الصهيوني الذي اجمع العالم على ادانته ؟

كيف تحاصر المنظمة غلاة الصهيونية الاسرائيلية وغير الاسرائيلية ؟

كيف تغذي المنظمة الاتجاهات اليهودية المعادية للاستيطان والحرب والقمع ؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه اليهود العرب ومن بينهم يهود فلسطين العرب ؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه دعاة الصهيونية الجديدة الذين يحاولون طرح مفهوم جديد للصهيونية يرفض التوسع والممارسات العنصرية ؟

كيف تتحرك المنظمة في اتجاه دعاة الصهيونية الجديدة الذين يحاولون طرح مفهوم جديد للصهيونية يرفض التوسع والممارسات العنصرية ؟

كيف تتحرك المنظمة بين تجمعات يهود الولايات المتحدة واوروبا الغربية واوروبا الشرقية ؟

كيف تنظم المنظمة الحوار مع القوى التقدمية اليهودية ؟

* * * * * *

ان نظرة على حصيلة جهود المنظمة في السبعينات تبين انها اوصلت الى نتائج هامة جدا على صعيد بناء الكيان الفلسطيني وممارسة الكفاح المسلح واقامة شبكة واسعة من العلاقات على الصعيدين العربي والدولي ، وقد اجلنا الاستشهاد بما قاله الاستاذ يوسف تشايتس احد ابرز خبراء العدو في الشؤون العربية حول المنظمة في مجلة « آفاق اسرائيلية » لنختم به هذا الحديث .

« حين نتحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية لا نحكي عن قوة عددية ، فمن ناحية مدنية هناك شعب عدده ثلاثة ملايين نسمة او اكثر يضم مخيمات لاجئين وبورجوازيين واصحاب مهن حرة ونسبة كبيرة من ذوي الكفاءات العالية . وهناك من ناحية عسكرية عديد من المنظمات اكبرها واقواها « فتح » تضم آلافا من الرجال المسلحين .

تتمتع المنظمة بمكانة مرموقة في الدول العربية . فهي تحظى بالتأييد الشعبي . وليس هناك ممثل للشعب الفلسطيني سواها ، وليس ثمة شك على الصعيد الدبلوماسي في ان منظمة التحرير افضل حالا من اسرائيل . فعدد الدول التي اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية يزيد عن عدد الدول التي تعترف باسرائيل . وللمنظمة ممثلون في الدول الغربية والشرقية .

تعتبر منظمة التحرير نفسها اكثر المؤسسات ديموقراطية في العالم العربي . وانصافا للحقيقة يمكن القول انه لا توجد هناك دولة عربية واحدة توجد فيها اجراءات ديموقراطية الى ذلك الحد[١٢] » .

ذلك هو حديث الحاضر والماضي عن مسيرة الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية في خضم الصراع العربي الصهيوني على مدى السبعينات .

ومن خلاله تعرفنا على مختلف جوانب صورة الحاضر وحللناها ، ورسمنا مجرى الاحداث كما تتالت فيما اصبح ماضيا ، وطرحنا اسئلة محددة تتضمن الاجابة عليها رؤانا المستقبلية لهذه المسيرة في الثمانينات . وذلك هو حديث المستقبل الذي سنتناوله في مقال آخر .

---

(١) يراجع حول الدراسة المستقبلية ، من بين كتب اخرى :

قسطنطين زريق ، « **نحن والمستقبل** » بيروت ، دار العلم للملايين الطبعة الاولى ، ١٩٧٧ ؛ احمد صدقي الدجاني ، « **ماذا بعد حرب رمضان** » ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٤ .

(٢) فصلنا شرح هذه المراحل في كتابنا : « ماذا بعد حرب رمضان » ، **مصدر سبق ذكره** ؛ واشرنا الى كتاب جمال حمدان « **استراتيجية الاستعمار والتحرير** » ، كتاب الهلال .

(٣) مجلة « **النهار العربي والدولي** » باريس ، ٨/١١/١٩٧٩ .

(٤) هناك مجموعة كتب نشرت حول سياسة كيسنجر وتطبيقاتها في منطقة الوطن العربي ، نشير من بينها ، الى كتاب امين هويدى ، « **كيسنجر وادارة الصراع الدولي** » ، بيروت ، دار الطليعة ، الطبعة الاولى ،١٩٧٩ .

(٥) يراجع من بين دراسات عدة :

جورج لنكوفسكي ، « قوس الازمات » ، مجلة « **فورين افيرز** » ، ربيع ١٩٧٩ ، ترجمة مركز التخطيط، بيروت ؛ جون س . كامبل ، « اعباء السيطرة » ، **المصدر نفسه** ، صيف ١٩٧٩ ، ترجمة مركز التخطيط .

(٦) شرحنا تطور الحوار العربي الاوروبي والجانب السياسي منه بشيء من التفصيل في كتابينا : « **الحوار العربي الاوروبي وجهة نظر عربية ووثائق** » ، القاهرة ، الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٩٧٦ ؛ « **منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي - الاوروبي ووثائق** » ، بيروت ، م . ت . ف ، مركز الابحاث ، ١٩٧٩ .

(٧) فصلنا شرح آثار حرب رمضان على التجمع الاسرائيلي والاتجاهات الاسرائيلية بعد الحرب في كتابنا « ماذا بعد حرب رمضان » ، **مصدر سبق ذكره** .

يراجع بشأن بروز غوش ايمونيم و"السلام الآن" ، بحث يائيل يشاع ، « **المجموعات المؤثرة في السياسة الخارجية في اسرائيل** » ، المقدم لمؤتمر IPSA ١٩٧٩ .

(٨) شرحنا العلاقات العربية العربية في كتابنا « **العرب وتحديات المستقبل** » ،القاهرة ، الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٩٧٦ ، وفيه مقال « الصراع بين عرب وعرب » .

(٩) هناك مجموعة مقالات تعرض لتحرك المنظمة على الصعيد الفلسطيني في سلسلة اعداد مجلة « **شؤون فلسطينية** » . وتتضمن هذه الاعداد ثبتا بالعمليات الفدائية .

(١٠) تراجع « **شؤون فلسطينية** » ، للتوسع في التحرك الفلسطيني على الصعيدين العربي والدولي ، وكذلك مجلة « **دراسات فلسطينية** » التي تصدر بالانجليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

(١١) سعت المنظمة مع عدد من الدول العربية لاصدار اعلانات من هذه الدول تؤكد حق المواطنين اليهود الذين هاجروا منها في العودة . كما سعت لرفع اية اجراءات استثنائية طبقت عليهم بسبب الصراع ، ونجحت في ذلك الى حد كبير .

(١٢) مجلة « **آفاق اسرائيلية**» (*Israel Horizons*) ، مقابلة مع البروفسور تشايتس ، كانون اول ١٩٧٩ .

العميد سعد صايل

عمل الثورة الفلسطينية العسكري وآفاق تطوره

مقابلة أجراها: المقدم الطيار حسين عويضة وفيصل حوراني

تولى العميد سعد صايل « ابو الوليد » منذ التحاقه بالقوات العسكرية للثورة الفلسطينية في أيلول ١٩٧٠ مسؤوليات عسكرية بارزة ، فقد قاد لواء اليرموك ، ثم عين مديراً لفرقة العمليات المركزية المشتركة في لبنان ، وتولى امانة سر القيادة العامة لقوات الثورة . وانتخب العميد صايل في حزيران ١٩٨٠ من قبل المؤتمر العام الرابع لحركة « فتح » لعضوية اللجنة المركزية للحركة ولعضوية القيادة العامة لقوات العاصفة .

وقبل التحاقه بقوات الثورة الفلسطينية كان العميد صايل ضابطاً في الجيش الاردني ، انتسب اليه عام ١٩٥١ ، بعد انهائه لدراسته الثانوية في نابلس ، ودرس في معاهد عسكرية في لاردن وعدد آخر من البلاد العربية ، ثم شهد دورات تخصص في بريطانيا والولايات المتحدة ، وفي الاخيرة أتم دراسته في كلية الاركان العسكرية . وتسلم في هذا الجيش مسؤوليات عسكرية عدة ، وكان قائد هندسة فرقة مشاة ثم قائد لواء مشاة ، وهو المركز الذي تركه عندما التحق بقوات الثورة .

وفيما يلي وقائع هذه المقابلة التي اجرتها « شؤون فلسطينية » مع العميد سعد صايل في اواخر حزيران ١٩٨٠ :

س : الاخ العميد ، أنت اول عسكري محترف يصل الى عضوية اللجنة المركزية لحركة فتح ، فهل تعتبر هذا تقديراً شخصياً لكفاءاتك ودورك في الثورة ، فقط ، ام انه تعبير عن حالة موضوعية ؟

ج : يحتار المرء في الاجابة على سؤال كهذا ، لكني اعتقد ان الثورة الفلسطينية ، التي تعتمد استراتيجية الكفاح المسلح ، معنية تماماً بالالتفات الى القدرات العسكرية كافة ، خصوصاً أن الكفاح المسلح ، الذي اعتقد بأنه الاستراتيجية الصحيحة ، كان الرد الحازم على كل المحاولات التي تمت لحل القضية الفلسطينية حلولاً سلمية ، والتي لم تعط اية نتيجة . وهذا ما حمل الشعب الفلسطيني على الاقتناع بضرورة اعتماد استراتيجية جديدة ، بحيث يعتمد فيها اولاً على نفسه ويشكل الطليعة للامة العربية . واعتقد انه من هنا جاء اهتمام الثورة

الفلسطينية بالكفاءات والقدرات العسكرية . وهي لم تهتم فقط بجمع الكفاءات العسكرية بل اهتمت أيضاً بتنميتها داخل الثورة من مختلف الوجوه .

س : في قيادة الثورة كثيرون مارسوا الكفاح المسلح ، وسؤالنا موجه اليك بوصفك اول ضابط اكاديمي يصل الى هذا المركز ؟

ج : هناك كوادر اكاديمية عسكرية كثيرة في الثورة .

س : عندما ابتدأت الثورة كان من الممكن لأي انسان ان يحمل السلاح ، وكان هذا يتم في احيان كثيرة بغير دراسة او تأهيل عسكريين ، وفي مقدور الانسان ان يترقى في سلم المسؤوليات والكوادر طبقاً لنشاطه واندفاعه وحماسه الوطني ، وقد تبدلت الصورة الآن لصالح الدراسة والتأهيل الى جانب الحماس الوطني ، فهل ترى في انتخابك لعضوية اللجنة المركزية لفتح تعبيراً عن هذا التطور ؟

ج : اريد ان اوضح شيئاً حول هذا الموضوع: ان افضل المقاتلين يتدرب من خلال القتال . لكن ، يبقى شيء وهو أنه لا بد من صقل مفاهيم هذا المقاتل وتهيئته باستمرار لقدرات وطاقات اكبر . لذلك لا بد ان يمر المقاتل بادوار تأهيلية ومنها الدراسة العسكرية الاكاديمية ليحصل على ثقافة عسكرية . وفي الحقيقة وجدنا كثيراً من اخواننا المقاتلين غير مؤهلين عسكرياً في حين أن لديهم تجربة قتالية عملية وكانت لهذه التجربة أهمية كبيرة عند تأهيلهم ، وصار من السهل الحاقهم بالاكاديميات العسكرية . والكثيرون منهم يفيدون الاكاديميات مقدمين الخبرات التي اكتسبوها بالممارسة العملية . والمدارس العسكرية تقدر في العادة التجارب والخبرات وتضيف حصيلتها الى دروسها ، فالدروس ليست كلها نظرية ، وهي تعتمد باستمرار على التجارب والخبرات . والآن فقط اصبح لدينا كادر عسكري مؤهل .

س : كيف تطورت التجربة من البداية التي اعتمدت على الاندفاع والحماس الى التأهيل المنظم ؟

ج : بداية ، اعتمدت الثورة على الدوافع الموجودة لدى المقاتل ، على حماسه الوطني ورغبته في العطاء والتضحية . وهذه صفات يعد توفرها في المقاتل امراً أساسياً لانه يخوض معركة معقدة وشرسة مع عدو قوي لا تجوز الاستهانة بقدراته . ومثل هذا المقاتل استطاع اكتساب خبرات جيدة في ميدان القتال . ثم اخذنا في انشاء معاهد متواضعة داخل الثورة الفلسطينية ، هدفها صقل خبرات المقاتلين وتوحيد مفاهيمهم العسكرية وتزويدهم ببعض المعارف العسكرية النظرية المطروحة في العالم . وبعدها وجدنا من الضروري ان يطلع مقاتلونا على ما يستجد من معارف عسكرية وان يطوروا ثقافتهم وقدراتهم ، فارسلنا مقاتلينا الى المعاهد العسكرية في دول صديقة كثيرة وفرت لهم مدارك اكثر في الفهم العسكري ، ومكنتهم من أن يطلعوا على نظريات عسكرية اخرى غير التي يعرفونها من خلال تجاربهم في الثورة . وكل ذلك ساهم في صقل المقاتل ووضعه في الطريق الصحيح حتى يتقن استخدام الاسلوب الذي نعتمده وهو اسلوب حرب العصابات . وكما تعلمون فإن المدارس السائدة في العالم هي المدارس الشرقية والغربية ، ويستطيع مقاتلنا الاطلاع على نظريات النوعين ، ويتمكن بالتالي من

استخلاص الاسلوب الملائم لوضعنا ولطبيعة قتالنا مع العدو . وفي اعتقادي ان المقاتل الفلسطيني استطاع فعلاً أن يصل الى مرتبة من الفهم العسكري لا بأس بها اذا ما قيست مع المؤهلات العامة .

س : هل يمكننا القول بأن كل المقاتلين مؤهلون ، وبأن عندكم القدرة على تأهيل الجميع ؟

ج : يتم تأهيل المقاتل داخل الثورة من خلال معاهدها . والبعض يحصلون على التأهيل في المعاهد العسكرية للدول الصديقة ، وبعد عودتهم منها نعيدهم لمعاهدنا حتى يصقلوا المفاهيم التي حصلوها بما يتلاءم مع وضع الثورة الفلسطينية ومتطلباته . واستطيع ان أقول : ان ٨٠ بالمائة من الكوادر العسكرية للثورة ، من مقاتلين وضباط ، قد أهلوا عسكريا او اعيد تأهيلهم بعد الخبرات التي اكتسبوها في القتال .

س : يقودنا هذا الى نقطة اخرى ، ونحن نذكر ان « فتح » كانت عند انطلاقها تعترض على اقامة جيش نظامي محترف وتعتبر ذلك عملية لا لزوم لها ، فأين تقفون الآن بين المقاتل الشعبي المؤهل في قوات الثورة والجندي المحترف في الجيش ؟

ج : اتمنى ان نكون في « فتح » ، وفي الثورة الفلسطينية بشكل عام ، قادرين على الوصول الى مرحلة الجيش النظامي . واعتقد ان الحرب النظامية هي في الحقيقة افضل انواع الحروب للوصول الى المواقف الحاسمة السريعة . أما أننا نقوم بحرب عصابات فلهذا اسباب كثيرة ، بعض هذه الاسباب نابع من التفاوت الكبير في القوى بيننا وبين العدو . وأمام معطيات هذا الواقع نحن مضطرون لاختيار اسلوب حرب العصابات ، لأنه يوفر عدداً من المزايا في مواجهة تفوق العدو . وليس امامنا الا هذا الاسلوب على اساس أن حرب العصابات المستندة الى نفس طويل تمكننا من انهاك العدو واستنزافه ، وكل هذا لصالحنا . ولكن في النهاية لا بد من ان نتوصل الى تأسيس جيش نظامي . ولا يمكن ان تستمر حرب العصابات الى الابد . واذا عدنا الى التاريخ العسكري للثورات فسنجد انها ، جميعها ، انتهت الى تأسيس جيش نظامي كان وحده القادر على تحقيق الحسم . في فيتنام ، بالنسبة للثورة الفيتنامية ، الجيش النظامي هو الذي حسم الموقف في نهاية المطاف . وحين اتحدث عن جيش نظامي للثورة فليس غائباً عن بالي العقدة الفلسطينية تجاه جيوش الانظمة ، والتي تسببت في شيوع افكار تجعل عملية انشاء جيش عملية ممقوتة وتدفع الى التهيب منها ، وهي افكار خاطئة في منطلقها ، فنحن بازاء الحديث عن انشاء الجيش الوطني الذي ينبثق عن الثورة ويأتي في سياق تطور عملها العسكري كتتويج له . ومن طبيعة حروب العصابات الثورية ان تبدأ صغيرة ثم تتصاعد الى ان تصل الى نقطة الحسم التي لا بد منها ، والجيش النظامي ، بما هو جيش الثورة ، هو الذي يحسم في النهاية . والجيش النظامي المنبثق عن الثورة هو بالضرورة جيش وطني وهذه نقطة ينبغي لها ان لا تغيب عن البال . وأعتقد أن المفاهيم الخاطئة بهذا الصدد قد صححت ، وأصبح من المطلوب الآن الاتجاه نحو تشكيل جيش شعبي وطني ، واتمنى ان نتمكن من تحقيق ذلك بسرعة ، وان نصل الى مرحلة كهذه ، لأن وصولنا اليها يعني اننا قريبون جداً من نقطة الحسم .

س : اذا اخذنا المزايا المتوفرة للمقاتل الفلسطيني بالقياس للجهد وللتضحيات

المطلوبة منه وبالقياس للمزايا المتوفرة للجندي في الجيوش ، وبالقياس ايضاً للمزايا المتوفرة للكثير من المقاتلين في الثورة ، فسنلاحظ ان المقاتل الفلسطيني قلما يحظى بامتيازات ، أو انه يحظى بأقل مما يحظى به الاخرون في الثورة . وهذا يعني أن الدافع للتطوع في صفوف مقاتلي الثورة لا توفره امتيازات تمنح للمقاتل ، بل هو دافع الالتزام الطوعي بتحقيق الاهداف الوطنية ، وهذا يختلف كلية عما هو سائد في الجيوش النظامية المحترفة . واذا اضفنا لهذا ان تشكيل جيش يفترض وجود ارض تكون للثورة سيادة عليها حتى تحمله ، فهل تعتقد ان ظروف تشكيل الجيش متوفرة ؟

ج : ليست متوفرة الآن . وتشكيل الجيش الشعبي النظامي لا بد ان يمر بعدة مراحل . ومن الممكن ان نصل آخر المراحل بعد تحرير جزء من ارض فلسطين ، حيث ستتوفر كل الشروط اللازمة لانشاء الجيش . وأنا اقول : ان دافع المقاتل الفلسطيني للالتحاق بالثورة هو دافع طوعي نابع من الالتزام الوطني ، وهو مختلف ، بدرجة او بأخرى ، عن دوافع الجنود في اي جيش آخر . والدافع الوطني عند المقاتل الفلسطيني قوي جداً ، وهو يشكل عاملاً اساسياً لنشاطه وعطائه . ثم ان المقاتل الفلسطيني يمتاز بمستوى ثقافي معين ، وهذا أيضاً شيء هام ، وهو شيء تهتم به الجيوش النظامية الحديثة ، حيث اصبح من غير المرغوب فيه في هذه الجيوش ، مثلاً ، اطاعة الاوامر بشكل اعمى . وقد بدأوا فيها يفكرون بأن من واجب الجندي ان يشارك في القرار ، لا ان يقوم بالتنفيذ آلياً فحسب . والمراجع العسكرية في العالم تتحدث عن ذلك باسهاب الان بحيث يتاح للجندي جو يختلف عن الاجواء السائدة الآن . اما عندنا فهذا متحقق منذ البداية على نحو او آخر ، وهو ثمرة الالتزام الطوعي المنبثق عن قوة الدافع الوطني والثقافة العامة والتأهيل الواعي للمقاتلين .

س : كيف وفقتم في التجربة الفلسطينية بين مقتضيات الالتزام الطوعي ومقتضيات الضبط العسكري ؟

ج : في رأيي أن توفر المستوى الثقافي الملائم ، الى جانب قوة الدافع الوطني ، قد سهل ذلك الى حد كبير ، بل إنه هو الاساس . ولا اعتقد بأن هناك عمليات قام بها اي تنظيم دون ان يشارك المقاتل في التخطيط لها ، ودون ان يقتنع بها قبل القيام بها . ولنأخذ ، مثلاً ، العمليات الجريئة التي نفذت في الارض المحتلة ، فلم يحدث قط ان اي مجموعة أرغمت على القيام بالعملية ارغاماً . بل تم الأمر بالعكس تماماً . وبمقدور الانسان ان يقول : ان فكرة العملية كانت في كثير جداً من الحالات تأتي من المقاتلين انفسهم ، فيقترح مقاتل فكرة عملية ، ويأتي آخر متطوعاً ليؤكد أنه يستطيع الاسهام فيها لسبب او لآخر ، كأن يكون ممن يعرفون المكان المقصود والطرق الموصلة اليه ، وعلى ضوء هذا وذاك يبدأ التخطيط والاعداد للعملية بمشاركة الجميع . ونحن نعتز بذلك ، فالمقاتل الفلسطيني مبادر سواء في مجال التفكير او التخطيط او التنفيذ ، وهذا كلام لا اقوله مباهيا او متبجحاً بل انه يعكس الحقيقة الملموسة .

س : اتيح لك ان تمارس النوعين من العمل العسكري : النظامي والفدائي ، فما الذي ترى انه يميز عمل الثورة الفلسطينية عن عمل الجيش النظامي ؟

ج : يتمثل الفرق في امور نسبية ملموسة ، دعوني اوضحها لكم : في الثورة يشعر الانسان

بالمشاركة، ويجدان القضية قضيته. وفيها يسود شعور راسخ بالاخاء والمحبة ، كما تسود روح الجماعة بصورة تختلف عما هو موجود في الجيوش المحترفة ، لانها ، في الثورة ، تقوم على اساس اللقاء الطوعي في ميدان قضيةٌ واحدة يلتزم بها الجميع . وهذه الناحية بالذات هي سبب من اسباب اندفاع المقاتلين الثوريين طوعاً الى العطاء والتضحية . وهناك ايضاً المستوى الثقافي ، ومقاتلو الثورة يتمتعون بمستوى ثقافي جيد ومفاهيمهم الوطنية واضحة وقوية . ولهذا تأثيره على أدائهم في القتال . وليس عندنا المقاتل العسكري الصرف ، عندنا المناضل الوطني الذي يقوم بانجاز المهمات العسكرية والمهمات السياسية في الوقت نفسه ، مما يفتح المجال والآفاق الكبيرة لتطوير انسانية الانسان في الثورة وكفاءاته . ويجري عمل الثورة بحيث يعزز الروابط بين المقاتل وبين قضيته وثورته ، في حين لا يجري الأمر على هذا النحو في معظم جيوش الانظمة ، ولا يجري على هذا النحو من الشمول في أي منها مما يؤدي الى اضعاف روح الاقدام وروح التضحية وروح المبادرة . وفي الثورة تجري الحياة اليومية العادية وتجري الاعدادات العسكرية والعمليات بحيث تعزز الرابطة الوطنية بين المقاتل وقيادته وبينه وبين قضيته ، ولذلك تجد هذا المقاتل على استعداد لان يضحي ، اكثر بكثير من غيره ، لأنه يرى نفسه شريكا في كل شيء .

س : احساس المقاتل بأنه شريك ، او بأنه ند للقائد هل يخلق مشاكل من ناحية الانضباط ؟

ج : هذا ممكن لو كان المقاتل عندنا غير مؤهل تأهيلاً كافياً للمشاركة ، الا أن مشاكل من هذا النوع لا تحدث عندنا ، واذا وجدت فهي قليلة ، لاننا مهتمون جداً برفع سوية التأهيل سواء على المستوى الثقافي او العسكري او السياسي ، ومع هذا التأهيل تزول المشاكل ، وحين تتحدث مع المقاتل ، مهما كانت صفتك التنظيمية في الثورة ، تجد امامك انساناً نداً، يفهم القضية ويعرف الخطأ والصواب ، فتكون مرتاحاً في التعامل معه وفي مشاركته . والذين لهم مراتب تنظيمية متقدمة في الثورة مروا بالتجربة نفسها التي مر بها المقاتل ، وهم لهذا يتقبلون أي انتقاد أو أية افكار بشكل يختلف عن ما لو كنا في جيش محترف .

س : كثير من القادة والكوادر العسكريين تدرجوا من صفوف المقاتلين قبل ان يكون التأهيل العسكري الاكاديمي متاحاً ، والآن يأتي ضباط متخرجون من اكاديميات عسكرية ، فهل تختلف استجابات المقاتلين ازاء هذين النوعين ؟

ج : يجتاز خريجو المعاهد والاكاديميات العسكرية مرحلة تأهيلية داخل الثورة الفلسطينية ايضاً قبل تسلمهم مراكز قيادية ويشاركون المقاتلين ، الذين سبقوهم ، في جميع نشاطاتهم . وهذا النوع من التأهيل يزيل الفوارق ويجعل المقاتل مستعداً للاستجابة في الحالتين . ونحن في قيادة الثورة معنيون جداً بتأكيد هذه النقطة وبتعميم روح المشاركة وتوحيد المفاهيم . ويمكن ان تلاحظوا مظهراً بارزاً وهو ان نسبة الشهداء من بين الكوادر المسؤولة تفوق مثيلتها في اي مكان في العالم ، وحين يتبجح العدو الصهيوني بأن ضباط جيشه يتقدمون الجنود في العمليات ، فانه يتجاهل حقيقة ما يجري على الساحة الفلسطينية ، حيث يتم الأمر يومياً بوصفه امراً طبيعياً للغاية . والمقاتل عندنا حين يرى كيف ان مسؤوله يضحي امامه باستمرار

يتفهم اكثر ويتقبل قيادته بصورة افضل . وهذه ، ايضاً ، نقطة مهمة لتطوير عمل الثورة .

س : هل يتعارض التأهيل والاختصاص والاحتراف بالنسبة للمقاتل مع العمل الثوري الذي يتطلب مبادرات واسعة ومتنوعة ؟

ج : بالعكس ، فالتخصص في مختلف المجالات العسكرية مطلوب ، وقتالنا مع العدو يمتد على ساحات واسعة ، كما ان لنا علاقات واسعة مع جهات صديقة عديدة نقدم لها عوننا وهم بحاجة لاختصاصيين . وهناك في عمل الثورة امور قتالية يقتضي اتقانها الاختصاص ، والمختصون موجودون ونحن نعتز بهم . ولعلي لا ابالغ اذا قلت انه ربما كنا الثورة الوحيدة التي تملك وفرة في الاختصاصات نظراً لتعدد الكفاءات في صفوف الشعب الفلسطيني . ثم ان لنا علاقات واسعة في العالم ، حتى ان علاقات الثورة الفلسطينية العالمية تكاد تفوق في تنوعها وتعددها علاقات العديد من الدول الاوروبية ، فكيف اذا قيس الأمر بعلاقات دول العالم الثالث ؟ وعلاقاتنا العالمية ليست سياسية او دبلوماسية فحسب ، ولكنها تشمل مجالات واسعة . واذا كانت سعة علاقاتنا توفر لنا مزايا سياسية فإنها ايضاً توفر فرصاً كبيرة للتأهيل العسكري حيث تتوزع كوادرنا في المعاهد العسكرية للعديد من الدول الصديقة .

س : هذا التنوع في مصادر التأهيل العسكري هل يثير اي نوع من المشاكل ؟

ج : بالعكس ، ايضاً ، ما دمنا نعيد تأهيل القادمين من الخارج ، مع ما يوفره التعدد من مزايا وفرة المعارف العسكرية والخبرات التي يمكن ، في نهاية المطاف ، استخدامها طبقاً للظروف الملموسة .

س : هل تركز الثورة الفلسطينية على الاحتراف مع ما يتطلبه من جهود وتكاليف كبيرة ؟

ج : تسعى الثورة بشكل عام لايصال الكوادر الى أعلى المستويات المرضية في كافة المجالات . ولعل هناك من يستغرب أن ترسل الثورة ضباطاً الى معاهد القادة والاركان ، اما نحن فإننا معنيون بفتح كافة الافاق امام ضباطنا . وقد وجهنا ضباطنا نحو الدراسات العسكرية العليا ، ونحن الآن بصدد الحصول على مقاعد في معاهد تهتم بقضايا الدفاع الوطني ، حيث تدرس الاستراتيجيات العليا ، كما اننا معنيون بأن يصل المقاتل والكادر فعلاً الى المستويات المرضية التي تحقق افضل النتائج . وما من تأهيل يمكن تصوره الا ونحن معنيون بفتح الابواب للوصول اليه .

س : الملاحظ أن قوات الثورة الفلسطينية تقوم بنوعين من الأعمال القتالية : نوع قتالي دفاعي شبيه بقتال قوات الدفاع النظامية ، تقوم به ازاء الهجمات الاسرائيلية المتلاحقة ، والنوع الآخر المتمثل في العمليات ذات الطبيعة الخاصة التي تتم داخل الارض المحتلة ، فهل يؤهل المقاتل الفلسطيني للنوعين من العمليات ؟

ج : يدرب المقاتل الفلسطيني على كل ما يسمى بصفحات الحرب ، سواء في الدفاع او الهجوم او العمليات الأخرى . ذلك اننا مضطرون لأن نأخذ موقف الدفاع في بعض الحالات ، كما هو الحال في لبنان مثلاً ، حيث تعرض شعبنا لمؤامرة كبيرة وفرض على الثورة ان تخوض

حرباً دفاعية لحماية المخيمات والمواقع الفلسطينية . ولو لم تكن الثورة مؤهلة للقيام بدور دفاعي ومقاتلها مؤهلاً ، لما تمكنت من النجاح في مهمتها في الدفاع عن الوجود الفلسطيني وحماية المخيمات . والمقاتل الفلسطيني يتدرب على كل صفحات القتال في كل مراحل الحرب ، سواء الدفاعية او الهجومية ، وهذا امر ضروري . وهنا أريد ان اقول : ان الدفاع لا يعني شيئاً سلبياً ، فهو مرحلة قد يحتاجها أي جيش في العالم قبل ان يقوم بدور التعرض ، حتى الجيش الاسرائيلي بطبيعته العدوانية السافرة وبعقيدته العسكرية المبنية على نوع من الوهم والخيال فضلاً عن الضجيج الاعلامي ، يسمي نفسه جيش الدفاع الاسرائيلي ، في حين ان مضمونه عدواني ، وعقيدته العسكرية تؤمن بعدم القيام بمرحلة الدفاع . لذلك يحاولون في اسرائيل نقل المعركة إلى اراضي الغير وعدم خوضها على « ارضهم » ، ويتحدثون عما يسمى بالحزام الاخضر او المنطقة الخضراء . هذا الجيش فرض عليه ، وخصوصاً بعد ١٩٦٧ و١٩٧٣، ان يقوم بدور الدفاع . ولو انه لم يتدرب على الدفاع لما استطاع القيام بهذا الدور . قضية التدريب ، اذن ، لا بد ان تشمل مراحل القتال بكامل انواعها من دفاع وتعرض وهجوم .

س : فرض على مقاتلي الثورة الفلسطينية ان يقوموا بمهمات الدفاع عن الحدود وهذا ليس من طبيعة مهمات مقاتلي حرب العصابات ، كيف تفسر هذا الأمر المدهش وهو قدرتهم على الصمود في اداء هذه المهمة الشاقة في اوقات عجزت عن ادائها حتى الجيوش النظامية المعدة لهذه الغاية ؟

ج : بعد كل الذي جرى في لبنان ، والذي جرى للجيش اللبناني ، وجدنا انفسنا فعلاً ، أمام مسؤولية كبيرة وهي الدفاع عن لبنان امام الغزو الصهيوني ، ومررنا بتجارب قاسية ومريرة في هذا المجال . ثم كانت قمة تجاربنا في حرب الأيام الثمانية في آذار عام ١٩٧٨ ، ففي ذلك الوقت تعرض الجنوب اللبناني لغزو اسرائيلي ، وقدرت القوات التي حشدها الجيش الاسرائيلي بفرقتين . وكانت هذه بالنسبة للثورة الفلسطينية تجربة اقسى واشد حتى من معركة الكرامة في غور الاردن عام ١٩٦٨ ، خصوصاً ان قواتنا لم تكن مؤهلة التأهيل الكافي للدفاع ضد هذا الغزو ، ولم تكن اسلحتنا متكاملة . ومع ذلك تمكنا من استخدام اسلوب الدفاع المتحرك لأنه الأسلوب الملائم لامكانيات وطريقة تركيز قواتنا . وفي مواجهة الغزو وفي قسم من الجنوب طلبنا من بعض وحداتنا الدفاع حتى آخر رجل،وفي قسم آخر منه طلبنا أن تكون مجموعاتنا مجزأة بحيث تضم الواحدة اربعة او خمسة مقاتلين . وكان على هذه المجموعات ، صغيرة العدد ، أن تظل في حركة دائمة وان تبقى في المناطق التي يدخلها العدو . وقد قامت المجموعات المختلفة ، بالفعل ، بدورها خير قيام . وفي معركة مارون الراس ، على سبيل المثال ، بقي مقاتلو المجموعة الى ان نفدت منهم آخر طلقة ، مؤدين واجبهم على نحو ارغم العدو نفسه على الاعتراف ببسالتهم . وفي النقاط التي تتحكم بطرق المواصلات بقيت مجموعاتنا ايضاً مؤدية واجبها . اما في صور فقد اتبعنا اسلوب الدفاع النظامي المعروف لدى اي جيش ، لاننا صممنا على أن نحول بين قوات الغزو وبين احتلال هذه المدينة ، محبطين هدفها البين . ولذلك حشدنا قسماً كبيراً من قواتنا على مشارف صور ولم نمكن العدو من دخول المدينة . وعندما سئل رئيس الاركان الاسرائيلي : « لماذا لم تجتح صور ؟ » أجاب :«لا اريد ان اضع يدي في عش الدبابير». وقد حاولنا ، في الحقيقة ، أن نمزج في الجنوب اللبناني بين اسلوبي الدفاع الكلاسيكي المحض

والدفاع المتحرك ، وفقاً لما املته علينا هنا او هناك الظروف الملموسة . وقد أوصلنا هذا في اعتقادي الى نتائج جيدة جداً ومكننا من ايقاع خسائر كبيرة في صفوف العدو .

س : ما هو تفسيركم في قيادة العمليات لهذه المقدرة على المواجهة ، الناجحة ، بالرغم من قلة الخبرة وقلة الامكانيات على الجانب الفلسطيني ، خصوصاً عند مقارنتها مع خبرة الجيش الاسرائيلي وامكانياته ؟

ج : يعود جزء من نجاحنا الى طبيعة التأهيل الذي يمكن المقاتل من خوض الحرب النظامية او حرب العصابات . وهناك قبل أي شيء وبعده رسوخ الدافع الوطني وايمان المقاتل الفلسطيني ومستوى وعيه وقدرته على المبادرة مع استعداده للتضحية . ومن الناحية المادية الصرفة لا يمكن حتى اجراء مقارنة بين القوى الفلسطينية والقوى الغازية ، اذ ماذا نوفر للمقاتل الفلسطيني ، بمواجهة ما هو متوفر للجندي الاسرائيلي : السلاح الفردي والذخيرة ، والعدد القليل من مدافع الميدان اللازمة للاسناد ، في حين يوفر الجيش الاسرائيلي لجنوده ما هو معروف من امكانيات كبيرة . وانا اقول ان ايمان المقاتل الفلسطيني هو الاساس ، وهو العامل السائد الذي يوفر النجاح للثورة الفلسطينية . وقد اتيح لي ، شخصياً ، ان استمع من خلال اجهزة الترصد اللاسلكية الى حالات التمرد على الأوامر في الجيش الاسرائيلي خلال حرب الايام الثمانية هذه ، كانت الاوامر تعطى للوحدات الاسرائيلية بالتقدم فيرفض قادة الوحدات ان يتقدموا بها . وقد اتيح للمقاتل الفلسطيني أن يقيم قدرة العدو تقييماً صحيحاً ، وقد لمس ما هو متوفر له من امكانيات الا انه لم يتهيب ازاءها ولم يخش مواجهتها ، اقدر قوة العدو ولكنني لا اخاف المواجهة معه ، هذه هي القاعدة التي برزت ، خصوصاً منذ حرب الايام الثمانية وتحققت على ارض الواقع . ايمان مقاتلنا واصراره على المواجهة كانا طاغيين ، وهذا ما ميزه عن الجندي في جيش العدوان

س : هل صحيح ان دور الميليشيات الشعبية تضاءل في حرب المواجهة على الحدود ، بسبب طبيعة هذه الحرب ؟

ج : في الحقيقة : لا . وفي حرب الجنوب تردف الميليشيا القوات العسكرية حتى في الصدامات المباشرة مع العدو . ونحن نعتمد على الميليشيا اعتماداً رئيسياً ، ولولا قيام الميليشيا بدورها لما امكن التوصل الى النتائج التي تحققت . على سبيل المثال ، في قضية حماية الطرق الخلفية ، خطوط مواصلات قواتنا وامدادها ، قامت الميليشيا بدور باهر ، ناهيك بالخدمات المتعددة الأخرى التي أدتها . واني اعتز بوحدات الخدمات العاملة في الثورة ، والتي تمكنت دائماً من نقل التموين للوحدات في اصعب اوقات القتال . لقد قام العدو بعملية متكاملة في الجنوب ، شاركت فيها قوات برية وبحرية وجوية ، وحشد لها امكانيات كبيرة ، وظلت مع ذلك خدماتنا تصل الى المقاتلين ، ولم تنقطع حتى عن الوحدات التي تجزأت وانتشرت في مناطق واسعة وطلب منها دوام التحرك ، وبضمنها المعنويات التي بقيت في مناطق دخلها العدو ، فهذه ايضاً وصلتها الخدمات ولهذا في اعتقادي أهمية كبيرة اذ لو عدنا الى تاريخ الصراع العسكري العربي ـ الاسرائيلي ، فسنجد ان من بين اسباب هبوط المستويات لدى المقاتل العربي عدم وصول الخدمات اليه اثناء القتال . عندنا تم تدارك هذا النقص ، وفي حرب الايام الثمانية ، التي تحدثت عنها ، كانت الخدمات في مستوى جيد ، واحياناً ، في مستوى ممتاز . وقد قامت

الميليشيا بواجبين : بالربط بين القوات العسكرية المنتشرة وبحماية المناطق الخلفية من خطوط مواصلات ومؤسسات ومستودعات ،الخ ... وقد لعب هذا دوراً ايجابياً ذا اثر كبير في المعركة .

س : يفهم من كلامك ان الثورة لا تستغني عن اي منهما وان عمل الميليشيا ضروري لاكمال عمل القوات ؟

ج : صحيح . ان ميزة الثورة انها تعتمد اسلوب حرب الشعب في قتالها ، وكل من ينتمي للثورة له دور فيها ، والكل يشارك ويعمل .

س : يستخدم العدو الاسرائيلي تفوقه الهائل ويمارس القصف بالمدفعية بعيدة المدى وبالطيران ، فما هو مدى تأثير القصف على مجمل الوضع في مواجهته ؟

ج : يجب ان نفهم ، اولاً ، لماذا يلجأ العدو لهذه السياسية . انه حريص على جنوده ، وهو عندما يقوم بحملة ضد هدف لا يدفع جنديه الى هذا الهدف ، الا بعد أن يتأكد من اسكات دفاعاته معتمداً على تفوقه في اسلحة المدفعية والجو وكثافة النيران . وممارسة القصف هي ، لهذا ، سياسة ثابتة عنده . ونحن نعرف هذه السياسة جيداً ويعرفها مقاتلونا كافة . لهذا فإن لنا ايضاً سياسة نتبعها مضادة لهذه ، من أجل ابطال تأثير القصف الاسرائيلي . وما نفعله لم يعد سراً والعدو يعرفه ، وهو الانتشار . وقد وجدنا من الضروري عدم توفير أي هدف للعدو حتى يناله ، فالعدو يسعى للظفر بالهدف الدسم ليصب عليه كل ثقله ويوجه نيرانه نحوه بسهولة . وقد برز اثر الانتشار في حرب الجنوب على جميع المستويات : المقاتلين والاسلحة المساندة ، حيث جرى ربما لاول مرة ، استخدام الاسناد المدفعي لقوات الثورة ، وكان اسناداً مبنياً على اساس حرب العصابات ، أي على اساس عدم تثبيت المدفعية في مكان واحد ، فصارت مواقعها متنقلة باستمرار ، حتى لا يتمكن منها العدو . وبهذا فوتنا عليه الفرصة ولم نمكنه من استثمار تفوق امكانياته المادية وزخم قوة نيرانه .

س : هذا بالنسبة للقصف الذي يستهدف القوات ، فماذا بالنسبة للقصف الذي يستهدف المدنيين ؟

ج : امكانيات التحكم في هذا النوع من القصف قليلة ، لأن الاهداف المدنية ثابتة بطبيعتها ولهذا يستهدفها العدو باستمرار ، اعتقاداً منه ان قصفه يؤثر على المعنويات فيشكل عامل ضغط على الثورة . ومع اننا نحاول أن نفعل شيئاً بتوفير ما يمكن من الحماية للتجمعات المدنية وبتحذير السكان من التجمع في اوقات الخطر ، فإن الاساس يبقى وعي المواطنين ، وعي اللبنانيين والفلسطينيين ، وهو الذي يمكننا من احباط اهداف العدو .

س : يلاحظ في الاشهر الاخيرة ان اسرائيل اخذت تطور تكتيكها ، وأنها تمارس في الجنوب نوعاً من حرب العصابات لاشغال قوات الثورة ...

ج : في تقديري ان اسرائيل ، بعد قيامها بحرب الايام الثمانية في الجنوب وبعد النتائج التي توصلت لها والخسائر التي تكبدتها ، اخذت تغير اساليبها . وقد بدأ الاسرائيليون ، فعلاً ، يشنون عمليات محدودة وصغيرة مما يتصل بطبيعة حرب العصابات . والسبب الاول لهذا هو نتائج حرب ١٩٧٨ كما قلت . اما السبب الثاني فهو اننا ارغمنا اسرائيل على اتباع

اسلوب جديد . ولعلهم في اسرائيل يتصورون ان هذا الاسلوب سوف يحقق نتائج افضل ، بالنسبة لهم ، مما تحققه الحملات العسكرية الكبيرة في العادة ، في كل الاحوال ، استعداداتنا للمواجهة جيدة . مع ذلك هناك مشكلة الطريق الرئيسي ، طريق بيروت ـ صيدا ، ولا استطيع ان اتبجح بالقول باننا قادرون على حماية هذا الطريق حماية تامة ، واذا كانت اسرائيل ، بكل ما لديها من قوات وامكانيات اخرى ووحدات مشكلة خصيصا لمقاومة العمل الفدائي ، تعجز عن حماية طريق كطريق حيفا ـ عكا ، فما الذي يستطيع ان يوفر الحماية الكاملة لطريق بيروت ـ صيدا ؟ ولذلك اقول : ان الصراع مفتوح بيننا وبين العدو ، ويمكن للعدو ان يقوم بعمل صغير هنا وآخر هناك ، الا ان هذا لن يحمل للقوات المعتدية النتيجة التي تتوخاها . وهم ، بما يفعلونه ، يستهدفون النيل من السكان المدنيين ، وقد يكون لهم بعض التأثير في هذا المجال ، اما على المقاتلين فليس لهم أي تأثير ، لأن المقاتل مؤهل لمواجهة عمليات كهذه وهو مدرب ، في حين ان المدني غير مؤهل . والعمل ضد المدنيين عمل جبان ، لان أي حامل سلاح يستطيع ان يستهدف أية مجموعة مدنية . ان الاسرائيليين ممعنون في استهداف التجمعات المدنية ، بهدف الضغط المستمر على الثورة الفلسطينية وايجاد فجوات ما بين الشعب اللبناني والثورة ، وهو ما لم ينجحوا في تحقيقه امام وعي الشعب اللبناني وحسه القومي والوطني الذي فوت عليهم الفرصة . واريد هنا ان اقول : إن اسرائيل استطاعت ان تلحق خسائر مادية وبشرية بالمدنيين ، وتقوم الثورة الفلسطينية بتعويض الخسائر المادية الا ان امكانياتها لا تسمح بتقديم تعويض كافٍ امام الخسائر المتزايدة ، ولا بد من اهتمام عربي بهذا الموضوع ، حتى يغطي النقص وتسهم الامة العربية في صمود الشعب في جنوب لبنان . والكل يعرف ان المستهدف في الجنوب ليس الثورة الفلسطينية وحدها بل الارض اللبنانية ، ويعرف المطامع التوسعية غير الخافية لاسرائيل في الجنوب .

س : تستخدم اسرائيل وسائل متطورة ، فما الذي عملته الثورة لمواجهة هذه الوسائل ، وما هي اعداداتها لمقاومة العمليات الاسرائيلية ؟

ج : تطوير الاسلحة مجال مفتوح امام الجميع ، حتى الاسلحة النووية لم تعد سرا من اسرار الآلهة . ومجال البحث مفتوح هو الآخر . ونحن نسعى باستمرار لامتلاك الاسلحة المتطورة ، سواء مما يوفره لنا الاصدقاء او مما نبتكره بأنفسنا . ولدينا في الثورة ما نعتز به ، حيث يوجد مركز للبحث والتطوير تشرف عليه اللجنة العلمية ، التي وفرت اسلحة كثيرة واموراً اخرى هامة من خلال دراساتها المتواصلة . وندرس ، بالطبع ، تأثيرات الاسلحة المتطورة التي يملكها العدو ، ونعمل بكل الوسائل حتى نصل الى افضل الاساليب للتقليل من تأثيراتها .

س : ننتقل ، اذا سمحت ، الى النوع الآخر من المهمات القتالية ، الى القتال داخل الأرض المحتلة . والملاحظ ان تطور اساليب هذا القتال يتم ببطء ، أو بأبطأ من تطور اساليب النوع الآخر فكيف تفسر ذلك ؟

ج : تتصف عملياتنا في الارض المحتلة بالبطء فعلاً ، وكذلك تطورها ، والسبب ، وعلي أن أعترف بهذا ، هو ان العدو مسيطر سيطرة تكاد تكون تامة على الحدود ، وهو واحد من الاسباب ولعله الرئيسي من بينها . واذا ما استعرضنا بداية العمل داخل الارض المحتلة فسنجد أنه بدأ بالعبوة وباللغم متجنباً عمليات المواجهة ، ثم تطور الأمر الى ضرب قوافل العدو ومواجهة دورياته

وجهاً لوجه ، وان كانت هذه المواجهة ما تزال تتم على نطاق ضيق . ومن هذا انتقلنا الى مرحلة اكثر تقدماً ووصلنا الى العمليات الجريئة ، وصار بمقدورنا حشد مجموعات كبيرة تصل الى ٢٠ ، توصلنا في بعض العمليات الى مستوى الفصيل ، عمليات جريئة مثل عمليات سافوي ودلال مغربي والخليل ، وقد مثلت هذه العمليات نقلة نوعية في العمل العسكري داخل الارض المحتلة .

وفي الحقيقة ، ومن واقع رؤيتنا للعمل العسكري ولمستقبله داخل الارض المحتلة ، نؤمن بأن هذا العمل سيتصاعد اكثر فأكثر وينتقل من درجة الى درجة ، وأتوقع ان يصل الى مستوى كبير في المستقبل يكون مفاجأة للمراقبين .

س : لم تحقق الثورة الفلسطينية نجاحاً كبيراً ، بعد ، في مجال اقامة قواعد في الداخل تؤمن نفسها بنفسها ، ولا شك في أن هذا يؤثر على نوع وحجوم العمليات ، فكيف تفسر الأمر ؟

ج : العامل الذي أثر في هذا الموضوع ان تنظيماتنا داخل الارض المحتلة كانت تقليدية ، فإذا ما ألقي القبض على خلية من الخلايا فقد كان اثر هذا ينسحب على التنظيم من القاعدة الى القمة . وكانت هذه نقطة ضعف اكتشفناها منذ مدة ، ولذلك تغيرت سياستنا في تنظيم خلايانا العسكرية ومجموعاتنا المقاتلة في الداخل ، واتبعنا اسلوباً جديداً توخينا فيه حجب الخطر عن الخلايا الاخرى اذا وقعت خلية في قبضة العدو . وهذه هي السياسة المتبعة الآن ، ولعلكم تلاحظون كيف يجد العدو صعوبات كبيرة في كشف تنظيماتنا . ونحن نسعى ، أيضاً ، لايجاد القواعد التي تؤمن مستلزماتها بنفسها ، وكان هذا ملموساً في عملية الخليل . وأستطيع أن أقول : ان مجموعاتنا الآن قادرة على ايجاد القاعدة الأمينة وحمايتها . ونأمل أن تتضح الصورة في المستقبل بشكل أفضل .

س : منتقدو الثورة الفلسطينية يأخذون عليها أن عملياتها في الداخل تستهدف المدنيين ، ومع تباين الدوافع التي تحرك الانتقاد ، يظل صحيحاً ان عددا من العمليات استهدف مدنيين ، كما يظل صحيحاً ، ايضا ، أن هذا يخلق اشكالات سياسية للثورة في علاقاتها العالمية ويعطي مادة للدعاية المضادة ، فما هو رأيكم في هذا الموضوع ؟

ج : أنا لي رأي خاص ألخصه كما يلي :

أولاً : لا يستطيع أي مراقب عسكري او سياسي منصف ان يميز ، في كثير من الحالات ، بين ما هو عسكري وما هو مدني في اسرائيل ، والفرق واهن جداً بينهما ، خصوصاً اذا عرفنا ان اسرائيل تتفرد من هذه الناحية بوضع يكاد لا يكون له مثيل في العالم . وهذه حقيقة لا بد من أن تكون واضحة وحاضرة في الأذهان عند تقييم عملياتنا .

ثانياً : خلافاً للدعايات المضادة المضخمة التي تستهدف الاساءة لسمعة الثورة فنحن حريصون على عدم المساس بالابرياء من المدنيين ، ولي الشرف أن أقول أن تعليمات أي عملية من عمليات الثورة الفلسطينية تتضمن بنوداً صريحة بتجنب ايذاء الشيوخ والنساء والأطفال . وقد صار معروفاً الآن ان الذين قتلوا من هؤلاء في بعض العمليات انما قتلوا برصاص الجيش

الاسرائيلي بالذات خلال تصديه للثوار الفلسطينيين ، وان هذا الجيش يظهر استهانة « غريبة » بأرواح مدنييه بينما تتمسك اسرائيل بعناد وتعنت برفض أي مطلب من مطالب الثورة ، بما فيها المطالب التي يعترف العالم كله بشرعيتها . قد نقع نحن احياناً في بعض الاخطاء ، وهذا ناجم عن طبيعة الوضع ذاته ، ونحن نركز باستمرار على ان تكون اختياراتنا اكثر دقة . لكن يجب ان يكون مفهوماً انه حتى لو بلغنا غاية الدقة فإن اسرائيل لن توقف دعايتها المضادة وضجيجها الاعلامي .

ثالثاً : نحن ازاء وضع يقوم فيه العدو بأجهزته ومؤسساته الرسمية بضرب مدنيينا جهاراً نهاراً مع سبق الاصرار والتخطيط ، وهو يقوم بذلك في نطاق حملة واسعة تستهدف الابادة وتتوفر لها امكانيات ضخمة ، فهل يمكن ان نظل مكتوفي الأيدي ازاء اجرام كهذا ؟ إنه سؤال هام ، أليس كذلك ؟

س : في اسرائيل يمكن التمييز بين نوعين من المدنيين : نوع لا يختلف عن الجيش وهو يشمل المدنيين الذين يقومون بأعمال شبه عسكرية كما يشمل المستوطنين الذين يغتصبون الارض ويقيمون مستوطناتهم عليها ، ونوع آخر لا يتدخل مباشرة في أعمال كهذه ولا يجادل احد في مشروعية الاعمال التي تتوخى تحذير المغتصبين ، بينما يمكن تجنب الآخرين .

ج : اننا نفعل ما في وسعنا لتجنب الابرياء ان وجدوا ، ومقاتلونا يعرفون هذا جيداً . ومع ذلك ففي ضجيج الحرب وطبقاً لطبيعتها لا يمكن تجنب المدنيين تجنباً كلياً حتى حين يكونون أبرياء . وما من حرب قامت ولم يتضرر مدنيون من جرائها . وانا اتحدث عما لا يمكن تداركه من قبلنا في اثناء العمليات ضد العدو . أما استهداف المدنيين الابرياء بالذات فأنا اعتقد أنه خطأ ، نجهد كي لا نقع فيه ، وأتوقع أن يكون الامر ملموساً على نحو افضل في المستقبل امام العالم كله .

س : هل تعتقد ان النتائج التي تحققها المقاومة المسلحة في الارض المحتلة تتوازى مع الامكانيات المتوفرة ومع الاستعداد الهائل للتضحية لدى المناضلين الفلسطينيين ؟

ج : قلت آنفاً أن الكثيرين سيفاجأون بالنقلة النوعية التي سنحققها في عملياتنا العسكرية ، وأتوقع ان تتم هذه النقلة في وقت قريب ، مع عدم التقليل من الصعوبات التي نواجهها ، وهي نقلة ستشمل تبدلاً في نوعية الاهداف وفي اسلوب العمليات . وفي هذا سنتوج الخبرات والتضحيات التي تراكمت عبر السنين الماضية.ومع اقراري ببطء تطور عملياتنا في هذه السنوات فقد كان لا بد من ان تسير الامور سيراً متدرجاً طبيعياً ، من مرحلة الى مرحلة أرقى .

س : يقودنا هذا الى سؤال أعم ، فالجو الشعبي في الوطن المحتل يظهر منتهى الاستعداد للعطاء ، كما يظهر روحاً وطنية عالية ، وقد واجه الناس جنود الاحتلال بالحجارة ، وهذا يعني أنه لو توفرت في ايديهم اسلحة اكثر فعالية فإن الجو مهيأ ، محلياً ، للثورة المسلحة الشاملة . هل تعتقد بأن صمت الجهات العربية وسلبية بعضها هما السبب الذي يحول دون ثورة شاملة مسلحة في الارض المحتلة ؟

ج : يشكل هذا السبب الرئيسي ، او العامل الاستراتيجي ، وليس مجرد عامل من العوامل فحسب . فاغلاق الحدود العربية ، واستكانتها هما الاساس ، ولو تم فتح هذه الحدود وتحركت الجبهات لوصلنا الى ما يتمناه كل وطني عربي ، ولانتقلت الثورة سريعاً الى مراحل متقدمة في عملياتها العسكرية . واناحين أتحدث عن الصعوبات التي تواجهنا لا اقصرها على الصعوبات التي يخلقها العدو الاسرائيلي ، وهذا ما اريد ان يكون واضحاً : اننا نواجه صعوبات غير اسرائيلية ومنها اغلاق الحدود العربية في وجه مقاتلينا . واذا ما حل هذا الموضوع وصار هناك تكامل بين كل الدول العربية ، فسنوفر عاملاً استراتيجياً لانتصار الثورة ، خصوصاً ان جبهة الصمود والتصدي التي نشترك فيها مفتوحة لكل الدول العربية الراغبة . اما في الوضع الراهن لجبهة الصمود والتصدي ، وحتى لو وصل لأمثل حالاته ، فانها لا تشرف على اكثر من ١٠ بالمائة من الحدود ، فضلاً عن أن ما تشرف عليه هو الجانب من الحدود الذي لا يتصل بالكثافة السكانية العربية في وطننا المحتل . وهذا يفرض ان تنضم دول عربية اخرى لهذه الجبهة ، وخصوصاً الاردن لان انضمامه يفتح آفاقاً كبيرة .

س : هل هناك أساس للأمل بانضمام الاردن الى جبهة الصمود والتصدي وتبنيه لأهدافها ؟

ج : تسير الأمور بالنسبة للاردن سيراً بطيئاً للغاية، وأتمنى أن ينضم للجبهة لأن انضمامه سيعطي قوة للمواجهة العربية . ولكني لا أستطيع أن أقول ان هذا سيتحقق ، او انه سيتحقق في وقت قريب ، خصوصاً أن هناك ما يثير المخاوف من انضمام الاردن الى صف كامب ديفيد ، وهي مخاوف لها ما يبررها بالرغم من أن المسؤولين الاردنيين يوالون تقديم التطمينات والتصريحات . ولعل من المفيد أن أذكر في هذا الصدد بأن تعنت اسرائيل وما تقوم به يقدم ، من تلقاء نفسه ، البراهين المقنعة حول اهداف اسرائيل وماهية الحركة الصهيونية وما تبيته للأمة العربية بأسرها . ولا يمكن مواجهة هذا كله الا بالمجابهة . وقد اختارت الثورة الفلسطينية اداة الكفاح المسلح وبمقدور الآخرين ان يقتنعوا بأنها الأكثر نجاعة وبأنها الوحيدة القادرة على مواجهة التعنت الاسرائيلي . ومن المفروض ازاء التعنت الاسرائيلي المعلن ان يصل العرب الى هذه القناعة ، ولعل في هذا وحده التعويض عن الخسارة التي نجمت عن اخراج مصر في الوقت الراهن من ميدان المجابهة . ولعلي لا أبالغ اذا قلت : ان تطور سقف النضال في الارض المحتلة مرهون ، الى درجة كبيرة ، بالموقف الاردني ، مثلما هو مرهون بموقف الشعب العربي الذي يطالب بتصعيد المجابهة فيصطدم بسلبية الجبهة الاردنية .

س : نحن نرى كيف ان الشعب الفلسطيني يبذل تضحيات هائلة ، ويخوض نضالات عنيفة ، بينما تظل النتائج النهائية محكومة بسقف الوضع العربي ، فكيف يمكن ان تنفتح الابواب ؟

ج : فتحها واجب رئيسي من واجبات الثورة الفلسطينية نحن نعتبر أنفسنا طليعة من طلائع الامة العربية ، ولسنا بالتالي معزولين عنها ، ولعل بعض الناس استغربوا ان تلعب الثورة دوراً في قضية الوفاق العربي ، وتنتقل وفودها من بلد لآخر لاجراء مصالحات وللتوفيق بين وجهات النظر المختلفة . اننا نقوم بهذا ليس هواية لعمليات الوساطة ، بل لأننا نؤمن بأن ايجاد نوع من

التكامل العربي هو شرط رئيسي من شروط توجيه امكانيات الأمة العربية ضد العدو . ونحن معنيون جدا بايجاد التكامل في الوطن العربي ككل ، خصوصاً اننا نشعر الآن بالخسارة الكبيرة نتيجة اخراج مصر من حلقة الصراع . ولديكم على سبيل المثال العلاقة السورية ـ العراقية نحن معنيون بايجاد حالة من التوافق بين سوريا والعراق . وكذلك بين سوريا والاردن ، وفي الحالات الاخرى المماثلة ، وكل ذلك على قاعدة توفير ارضية افضل لمجابهة العدو الاسرائيلي . ونرى أن هذا واجب من واجباتنا الرئيسية في الثورة ، لأن الثورة لا تستطيع أن تعيش الا في مناخ عربي جيد ، همه مواجهة العدو الاسرائيلي ، وتقع على عاتقها مسؤوليات كبيرة لايجاد هذا المناخ .

س : ألست ترى ان ما حصل في مصر على يد نظام السادات يشكل انذاراً بما يمكن ان يحصل في بلدان عربية اخرى ؟

ج : علينا أن لا ندع الحذر دون أن يقعدنا عن النضال . ولا شك في أن ما حصل في مصر هو خسارة فادحة ، وليس انذاراً فحسب . الا أننا لا نهمل امكانيات وقدرات الشعب المصري ، ولا أعتقد انه راض عما جرى ، وهو بالتالي ليس راضياً عن القطيعة التي يفرضها النظام عليه ازاء اشقائه . وهناك بشائر كثيرة في المعارضة المصرية التي برزت مؤخرا وأعتقد ان الشعب المصري سيعود عاجلاً الى مركزه الطبيعي في الأمة العربية . وعلينا في كل الأحوال أن نعمل عملاً دؤوباً لايجاد حالة من الوفاق والتكامل العربي لمواجهة العدو الصهيوني .

س : هل ترى ان واقع مسيرة العلاقات الفلسطينية مع الاردن يخدم هذا الغرض ؟ .

ج : محادثاتنا مع الاردن تسير سيراً بطيئاً . والملاحظ أن الأردن يرغب في التنسيق معنا في الساحة الدولية ولكنه يحجم عن التنسيق في الساحة الداخلية في الاردن . وهناك امور نتمنى أن يتم تنفيذها من قبل الاردن ، وخصوصاً تلك منها التي اتفق عليها ولم تنفذ بعد . ومنها ، مثلا ، زيادة حجم قوة جيش التحرير الفلسطيني في الاردن . وبالإجمال تسير الأمور ، كما قلت ، سيراً بطيئاً ، وربما كنا بحاجة الى تكثيف الاتصالات مع الاردن ليس فقط من قبل الثورة الفلسطينية بل ، ايضاً ، من قبل جهات عربية اخرى . واكرر القول بأنني اعتقد بأن التعنت الاسرائيلي الظاهر يساعد على فتح الاعين .

س : موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية وتطوراته، كيف ينعكس على العمل العسكري للثورة ؟

ج : في اعتقادي ان عمل الدورة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني سوف ينصب على هذا الموضوع ، خصوصاً ان دورات المجلس السابقة أكدت على ضرورته . واعتقد اننا سنصل في الدورة القادمة الى موقف اكثر تقدماً باتجاه الوحدة الوطنية . والوحدة العسكرية هي التي تبلور نتائج تعزيز الوحدة الوطنية . وقد أمكن حتى الآن ايجاد بعض الاطر الموحدة في الساحة الفلسطينية ، وخصوصاً في المجال العسكري وهي تتجه نحو التوحيد . عندنا ، مثلاً ، المجلس العسكري الاعلى الذي يشكل اطار قيادة عسكرية عليا وتتمثل فيه التنظيمات الفلسطينية كافة وهناك ، ايضا ، القيادة المشتركة ، وهي قيادة يومية للعمل العسكري المشترك ، وفي هذه القيادة

يشترك اخواننا من الحركة الوطنية ، والجبهة القومية اللبنانيتين ، وهناك اطر اخرى تشكل نواة لتكامل الوحدة العسكرية . وكثيرمن الاجهزة ، وخصوصاً الادارية ، جاهزة لتتوحد ، واعتقد جازماً ان دورة المجلس الوطني القادمة ، ستبلور هذا الموضوع ، وتفتح الطريق امام وحدة عسكرية اندماجية . وأنا اتمنى ان يحدث هذا ، لان غياب الوحدة الوطنية يضيع جهوداً كثيرة مبعثرة ، خصوصاً في المجال العسكري ، واذا ما تم توحيد الجهود فسنصل الى مستوى افضل بكثير .

س : هل تعتقد بأن القناعة بخطأ تعدد جهات القرار والتنفيذ متوفرة لدى الجميع بالمستوى ذاته ؟

ج : أعتقد أن القناعة موجودة لدى الجميع ، وأتمنى أن نكون قد وصلنا الى مرحلة النضوج التام ، وأؤكد ان هناك احساساً لدى جميع الفصائل بأنه لا بد من الوصول الى الوحدة الوطنية .

س : كيف يمكن حل المشاكل السياسية ، والمالية والتنظيمية ، والغاء الحديث عن التخوف من هيمنة المنظمة الكبرى ، وكذلك الغاء تأثيرات الساحات الخارجية على الساحة الفلسطينية ؟

ج : بالنسبة للموقف السياسي يشكل البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي طرح في دورة المجلس الوطني الاخيرة اساساً لوحدته ، ولا أتصور ان هناك خلافاً بشأنه . وهذا امر مريح . وبالنسبة للأمور المالية فإن مؤتمر القمة العربية الاخير الذي عقد في بغداد ، قد قدم تسهيلات كبيرة جداً ، بحيث يمكن ان تتمول الفصائل كافة من الصندوق القومي الفلسطيني صندوق منظمة التحرير الفلسطينية . وربما كانت هناك تخوفات من مسألة الهيمنة وربما كانت بعض الفصائل تخشى من هيمنة « فتح » ، ولكني اتصور بأن الفصائل مقتنعة بأن « فتح » لا تمثل فقط الطليعة ، بل القطاع الاكبر من الشعب الفلسطيني ، وفيها فلسطينيون كانت لهم خلفيات سياسية متعددة ، من حزبيين وغير حزبيين . وليس في « فتح » او في قيادتها من يفكر بموضوع الهيمنة في الساحة الفلسطينية ، والتجارب التي خضناها جنباً الى جنب مع الفصائل الاخرى اثبتت ان « فتح » لا تسعى الى الهيمنة . ربما تريد « فتح » بسبب حجمها ان تكون لها الحصة الاكبر ، والفصائل الأخرى توافق على هذا . وتقوم « فتح » بمسؤوليات كبيرة جداً ، وهي التي تتحمل العبء الاكبر من المسؤوليات الكبيرة ، سواء في القتال او الانفاق او الجهود السياسية ، وهذا ملموس ومعروف . ونحن حريصون في « فتح » على اشاعة الطمأنينة في كل الساحة الفلسطينية ، وموضوع الهيمنة غير وارد .

س : نلاحظ أنه بالاضافة الى النفوذ السياسي والاقتصادي فإن الوجود العسكري للولايات المتحدة يزداد في الشرق الاوسط ، فما هو تصورك لتأثير ذلك على عمل الثورة الفلسطينية ؟

ج : الموقف الاميركي يتبلور ويتضح لنا اكثر فأكثر ، خصوصاً مع تزايد التواجد العسكري في منطقة الخليج . وفي اعتقادي ان دول الخليج تخطىء كثيراً في قضية اعطاء التسهيلات للقوات الاميركية . وكيف يكون المرء معنياً بأمن الخليج ثم يدعو القوات الاميركية الى الدخول والتواجد في المنطقة ! ؟

وان تواجد القوات الاميركية سيغري قوات كبرى اخرى على التواجد وتزداد فرص الصراع ، وربما تصل المنطقة الى الصراع العسكري المكشوف وتستباح كلية . وكما هو معروف فإن هناك علاقات صداقة تربط دولا في الشرق الاوسط بدولة كالاتحاد السوفياتي ، ولا يمكن ان يسمح الاتحاد السوفياتي لأميركا باستباحة المنطقة ، وهذا بالتالي يفسح المجال امام صراعات عسكرية كبيرة ، ولا اعتقد بأن الوصول الى هذا الموقف هو في صالح اي دولة من دول المنطقة ، وهو ليس في صالح القضية الفلسطينية . كثيراً ما تسمع تصريحات لمسؤولين في دول الخليج يؤكدون فيها حرصهم على أمنه . وباعتقادي ان الأمن ليس مطلوبا من طرف واحد ، ومن يحرص على أمن الخليج لا يقدم الدعوات ولا يعطي الشرعية للتواجد الاميركي . هناك دول قدمت التسهيلات علنا كالصومال وعمان ، وهناك اخرى فيها تواجد أميركي غير معلن ، وعداؤها موجه ضد الثورة الايرانية ، ولست أفهم لماذا يعادون ايران وعلى أي اساس ، بينما كان من المفروض الاستفادة من التغيير الاستراتيجي ، الهائل المتمثل بانتصار الثورة الايرانية ، لتعويض الخسارة الناجمة عن اخراج مصر من الصراع .

س : كيف يؤثر انتصار الثورة الايرانية على الجانب العسكري لخريطة الصراع ؟

ج : كانت الولايات المتحدة الاميركية تعتمد على قوتين في المنطقة : قوة اسرائيل وقوة ايران وقد انيطت بهما حماية المصالح الحيوية الاميركية في المنطقة . ومن يطلع على التسليح والامكانيات العسكرية التي كانت موجودة في ايران ، في عهد الشاه ، يلمس هذه الحقيقة . من هنا أدخل انتصار الثورة الايرانية تغييرا استراتيجيا ، فتغيرت موازين القوى بالنسبة لاميركا في المنطقة ، ومن هنا يدور الصراع لشد ايران الى الوراء ، والمشاكل التي تجتاح ايران تجري تغذيتها ، في اطار هذا الصراع . واعتقد بأنه لا بد من ايجاد مناخ افضل بين ايران والمنطقة العربية ، ولا بد من الوصول الى الاستقرار داخل ايران لتكون قوية ، لان قوتها هي لصالح حركات التحرر في المنطقة ، وخصوصاً العربية منها . وأنا استغرب أن تواجه قوى عربية الثورة الايرانية بهذا العداء ، وأعتقد أن هناك صراعاً حول موضوع : اين تقف ايران ، ونحن نريد ايران القوية التي تقف الى جانب حركات التحرر العربية ، ونحن نقوم بدور لايجاد حالة من حسن الجوار بين ايران والدول العربية . الاستجابة العربية ما زالت بطيئة ، وهناك بعض الامور العالقة ، ولكننا نسير في هذا الاتجاه .

اما علاقاتنا العسكرية مع ايران فهي ، مثل كل مجالات العلاقات الاخرى ، آخذة بالنمو ، وستشهد تطورات كبيرة في القريب العاجل .

س : بتلخيص ، ما هي اسس العقيدة القتالية لقوات الثورة الفلسطينية ؟

ج : عقيدتنا واضحة ، وهي مبنية على التحرير : اساس العقيدة هو تحرير التراب الفلسطيني ونظريتنا تقوم على ضرورة تحرير الارض .

صبري جريس

نهجان في العداء الإسرائيلي للعرب

قراءة في يوميات موشي شاريت ١٩٥٣ - ١٩٥٧

موشي شاريت (الذي عرف ايضاً باسم موسى شرتوك) (١٨٩٤ - ١٩٦٥) ، رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية (١٩٣٣ - ١٩٤٨) ، أول وزير خارجية في اسرائيل (أيار ١٩٤٨ - حزيران ١٩٥٦) وثاني رئيس لحكومتها (كانون الثاني ١٩٥٤ - تشرين الثاني ١٩٥٥) ، هو واحد من الزعماء الصهيونيين البارزين ، الذين لعبوا دوراً مهماً في انشاء الكيان الصهيوني في فلسطين ، ومن ثم اسرائيل ، بقيادته النشاط السياسي الصهيوني خلال ثلاث وعشرين سنة متتالية (١٩٣٣ - ١٩٥٦) .

وشاريت ، اضافة الى صفته السياسية ، هو أيضاً مؤلف ...و« فقيه » ، كان قد استنبط عدة مفردات وتعابير عبرية جديدة . وقد صدرت له ، سنة ١٩٥٨ ، عن دار النشر الهستدروتية (عام عوفيد) ، في تل - أبيب ، الطبعة الأولى من أول كتبه السياسية ، « بشاعار هأومت » (على بوابة الأمم) ، وهو عبارة عن تسجيل وعرض للنشاط السياسي الصهيوني خلال السنوات ١٩٤٦ - ١٩٤٩ التي ركز الصهيونيون جهودهم ، خلالها ، على اقامة الدولة اليهودية وتثبيت أسسها . وبعد وفاة شاريت ، راحت دار النشر المذكورة ، بالاشتراك مع المكتبة الصهيونية ، تصدر سلسلة مذكراته السياسية ، « يومان مديني » ، وهي أيضاً عرض وتسجيل للسياسة الخارجية الصهيونية . والمجلد الاول من هذه السلسلة ، الذي صدر سنة ١٩٦٨ ، يضم مذكرات سنة ١٩٣٦ ، اولى سنوات الثورة العربية الكبرى في فلسطين . ثم تبعته ثلاثة مجلدات أخرى ، يضم كل مجلدٍ منها مذكرات سنةٍ من السنوات التالية : ١٩٣٧ و ١٩٣٨ و ١٩٣٩ (ويفترض ان تستكمل هذه السلسلة ، مستقبلاً) .

أما آخر « انتاج » شاريت ، الذي رأى النور ، فهو يومياته الشخصية* وهي موضوع

---

* موشي شاريت ، **يومان ايشي ١٩٥٣ - ١٩٥٧** (يوميات شخصية ، ١٩٥٣ - ١٩٥٧) ، تل - ابيب سفريات معاريف ، ١٩٧٨ ، ٨ أجزاء ، ٢٥١٣ ص (بالعبرية) .

هذه القراءة . ويوميات شاريت هذه ، على الرغم من وصفها بالـ « شخصية » ، هي أساساً سياسية . وكان ابنه ، يعقوب ، من عمل على نشرها ، بعد مرور اكثر من عشرين سنة على انتهاء والده من كتابتها ، وبعد ان توفي معظم « ابطالها » . واليوميات ، عموماً ، عبارة عن تسجيل شبه يومي ، مع بعض الفجوات ، من حين الى آخر ، لنشاط صاحبها ومواقفه وافكاره وآرائه وسياسته ، بصفته وزيراً للخارجية ، ورئيساً للحكومة لفترة ما أيضاً : كما أنها تعرض مواقف الآخرين ، من اسرائيليين وغيرهم ، ممن كانت لهم علاقة بالمسائل التي شغلت بال الزعامة الاسرائيلية ، أو المشاكل التي واجهتها اسرائيل خلال تلك الفترة . ومن هذه الناحية ، تقدم اليوميات مادة اولية وثائقية دسمة ، تلقي الاضواء على فترة تعتبر من الفترات الغامضة في تاريخ اسرائيل ، وتتعرض لقضايا ومشاكل ومغامرات تعتبر اكثر غموضاً .

فترة تحول

لا تكتسب يوميات شاريت اهميتها من شخصية كاتبها ، وحسن اطلاعه ، بحكم مناصبه على الأقل ، على الأمور التي يتحدث عنها ، فحسب ، وانما لأنها ، أيضاً ، تتناول فترة انتقالية ، تحولت السياسةالاسرائيلية ،خلالها ،من وضع اتصف بـ « الميوعة » وانعدام « وضوح الرؤية » ، وفقدان « الثقة بالنفس » ، كان قد سيطر عليها في مطلع الخمسينات ، الى حالة تبلور معها العداء للعرب وتمأسس ، في منتصف ذلك العقد ، على الشكل الذي لا يزال ملازماً لها حتى الآن . وأهمية اليوميات كامنة في القائها الاضواء على العوامل المختلفة التي أدت الى ذلك التحول .

وهذا التغيير في الموقف الاسرائيلي لم يتم صدفة ، وإنما نجم عن عدد من العوامل ، كما أن أكثر من طرف قد شارك فيه ، وجاء على ارضية الاوضاع الدولية والمحلية التي سادت آنذاك ، والتي وصلت معها السياسة الاسرائيلية الى مفترق طرق . فعلى الصعيد الخارجي ، بعامّة ، وبالنسبة لوضع اسرائيل في المنطقة ، بخاصّة ، كانت السياسة الصهيونية قد طورت ، في حينه ، نظرية مفادها ان العرب لن يقبلوا بالوجود الصهيوني في المنطقة ما لم تنشأ دولة يهودية مستقلة ذات سيادة ، لا قدرة لهم على اقتلاعها . غير انه لم تمر إلّا أربع سنوات أو خمس على قيام اسرائيل حتى اتضح بطلان تلك النظرية ، اذ ان العرب لم يرفضوا الاعتراف بها فحسب ، بل راحوا ، كما اعتقد بعض الاسرائيليين على الاقل ، يعدون العدة لجولة ثانية ضدها . وساهم في تقوية هذا الشعور عمليات الهجوم والتسلل ، المنظمة او العشوائية ، التي كانت تتم عبر خطوط الهدنة ، من هذه الدولة العربية او تلك ، الى داخل الاراضي المحتلة ، بهدف القيام بما يمكن تسميته نشاطاً فدائياً ، وان كان محدوداً وغير واضح المعالم ، او لتنفيذ عمليات سلب وقتل « خاصة » . وكثيراً ما كان هذا النشاط يجر عمليات اسرائيلية انتقامية ضد الدول العربية المجاورة ، تطورت ، في اكثر من حالة ، الى صدامات عسكرية ، خصوصاً ، على الحدود المصرية والسورية . وهذا الشعور الاسرائيلي بالخوف من جولة عربية ثانية ، صحيحاً كان او وهمياً ، تزامن أيضاً مع بروز الشعور بالعزلة استراتيجياً ، إثر اتجاه الغرب بزعامة الولايات المتحدة الناشطة ، إلى اقامة الأحلاف العسكرية ، الموجهة ضد السوفيات ، في المنطقة ، من خلال الاعتماد أساساً على العرب ، وتجاهل اسرائيل ، ما لم تسع هذه الى تسوية خلافاتها مع العرب ، وحملهم على القبول بها والموافقة على التعاون معها ؛ وهو ما اعتبرته

الزعامة الاسرائيلية ، وبحق ، شبه مستحيل او ، على الاقل ، سابقاً لأوانه وبعيد المنال ، ازاء الرفض العربي لها ؛ مما ساهم في تقوية الازمة التي واجهتها .

أما على الصعيد الداخلي ، فان الوضع لم يكن أيضاً أكثر اشراقاً : اذ ظهر ان « الصبي لا ينمو كما توقع والداه » . ففي ذلك الوقت ، بدا واضحاً للجميع ان اسرائيل لا تتطور كما توقع مؤسسوها ، وأن ازمات مستفحلة ، ليس من السهل حلها ، تواجهها على اكثر من صعيد ؛ وكانت الأزمة الاقتصادية أولاها وقد نجمت ، الى حد ما ، عن المقاطعة العربية للكيان الصهيوني ، والتي وصلت حدتها ، في مطلع الخمسينات ، الى حد تقنين المواد الغذائية . وعلى الرغم من ان اسرائيل اجتازت بسلام تلك الفترة الحرجة اقتصادياً ، سرعان ما اتضح لقادتها ان الازمة الاقتصادية ستلازمها لوقت طويل ، على ما يفترضه ذلك من ضرورة الاعتماد الدائم على مساعدات الآخرين وتبرعاتهم . كذلك ظهرت ، خلال تلك الفترة أزمة حادة من « الثقة بالنفس » ، صهيونياً ، ناجمة - ان صح التعبير - عن انخفاض مستوى اداء الدولة اليهودية ، عموماً ، إثر اضطرارها ، خلال سنواتها الاولى ، الى استيعاب اعداد كبيرة نسبياً من المهاجرين اليهود الشرقيين ، من ذوي المستوى الثقافي والحضاري المتدني ، الذين اصبحوا بمثابة عالة على اسرائيل ، وبحاجة الى مساعدات اجتماعية مختلفة منها ، بدلاً من ان يساهموا في تقويتها وجعلها دولة عصرية ، وهو ما لم يأخذه آباء الصهيونية ومعلموها بالحسبان . وعلى هذه الارضية ، برز أيضاً التناحر الحاد بين الاحزاب والفئات السياسية المختلفة حول الاستراتيجية العامة ، او الخطوات العملية ، التي ينبغي على اسرائيل اتباعها ، عالمياً وشرق اوسطياً وداخلياً ، لضمان وجودها وتحقيق اهدافها . ولم يكن الحسم سهلاً .

ويقال ان المشاكل ، وخصوصاً الصغيرة منها ، التي نجمت عن تلك الازمات ، و « القرف » الذي ولدته لدى دافيد بن - غوريون ، وهو الذي اعتاد التصدي لـ « كبار الأمور » ومواجهة التحديات الصعبة ، خلال الفترة التي سبقت قيام اسرائيل ، جعلته يصاب بـ « الملل » (انظر ص ١٣٨ من اليوميات)، فيقرر ، في اواخر سنة ١٩٥٣ ، الاستقالة من منصبه كرئيس لحكومة اسرائيل والاعتكاف لفترة ما في كيبوتس سديه بوكر في النقب (وكان هذا هو حافز شاريت للبداية بكتابة يومياته ، إثر احساسه بأنه سيكون رئيس حكومة اسرائيل المقبل) . ومع استقالة بن - غوريون ، وحلول شاريت مكانه (إضافة الى احتفاظه بمنصبه الاصلي كوزير للخارجية) ، تبدأ فترة جديدة في السياسة الاسرائيلية ، امتازت بصراع مستمر ، خفي تارة وعلني طوراً ، بين الرجلين وانصارهما ، وانتهت بعودة بن - غوريون الى الحكومة الاسرائيلية (كوزير للدفاع ، اوائل سنة ١٩٥٥ ، وكرئيس للحكومة ، إضافة الى ذلك ، منذ اواخر تلك السنة) ، ثم اخراج شاريت منها ، في صيف ١٩٥٦ . وجاءت هذه التغييرات في المناصب الحكومية بمثابة تمهيد للطريق امام العدوان الثلاثي ، الاسرائيلي - الفرنسي - البريطاني ، على مصر في خريف تلك السنة ، الذي اعتبر انتصاراً للخط المعادي للعرب داخل المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ؛ والذي غرس أيضاً بذور الحروب العربية - الاسرائيلية التي تلته (وهذه هي الفترة التي يتناول شاريت أحداثها باسهاب في يومياته) .

تياران في السياسة الاسرائيلية

لعل ابرز ما يلفت النظر في السياسة الاسرائيلية ، خلال هذه الفترة ، كما يقدمها

شاريت ، هو وجود تيارين ـ اتجاهين مختلفين داخلها ، يتصارعان فيما بينهما، وكل منهما يحاول أخذ زمام الأمور بيديه . ويشتد هذا الصراع بين التيارين ، من حين الى آخر ، ويصل الى درجة يخيل معها احياناً للقارىء وكأن السياسة الاسرائيلية ، بكافة المشاكل التي تواجهها، تبت من خلال ردود الفعل المتوقعة من قبل مؤيدي هذا التيار او ذاك ، او تحسّب بعضهم مما قد يقوله ، او يستنتجه ، مناوئوه ، دون اي اعتبار للظروف الموضوعية التي قد تحتم تصرفاً آخر .

ويتزعم موشي شاريت واحداً من هذين التيارين ـ الاتجاهين ، اما الثاني فيقوده دافيد بن ـ غوريون . ولكل من الرجلين انصاره والمعجبون به ، داخل حزبهما المشترك ، الحاكم آنذاك ، وهو مباي (حزب عمال ارض ـ اسرائيل ، ومنذ سنة ١٩٦٨ : حزب العمل الاسرائيلي) ، وفي الاحزاب الاسرائيلية الأخرى . ويمكن ، باختصار ، وصف التيار الذي تزعمه شاريت بأنه « عاقل » و « معتدل » إن قوبل بتيار بن ـ غوريون ، المتشـــدد و « العدائي »؛ والاثنان ينطلقان ، بالطبع ، من فهم كل منهما المختلف للمصلحة الصهيونية ، واسلوب معالجة المشاكل التي تواجه اسرائيل . وكانت هذه المفاهيم ووجهات النظر المختلفة لدى كل من بن ـ غوريون وشاريت قد تبلورت خلال نحو أربعين سنة من التعاون ـ التنافس فيما بينهما ، وهي حقبة وصلا خلالها الى وضع كان بن ـ غوريون يعتبر فيه الرجل الاول في الحزب (ثم الدولة) وشاريت الرجل الثاني (التفاصيل في الصفحات ١٥٤ و ١٥٩ و ٨٧٧ و ١٤٥٥ من اليوميات) .

ومفاهيم بن ـ غوريون وشاريت المختلفة هذه ، وان كانت متنافرة ، تتقاطع ، واحياناً تتطابق مع بعضها البعض ، وفق نظرة كل منهما ، في كل حالة وحالة . فشاريت ، مثلاً ، وكما يبدو نتيجة لنشاطه في مجال العلاقات الخارجية ، يهتم بالرأي العام العالمي تجاه اسرائيل ، ويخشاه ولذلك يعتقد ان سياسة اسرائيل ينبغي ان تعتمد على قوتها الذاتية من ناحية ، وعلى الحرص على عدم اثارة الحساسية تجاهها من ناحية أخرى (ص ٤٠١) ، ويرى « تناقضاً صارخاً بين تعلقنا الموضوعي المطلق بمساعدة العالم لنا وعطفه علينا ، وبين .. انغلاقنا على ذاتنا وانعدام احساسنا التام بردود فعل الرأي العام العالمي على اعمالنا » (ص ٥٠) . أما بن ـ غوريون فيعتقد أن أمن اسرائيل مسألة مصيرية ، مرتبط ، أولاً ، بالقدرات الاسرائيلية نفسها ، وليس بعطف الأمم المتحدة او الدول الكبرى عليها (ص ٩٢٠) ، ويرى تبعاً لذلك ، على سبيل المثال ، ان اسرائيل قامت سنة ١٩٤٨ نتيجة لجرأة الصهيونيين واستعدادهم للمخاطرة ، وليس استكمالاً لقرار الأمم المتحدة ، لسنة ١٩٤٧ القاضي بتقسيم فلسطين واقامة دولتين فيها ، عربية ويهودية (ص ٨٧٤) .

والخلاف نفسه ينطبق أيضاً على الموقف « الاستراتيجي » لكل من الرجلين تجاه العرب . فبن ـ غوريون يحذر في جلسات الحكومة ، اكثر من مرة ، (انظر ، مثلاً ، ص ٥٤ و ٣٢٩) من استعدادات العرب العسكرية واتجاههم لتسليح أنفسهم ، ويرى في ذلك نية مبيتة للقيام بجولة ثانية ضد اسرائيل ، قد تفرض عليها العمل على احباطها مبكراً بشن حرب وقائية ضدهم ، بينما يعتقد شاريت ان الحافز لتلك الاستعدادات قد يكون دفاعياً بحتاً ، وناجم عن خوف العرب من هجوم اسرائيلي ضدهم . ولا يسجل شاريت شيئاً يذكر عن نظرة بن ـ غوريون لمستقبل علاقات اسرائيل مع العرب او كيفية تسوية الخلافات معهم ، ولكنه يبدي بوضوح رأيه هو بأن اسرائيل

« تستطيع فرض السلام على العرب بواسطة انتصار ساحق في حرب شاملة فقط ، اي بواسطة احتلال دمشق والقاهرة وعمان . ولكن ، حتى عندئذٍ ، لن يكون هذا سلاماً بل استسلاماً ، مؤقتاً ، تنفجر بعده انتفاضة غاضبة قد تمحونا من على اراضي اسرائيل » (ص ٨٧٤) . ثم انه مهما احتلت اسرائيل من اراض عربية ، تبقى هنالك دائماً حدود ، يقف وراءها عرب كارهون لها (ص ١٠٦٠) ، على استعداد لاستئناف القتال ضدها ، عاجلاً أم آجلاً . ولذلك ليس على اسرائيل الا القبول بالوضع الراهن والسعي الى عقد سلام مع العرب (ص ٨٧٣) ، من خلال استعداد لتقديم بعض التنازلات لهم .

أما الناحية العملية ، في اختلاف وجهات النظر بين الرجلين ، فتظهر على أشد ما يكون وضوحاً في منطلق كل منهما تجاه العمليات الانتقامية ، التي أكثرت اسرائيل من شنها آنذاك ضد الدول العربية المجاورة . فقارئ اليوميات يلمس بوضوح ان همّ شاريت انحصر أساساً ، خلال هذه الفترة ، في منع تلك العمليات او تقييدها او الحد من شموليتها واضرارها ، مستخدماً كافة المبررات التي يجدها ، لاعتقاده انه بذلك يمنع التدهور نحو حرب عربية ـ اسرائيلية جديدة . وفي مساعيه هذه ، اصطدم اكثر من مرة مع قيادة الجيش الاسرائيلي وبن ـ غوريون وعدد من الوزراء . ولكن شاريت ، على الرغم من موقفه هذا ، رفض ، من ناحية ثانية ، الموافقة على اقتراح يقضي بالامتناع ، مبدئياً ، عن اللجوء الى الاعمال الانتقامية كوسيلة (ص ٤٥٥) ، لأن «هنالك ضرورة للرد من حين الى آخر (ص ٤٥٨) على « تحرش » العرب . ثم « ان الاعمال الانتقامية الشديدة ، التي نفذت من حين الى آخر ، هي التي وضعت الحواجز امام موجات الاعتداءات التي كانت تطغى على مناطق الحدود وتصل بأمن الدولة الى حد الانهيار » (ص ٥٩٥) . ونراه ايضاً يسر ليومياته ، بعد الهجوم الاسرائيلي على نحالين في الضفة الغربية ، في آذار ١٩٥٤ ، والذي كان شاريت قد أقره قبل تنفيذه ، ان تلك العملية « خففت التوتر في البلد ، وقضت على الشعور بالضيق ورفعت المعنويات ... » (ص ٤٢٢) . ويضيف ، في مناسبة أخرى ، انه يعتبر الدكتور حاييم وايزمن ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ومن ثم اول رئيس لاسرائيل ، واسلوبه في العمل السياسي ، الذي وصفه بعض الصهيونيين بأنه مغال في الاعتدال ، او « مستسلم » ، هو الذي ادى الى انشقاق الصهيونيين الاصلاحيين (آباء حزب حيروت ، الشريك الاكبر في ليكود حالياً) عن المنظمة الصهيونية العالمية ، في حينه . و « وباء الانشقاق هذا قد يتجدد في الدولة ، اذا حاولنا التساهل [مع العرب] اكثر مما ينبغي » (ص ١٠٢٥) . ولكن ، في مقابل ذلك ، يتضح ان المهم بالنسبة لبن ـ غوريون هو « الأمن » ، ومفهومه للأمن واسع للغاية ، يصل حتى الى ضرورة المطالبة باتباع اسلوب الانتخابات المنطقية في اسرائيل ، لكي يتم ،بناء على ذلك ،تشكيل حكومات مستقرة تستطيع المحافظة على الأمن . وانطلاقاً من مفهومه هذا ، لا يتردد بن ـ غوريون كثيراً في الموافقة على القيام بعمليات انتقامية ، او المطالبة بتنفيذها (ص ٨٠٠ و ٨١٦) ، وان كان يعتقد انه لا ينبغي ، بالضرورة ، الرد على كل حادث يقع على الحدود (ص ٧٤٢) .

وكان الصراع ، حول تنفيذ العمليات الانتقامية الاسرائيلية ضد الدول العربية ، وكل ما يتعلق بتلك العمليات من حيث التوقيت او المدى او اختيار الاهداف ، يثير ، آنذاك ، داخل المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية ، بشقيها المدني والعسكري ، نزاعات و « نرفزات » عديدة نظراً لانعكاساتها الواسعة على اوضاع اسرائيل ، خارجياً وداخلياً .

فضيحة ـ او فضائح ـ لافون

مع استقالة بن ـ غوريون ، وانتقاله للسكن في كيبوتس سديه بوكر في النقب ، ومن ثم تعيين شاريت خلفاً له رئيساً لحكومة اسرائيل ، في اواخر ١٩٥٣ واوائل ١٩٥٤ ، يبدو ، لأول وهلة ، ان الغلبة كانت للاتجاه « المعتدل » الذي يمثله الأخير في السياسة الاسرائيلية ، على ما قد يحمله ذلك من تغييرات متوقعة قد تطرأ عليها . غير ان الواقع كان عكس ذلك . فبن ـ غوريون ترك وراءه في السلطة ، قبل « اعتزاله » الحكم « حصاني طروادة » ، كان اولهما بنحاس لافون ، نائب وزير الدفاع ، الذي عُينَ وزيراً للدفاع ، مكان بن ـ غوريون ، وكان ثانيهما موشي دايان الذي عُينَ رئيساً للاركان .

ولم يكن شاريت راضياً عن هذه التعيينات ، خصوصاً بالنسبة لدايان ، لان ذلك يعني « تسييس » الجيش ، بينما « ستصبح القدرة البالغة لرئيس الاركان الجديد على تدبير المكائد مصدراً خصباً للتعقيدات » (ص ٢٩) . ثم ان « دايان ليس رجل جيش ولا انضباط . انه مقاتل ـ متطوع جري ء ، خلال الحرب ، وسياسي ـ مغامر لامع في وقت السلم . ولا يدرك ، كما أنه غير مهتم بادارة جهاز عسكري » (ص ٢٠٢) . اما بنحاس لافون فان « مزاياه قد تشكل خطراً ... وهو يمر في مسار من التطرف ، بالنسبة [لموقفه] من الشؤون الخارجية والداخلية » (ص ١٥٧) وقد ابدى شاريت مخاوفه من التعيينات المقترحة ، وتوقع حدوث المشاكل مع ذلك الثنائي ، ومع كل منهما على حدة ، ولكنه لم يستطع اتخاذ اي اجراء مضاد ، خصوصاً بعد ان اوضح بن ـ غوريون ان تركه الحكومة مرهون بتعيين دايان (رغم انه كان اول رئيس اركان لا تتم الموافقة على تعيينه بالاجماع من قبل الحكومة) . بل ان التعيين تم في اليوم نفسه الذي اعلنت فيه ، رسمياً ، استقالة بن ـ غوريون (ص ٢٠٥ و ٢١٥) .

ولم يمر وقت طويل حتى اتضح ان مخاوف شاريت كانت في محلها . فلافون ، مع تعيينه وزيراً للدفاع ، بدا كأنه لا يفضل الا طريق المغامرات العسكرية . فنراه يُقدّم ، في هذا الصدد ، المشروع تلو الآخر للحكومة . ومن بين هذه « المشاريع » ، مثلاً ، القيام بعملية عسكرية لفك الحصار البحري الذي فرضه المصريون ، من شرم الشيخ ، على ميناء ايلات (العقبة) ، على الرغم من ان اسرائيل لم تكن تملك آنذاك القوة العسكرية الضرورية للقيام بمثل هذه العملية . ومنها اقتراح آخر ، يقضي بمهاجمة السوريين في طبريا ، بسبب اطلاقهم النار على زوارق الصيد الاسرائيلية في البحيرة . ومن بينها أيضاً العمل على ضم المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود بين سوريا واسرائيل . أما اقتراحه الرابع فكان استغلال الاوضاع الانقلابية المتغيرة في سوريا ، ومن ثم امكانية دخول الجيش العراقي اليها ، لاحتلال جزء منها وضمه الى اسرائيل . وكان الخامس احتلال قطاع غزة ، الخ (ص ٣٣١ ، ٣٧٦ ، و ٣٧٧) . والأهم من ذلك هو ان هذه الاقتراحات انطلقت من نظريات « غريبة » طورّها لافون ، وراح ينشرها بين كبار مسؤولي وزارة الدفاع الاسرائيلية وقادة الجيش ، ومفادها « ان حكومة الولايات المتحدة ضدنا [لأنها كانت تسعى آنذاك الى عقد حلف دفاعي مع العرب ، موجه ضد السوفييت ، متجاهلةً اسرائيل] ، وهي اليوم العدو ، ومنها ينبع الخطر . وينبغي رفض مشروع كلاب [لتوطين اللاجئين] كلياً وبصورة مطلقة ؛ والاهم من ذلك هو ان نظام الهدنة [بين اسرائيل والدول العربية] ليس الا مؤامرة لابادة اسرائيل ، ولا ينبغي تحمله بأي شكل من الأشكال » (ص

١٠١) . ثم انه « ليس الدول العربية ، بل دول الغرب [بأسرها] هي العدو ، والطريق الوحيد لردعهم عن تنفيذ مؤامراتهم هو النشاط المباشر [ضد العرب ؟] الذي يفرض الهلع عليهم [اي على دول الغرب] » (ص ٦٨٥) .

وانطلاقاً من مثل هذه المواقف ، لم يكن مستغرباً ان يجد لافون نفسه متورطاً ، وكما يبدو دون معرفته ، في حادثة غريبة ، كانت نتيجتها المباشرة اقصاء ه عن وزارة الدفاع (وقد أثار لافون هذه الحادثة ثانية ، في مطلع الستينات ، فانفجرت على نطاق واسع ـ وعرفت آنذاك باسم « فضيحة لافون » وتسببت في اقصاء لافون عن منصبه كأمين سر الهستدروت ، بعدان هزت أسس النظام المبائي الحاكم في اسرائيل ، وأسرعت في استقالة بن ـ غوريون من الحكم نهائياً) . وخلاصة هذه « الفضيحة » هي ان الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية اصدرت ، في منتصف تموز ١٩٥٤ ، وكما يظهر تحت تأثير « نظريات » لافون ، تعليمات الى مجموعة من عملائها ، في مصر ، معظمهم من اليهود ، بوجوب « البدء بالعمل الفوري لمنع او تأجيل الاتفاقية البريطانية ـ المصرية [بشأن جلاء بريطانيا عن قناة السويس ، وذلك بواسطة نسف وتفجير] الاهداف التالية : اولاً ، مؤسسات ثقافية واعلامية : ثانياً ، مؤسسات اقتصادية : ثالثاً ، سيارات ممثلين بريطانيين وبريطانيين آخرين : [والقيام بأي] عمل آخر قد يؤدي الى تدهور العلاقات الدبلوماسية » (ص ٦٥٩) . والغاية من هذه الأعمال ، كما أوضحها رئيس شعبة الاستخبارات العقيد بنيامين جيبلي ، الذي أرسل التعليمات ، هي « هز ثقة الغرب [بالحكومة المصرية] بواسطة التسبب بانعدام الأمن العام ، وبأعمال تؤدي الى اعتقالات ومظاهرات وردود فعل انتقامية ... [لمنع] تقديم مساعدات اقتصادية وسلاح لمصر » (ص ٧٠١) .

وكانت مجموعة العملاء تلك عند حسن ظن منظميها بها ، اذ ما ان استلمت التعليمات المذكورة ، حتى راحت تعد العدة لوضع القنابل والمتفجرات في بعض الاماكن العامة في القاهرة والاسكندرية . وقد نجحت في تنفيذ بعض العمليات . غير انه لم يمر سوى وقت قصير حتى اكتشفتها السلطات المصرية ، واعتقلت كل افرادها ، عدا رئيسهم الذي استطاع الهرب : وحكمت على اثنين منهم بالاعدام ، ونفذت الحكم فيهما رغم المحاولات العديدة التي بذلتها اسرائيل لانقاذهما ، وعلى الباقين بالسجن لفترات طويلة (وقد افرج السادات عن آخرهم بعد زيارته للقدس) .

وفي مواجهة هذه الورطة ، تصرفت الحكومة الاسرائيلية بأشكال مختلفة . فتجاه الرأي العام ، داخل اسرائيل وخارجها ، اوعزت بشن حملة على مصر متهمة إياها بـ « اضطهاد » مواطنيها اليهود والعمل على الايقاع بهم ، دون ان يرتكبوا ذنباً ، بينما كانت في الوقت نفسه توسط مختلف الشخصيات والدوائر الاجنبية لدى عبد الناصر ، مقترحة اطلاق سراح المعتقلين ضمن صفقة تفاهم شبه تام بين مصر واسرائيل . أما المعارضة الاسرائيلية ، بزعامة بيغن ، فقد أوحي لها بأن خطأ ما قد وقع اثناء تنفيذ « عملية مهمة » تتعلق بـ « أمن الدولة »، يجدر بمعارضة مسؤولة وعاقلة ان تمتنع عن استغلاله ، حفاظاً على المصالح العليا للدولة : وهذا ما تم فعلاً . وفيما يتعلق بالاجراء ات الفعلية ، قام شاريت بتشكيل لجنة للتحقيق في الحادث ، لم تستطع ان تقرر « من أصدر الأمر » . وإزاء هذه النتيجة ، حولت القضية الى هيئة استقصاء مشكلة من خمسة من كبار وزراء مباي ، الحزب الحاكم .

وأمام هذه الهيئة الوزارية الحزبية ـ المبائية ، المشكلة من كبار « أهل البيت » ، وحيث مصلحة الحزب واستمراره في الحكم فوق اي اعتبار آخر ، تسود الصراحة وتظهر الصورة اكثر وضوحاً ، وتكشف عن عدد من الفضائح الأخرى . واول انطباع يتولد لدى هذه الهيئة ـ اللجنة هو ان لافون « خرّب » وزارة الدفاع ، وذلك بأن خلق ، نتيجة لتآمره وغطرسته ودسه ، وضعاً في الوزارة لم يستطع معه كبار المسؤولين فيها الاستمرار في التعاون مع بعضهم البعض (ص ٦٤٢) ، مما أدى ، في نهاية الأمر ، الى عزل لافون وانقلاب مؤيديه السابقين ضده (ص ٦٣٧ و ٦٣٩) . ونتيجة لذلك ، تقوضت أطر المسؤوليات والصلاحيات داخل الوزارة ، وبدا كأن كل شخص يتصرف على هواه ، ويتجاوز المسؤولين عنه . فقد افاد احدهم ، مثلاً ، ان لافون قام بتزييف امر العمليات المتعلق بالهجوم الاسرائيلي على قرية قبية في الضفة الغربية ، في اواخر ١٩٥٣ ، وذلك بأن حصل على موافقة رئيس الحكومة ووزير الدفاع على تنفيذ عملية انتقامية « عادية » ، ثم اضاف الى تعليمات التنفيذ ، الموجهة للقوة المهاجمة ، بنداً يخولها القيام أيضاً « بالقتل والتدمير » . وقد أدى ذلك الى مقتل بضع عشرات من اهالي قبية ، الذين نسف الجيش الاسرائيلي بيوتهم عليهم ، بعد ان منعهم من الخروج منها . وشهد آخر ان لافون اقترح أيضاً القيام ، في الاردن ، بعمليات مشابهة لتلك التي نفذت في مصر ، للايقاع بين الاردنيين والاميركيين (ص ٥٦٢) . أما دايان فقد اشتكى من ان الجيش نفذ احدى العمليات الانتقامية ، التي أسفرت عن مقتل أربعة اردنيين ، دون علمه ، وهو رئيس الاركان ، موضحاً ان كبار ضباط شعبة العمليات يسيطرون على رئيس الشعبة ، العميد يوسف افيدار ، ويفعلون ما يريدون (ص ٥٢٦) . وظهر حتى ان حرس الحدود كذلك يقوم بعمليات انتقامية « على حسابه » (ص ٤٩٦) .

وازاء هذا الوضع ، أقصي جيبلي عن منصبه ، وأوعز الى لافون بتقديم استقالته ، وعاد بن ـ غوريون الى مكانه في الحكومة ، وزيراً للدفاع ، في شباط ١٩٥٥ . أما « حصان طروادة » الآخر ، موشي دايان ، « المهيّأ حقاً لخدمة الله والشيطان معاً » (ص ٦٥٤) ، فقد كان له شأن آخر ، بعد ان تقرر الابقاء عليه رئيساً للاركان ؛ وذلك على الرغم من تحذير ايسر هرئيل ، رئيس المخابرات العامة (الشين بيت) لشاريت من ان دايان يقوم بالدعاية ضده ، ويطالب بتغيير القيادة في الحزب والهستدروت والحكومة ، وانه قد يعقد حلفاً مع بن ـ غوريون ضد شاريت (ص ٦٣٢ و ٧٠٥ و ٧٩٥) .

دولة مارونية في لبنان

و « الحلف » بين بن ـ غوريون ودايان (وغيرهما) ، الذي يحذر منه هرئيل ، كان قد بدأ يتبلور ، عملياً ، خلال الفترة التي كان « العجوز » بن ـ غوريون فيها خارج الحكم ، وذلك خلال « المشاورات » التي اعتاد الزعماء الاسرائيليون اجراء ها معه ، حتى وهو « مواطن عادي » . ويتضح من هذه المشاورات ان روح المغامرة لم تكن مسيطرة على لافون وحده ، بل إنها كانت تطغى ، احياناً ، على بن ـ غوريون نفسه . وفي هذا الصدد ، يبرز بشكل ملفت للنظر اقتراح بن ـ غوريون العمل على اقامة دولة مارونية في لبنان .

ففي اواخر شباط ١٩٥٤ ، اي مع بداية فترة « التأمل » و « اعادة النظر » التي قرر

بن ـ غوريون قضاءها في سديه بوكر ، لفت نظره عدم الاستقرار السائد في بعض الدول العربية (الصراع بين محمد نجيب وعبد الناصر في مصر ، والانقلابات العسكرية المتتالية في سوريا) ، وراح يفكر في كيفية استغلالها لتحقيق بعض المآرب التوسعية الاسرائيلية . غير أنّه توصل ، على الرغم من عدم الاستقرار في تلك الدول ، الى نتيجة مفادها ان لبنان بالذات هو « الحلقة الاضعف في سلسلة الجامعة » العربية . ولذلك بعث برسالة ـ مذكرة الى شاريت ، مقترحاً ان تبادر حكومة اسرائيل الى العمل على تأسيس دولة مسيحية في لبنان ، والتي لن تقام « دون مبادرتنا ومساعدتنا الجادة » ؛ ولهذا ينبغي « تجنيد كل مستعربينا لذلك . وان كان المال مطلوباً ، فلا حاجة لتوفير الدولارات » (ص ٢٣٩٧ ـ ٢٣٩٨) . ويفترض في هذه الدولة ، مع تأسيسها ، ان تعقد حلفاً مع اسرائيل . وقد قام شاريت بمناقشة محتويات هذه المذكرة اكثر من مرة ، بعد استلامها . ورد أخيراً على بن ـ غوريون بقوله انه « حسب معلوماته ، لا توجد اليوم في لبنان حركة تسعى لتحويل البلد الى دولة مسيحية ، تكون السلطة المقررة فيها للطائفة المارونية » . ولهذا فان الظروف غير مواتية لذلك . ولو كان الواقع مختلفاً ، الى حد ما ، فلا مانع لدى شاريت من المحاولة ، بل انه « يوافق قطعاً [على سبيل المثال] على تقديم مساعدة فعالة لكل [بادرة] غليان لدى الطائفة المارونية ، بهدف تقوية نفسها وانعزالها ، حتى اذا كان ذلك الغليان يجري دون امكانية لتحقيق اهدافه » . ولذلك فان « تحويل لبنان الى دولة مسيحية يبدو اليوم غير ممكن » ، وان كان شاريت « لا يسقط من الحسبان امكانية تحقيق ذلك في اعقاب طوفان من الاضطرابات قد يطغى على الشرق الاوسط ، فيحفز الهمم ، ويلقي بالأطر القائمة في أتون يصهرها ويصنع منها صيغاً أخرى » (ص ٢٣٩٨ ـ ٢٤٠٠) .

غير أن بن ـ غوريون عاد وأثار الموضوع ثانية ، بعد نحو شهرين من استلام الرد المذكور ، خلال اجتماع للتشاور وتبادل الآراء عُقد ، بمبادرة من شاريت ، بين كبار المسؤولين في كل من وزارة الخارجية والجيش . وفي هذا الاجتماع انضم دايان الى بن ـ غوريون ، في طلبه التدخل في لبنان ، موضحاً ان « كل ما هو مطلوب ، حسب رأيه ، هو ايجاد ضابط ، ولو كان برتبة رائد [أهو سعد حداد ؟] ، واستمالته أو شراؤه بالمال ، لكي يوافق على اعلان نفسه منقذاً للسكان الموارنة . وعندئذٍ يدخل الجيش الاسرائيلي الى لبنان ، ويحتل المساحة التي يستطيع احتلالها ويقيم سلطة مسيحية متحالفة مع اسرائيل . وستضم المساحة الواقعة جنوبي الليطاني بصورة نهائية الى اسرائيل ، والكل سيمر بسلام » . ولكن « هذه المرة ـ يقول شاريت ـ دخلت في نقاش واسع معه بهذا الشأن ، وحاولت ان اوضح ان الموارنة ليسوا الا عكازاً من القصب المحطم ، منقسمون على أنفسهم ، ولا توجد بينهم جهة يمكن ان تتجرأ على المخاطرة ، وتستطيع ان تكون بالنسبة لنا سنداً وحليفاً حقيقياً » (ص ٩٩٦) .

ولكن على الرغم من هذا الموقف الواضح ، قام شاريت ، فيما بعد ، بطرح هذه الاقتراحات على كبار مساعديه (وخصوصاً مدير عام الخارجية جدعون رفائيل) وعلى بعض المستعربين (الياهو ساسون وزلمان ديفون ، وبنحاس الياف) ، فتقرر انشاء « وحدة للبحث والاستقصاء [والقيام] باعمال حذرة بهدف تشجيع الدوائر المارونية التي لا تحني رأسها للضغط الاسلامي ، وهي على استعداد للتفتيش عن سند لها لدينا » (ص ١٠٢٤) . واتفق الجميع أيضاً على ضرورة « اقامة علاقات ورعايتها ... والحقيقة هي أننا نقيم اليوم علاقات مع

مجموعة معينة ، وحاولنا سبر غور كثيرين غيرهم . ولكن على الرغم من ذلك من المفيد المثابرة اكثر على محاولات اقامة العلاقات - وخصوصاً محاولة جسّ نبض الجيش - ونرى ماذا ستكون النتائج » (ص ١٠٦٥) .

ويبدو ان تحفظ شاريت تجاه اقتراحات التدخل في لبنان ومساعدة مسيحييه ، ناجم عن وجهة نظر خاصة به ، مفادها انه لا ينبغي على اسرائيل الاعتماد على الاقليات في تعاملها مع العالم العربي ، على المدى البعيد ، لانه « ليس معهم بل مع الأكثرية سنضطر الى عقد السلام يوماً ما ؛ ولانهم اقليات بالذات لا ينبغي الاعتماد عليهم ، اذ ان ملاءمة انفسهم [مع الظروف المستجدة] بصورة متقلبة هي أساس موقفهم ، وطريقهم التقليدي للدفاع عن أنفسهم » (ص ٣٣٤) .

البحث عن موقع ... واستراتيجية

مهما كان الحجم الذي احتلته « فضيحة لافون » او مشاريع اقامة الدولة المارونية ، فمن الواضح ان هذه الاحداث لا يمكن اعتبارها اكثر من فصول ، رئيسية او ثانوية ، في مسلسل الصراعات الداخلية الاسرائيلية الدائرة ضمن محاولات التفتيش عن موقع لاسرائيل ، على الخريطة السياسية العالمية ، او عن استراتيجية تنتهجها تؤمّن لها احتلال ذلك الموقع والبقاء فيه .

ريبدو ان المشكلة الرئيسية التي واجهتها اسرائيل آنذاك كانت العزلة السياسية المفروضة عليها ، على الصعيدين الشرق الاوسطي والعالمي من جهة ، و « تحرش » العرب بها وسط عدم اكتراث عالمي مطبق من جهة أخرى . ويصف شاريت المشاكل التي يواجهها ، مع حكومته ، نتيجة لهذا الوضع - في برقية بعث بها ، في اواخر آذار ١٩٥٤ ، الى آبا ايبن ، سفير اسرائيل في واشنطن ، طالباً منه العمل على تدخل الولايات المتحدة - بقوله : « يسود البلاد شعور بالاحباط ... [والمعارضة] تحاول حصاد ثمار اليأس والجنون . ولكن ليس هذا هو المزعج . ففي قطاعات الحزب [مباي] ذهول وعدم ثقة داخلية فيما يتعلق بصحة طريقي [السياسية] . وبين الضباط تذمر مكبوت ، وأخشى ان يكون هناك أيضاً انعدام ثقة متزايدة ، ولا ينقص الهمس ... والعقلاء يدركون ان نظام الحكم القائم [يتبع طريقة] ضبط النفس والتروي ، وسياسة متوازنة بين التهديد بالقوة واستنفار التأييد الدولي . ولكن سمعة الأمم المتحدة في الحضيض ، والولايات المتحدة مدانة كمعادية [لاسرائيل] ، وبريطانيا مشكوك بأمرها ، بسبب تآمرها . والكثيرون لا يستطيعون ان يروا مخرجاً من هذه الضائقة ، والاستهتار يتفاقم . وفي هذه الحالة ، من الضروري ان تترافق الجهود لكبح امكانية انفجار عظيم المخاطر باجراء ات شديدة وتظاهرية من الضغط السياسي . كما ان اعتبارات السياسة الخارجية تلزم بتوجيه ضغوط على الدول الكبرى وحثها على التدخل الحازم لدى الطرف الآخر [العرب] لحملهم على وضع الحواجز امام الاعتداء ات » (ص ٤١٧) : وبعد مرور اسبوعين على هذه البرقية يوضح شاريت امام اللجنة السياسية لحزب مباي ، ان ضائقة اسرائيل ناجمة ، حسب رأيه عن « اهتزاز نظام الهدنة [بين اسرائيل والدول العربية] ، تشديد العداء العربي ، اتساع تعلق الغرب بالعرب ، والتحول في السياسة السوفياتية نحو تأييد العرب ضد الغرب وضدنا » (ص ٤٦٣) . وبعد مرور نحو سنة على هذا التحليل ، اي في اوائل ١٩٥٥ نرى شاريت لا يزال

يتحدث عن « السلم البعيد ، الذي ربما لن يحظى به الا الجيل القادم » ، وعن « الاسباب المبررة لكره العرب لنا ، وعدم قدرة الولايات المتحدة على فرض السلام على العرب » (ص ٧١٣) . بل انه يضيف ، في مناسبة أخرى ، خلال حديث صحفي لم يكن من المفروض ان ينشر ، انه قد « حكم على اسرائيل بالموت البطيء » (ص ٨٥٤) .

في مثل هذه الاوضاع السياسية ، وعلى أرضيتها ، تصل الى اسرائيل تقارير تفيد أن دول الغرب ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، تتجه الى اقامة حلف مع دول المنطقة ، « للدفاع » عنها ضد السوفيات . وفي الوقت نفسه ، تبدأ الاتصالات الاميركية ، في هذا الشأن ، مع الباكستان وتركيا لاقامة نواة لذلك الحلف (الذي انضمت اليه العراق فيما بعد ، وعرف باسم حلف بغداد) . وتحاول اسرائيل ، ازاء هذا الوضع الجديد الآخذ في التبلور ، جس النبض لمعرفة ما اذا كان لها مكان في الحلف الجديد ، ولكن سرعان ما يجيئها الرد بان الاميركيين غير مهتمين بها كثيراً (ص ٥٢٩) ، لأنهم يريدون جذب العرب اليهم ، وهؤلاء يرفضون التعاون مع اسرائيل . بل ان الجنرال ترودو ، رئيس الاستخبارات العسكرية الاميركية ، اعرب ، خلال لقاءاته مع زعماء اسرائيل ، اثناء زيارة استطلاعية قام بها في أيار ١٩٥٤ ، عن شكوكه في ان « تقاتل اسرائيل الى جانب الغرب » ، مضيفاً : « وعلى كل حال ، لا ينبغي تسليح اسرائيل لحرب عالمية ، لانه لا يمكن ارسال الجيش الاسرائيلي الى شمال منطقة [الشرق الاوسط] ، بسبب معارضة العرب ، بينما ليست هنالك فائدة من الدفاع عن [اسرائيل وحدها] ، لانه اذا وصلت المعركة الى هذا الجزء الداخلي من المنطقة ، فانها ستكون ، في كل الاحوال ، خاسرة . وسيقوم [الغرب] بتسليح فرقتين في العراق ، وبعد ذلك سيأتي دور الدول العربية الأخرى » (ص ٤٩٨) .

وفي مواجهة حلف بغداد ، يقترح أيبن من واشنطن ، العمل على عقد حلف دفاعي مع الولايات المتحدة ، ويسعى حثيثاً للقيام بذلك (ص ٧٢٦ و ٧٩٤ و ١١٨٠) : الا ان شاريت يبدي تحفظات عديدة تجاه الفكرة . وأسبابه في ذلك كثيرة ، « فاتفاق دفاع [اميركي ـ اسرائيلي] لوحده قد يصبح حالياً بمثابة ورقة التين التي تغطي عورة التسليح [الاميركي] الآحادي الجانب للدول العربية ، وعلينا الحذر جيداً من هذا الخطر » (ص ١١٨٠) . ثم « إننا مستعدون حقاً ان نلتزم بعدم تغيير الحدود بالقوة ، ولكننا ... لا نستطيع الالتزام بالامتناع عن استعمال العنف » تجاه العرب في كل الحالات (ص ٧٢٦) . واخيراً وصل شاريت الى قناعة مفادها ان حلفاً دفاعياً اسرائيلياً ـ اميركياً ، في تلك الظروف ، ليس الا « وهماً مطبقاً » ، ولذلك «ينبغي توجيه كل الاهتمام ، الآن ، الى المطالبة بتقويتنا ضد خطر الاعتداء العربي ، وليس بارتمائنا الدائم على اعناق الدول الغربية طالبين منها إشراكنا في خطط الدفاع الاقليمية ، بينما تصم آذانها عن السماع » (ص ٧٩٤) . وعليه ، من المستحسن طلب السلاح العيني من اميركا ، بدلاً من الضمانات الامنية (ص ٨٥٧) .

وبينما كان شاريت منهمكاً في التفكير بما ينبغي عمله لمواجهة حلف بغداد ، جاءته رسالة شفهية من دالاس ، وزير الخارجية الاميركي ، في اوائل آذار ١٩٥٥ ، اي بعد الهجوم الاسرائيلي الواسع على غزة ، الذي وقع بعد عودة بن ـ غوريون الى الحكومة بفترة قصيرة ، يطلب منه فيها ضبط النفس و « عدم تخريب مشاريع الدفاع الاميركية عن منطقة الشرق

الاوسط ، الضرورية لدعم الجبْهة ضد الشيوعية ، والحيوية [لاسرائيل] أيضاً » (ص ٨٣٦) . وفي رده ، لم يفوت شاريت الفرصة في استغلال الهجوم على غزة لابتزاز الاميركيين ، بقوله انه يشعر بالأسف « اذا كانت النتيجة التي سيتوصل اليها [دالاس نتيجة لذلك الهجوم] ستؤدي الى خلق دائرة مفرغة : لقد كان القصد [من الهجوم]تخفيف شعور الدولة [اسرائيل] بالعزلة ؛ ولكن ان اصبح ذلك عذراً لسلب الضمانات منا ، بعد ان نفذ صبرنا نتيجة التحرش غير المنقطع بنا ، فلن يؤدي ذلك إلا الى تقوية العزلة ، وبعث الشعور بأنه ليس أمامنا الا الاتكال على قدرتنا المحدودة » (ص ٨٣٧) .

وقد استمرت الاتصالات ، في هذا الشأن ، بين الاسرائيليين من جهة والاميركيين والبريطانيين من جهة أخرى ، الى ان حصلت اسرائيل على وعود بأنه لن يُصار الى توسيع حلف بغداد مستقبلاً ، بضم دول أخرى اليه ، دون اعطائها شيئاً ما (ص ٨٨٢). غير ان الدرس المهم ، الذي تعلمه الاسرائيليون نتيجة لتلك الاتصالات ، هو النصائح التي نقلت اليهم ، على لساني دالاس وإيدن ، رئيس الحكومة البريطانية ، وهي انه اذا ارادت اسرائيل الانضمام الى الاحلاف الدفاعية الغربية ، عليها اولاً السعي الى تفاهم مع العرب (ص ٩٣٩) .

وتنبغي الاشارة ، على صعيد آخر ، الى ان اسرائيل ، في محاولة لتخفيف العزلة المفروضة عليها ، حاولت ايضاً ، خلال هذه الفترة ، اقامة علاقات مع الصين . ففي مطلع ١٩٥٤ ، عرضت الصين على اسرائيل ، بواسطة سفيرها في بورما دافيد هكوهين ، اقامة علاقات تجارية معها ، مستوضحة عن نوعية البضائع التي يمكنها شراؤها منها (ص ٣٢٨) . وقامت اسرائيل في الحال بابلاغ واشنطن بهذا العرض ، في محاولة لتجنب غضبها ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تتخذ اية خطوة في هذا الاتجاه (ص ٥١٥) . وفي مرحلة لاحقة ، اوضحت الصين أيضاً انه لا مانع لديها من اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، إضافةً الى العلاقات التجارية المقترحة ، فيما لو بادرت الأخيرة الى ذلك (ص ٨٥١) . وقد اتخذت اسرائيل قراراً باقامة تلك العلاقات ، وابلغت الصين به ، الا ان تنفيذه تأجل (ص ٨٥١ و ٩٥٨ و ٩٧٠) .

وفي اطار محاولات المحافظة على العلاقات الاسرائيلية مع المعسكر الاشتراكي ، يلفتّ النظر أيضاً ذلك التفسير « الطريف » الذي اقترح شاريت ، على السفير الاسرائيلي في موسكو ، تقديمه للسوفيات بشأن سعي اسرائيل للانضمام الى الاحلاف الغربية في المنطقة ، وهو ان هذا الاتجاه لا ينبغي ان يفسر كخطوة معادية للسوفيات ، بل سعياً الى المحافظة على أمن اسرائيل ، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنها بواسطتها الحصول على سلاح من الغرب (ص ٨٥١) .

مشروع جونستون ، توطين اللاجئين وتهجير اليهود

لم يكتف الاميركيون بتقديم النصح الى اسرائيل بضرورة العمل للوصول الى تفاهم مع العرب ، بل حاولوا ، هم أنفسهم ايضاً ، العمل في هذا المضمار ، وذلك كما يبدو في محاولة لتنسيق وجهات النظر ، او خلق مصالح مشتركة بين الطرفين ، علّ ذلك يساهم في تخفيف حدة العداء بينهما ويسهل على الاميركيين اقامة احلافهم في المنطقة ، ومن ثم السيطرة عليها . وقد اختار الاميركيون لمساعيهم تلك موضوع المياه ، فقدموا مشروعاً ، عرف باسم مشروع جونستون ، لتوزيع مياه الاردن واليرموك والليطاني بين اسرائيل ولبنان وسوريا والاردن ، على

أمل ان يؤدي توزيع هذه المياه بين مختلف الاطراف ، بصورة صحيحة وفعالة ، الى تنشيط الزراعة فيها ، و من ثم خلق امكانات جديدة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين على الاراضي المستصلحة ، و تصفية القضية الفلسطينية التي كانت قد تحولت ، آنذاك، الى مجرد مشكلة لاجئين .

وفي اواخر سنة ١٩٥٣ ، وصل اريك جونستون الى اسرائيل ، في أولى زياراته لها ، مقدماً مشروعه ، الذي يعتقد شاريت ان وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ووزارة الخارجية الاميركية هما اللتان وضعتاه (ص ٦٥) . وكانت اسرائيل ، في ذلك الوقت ، في خضم تنفيذ عمليات تحويل مجرى نهر الاردن ـ تحت ستار تعميقه ـ الى النقب : ولذلك نظر الاسرائيليون بعين الريبة الى جونستون ومشروعه ، ووضعوا عراقيل عدة في طريقه . فقد عارض الاسرائيليون ، مثلاً ، اقتراح تحويل بحيرة طبريا الى مستودع مياه اقليمي ، خشية ان يصبح ذلك مبرراً لتدخل اميركي دائم في شؤونهم ، ثم وافقوا على هذا الاقتراح شرط ان لا يمس ذلك بسيادة اسرائيل على البحيرة او يصبح عذراً لمطالبتها بتعديل الحدود ، وعلى ان يقدم الاميركيون والعرب تعهداً في هذا الشأن (ص ٦٩٠ ، ٧٩٢) كما طعن الاسرائيليون في صلاحيات المراقب الدائم على توزيع المياه ، الذي كان من المفترض ان يكون اميركاً« محايداً »، وعارضوا ايضاً اقتراح اقامة سلطة مياه مستقلة ، تستطيع ان تفرض رأيها الخاص على الاطراف المعنية (ص ٦٩٤ و ٦٩٧) . كذلك لم تعر اسرائيل اهتماماً كبيراً لمطالبتها بالمرونة ، بالنسبة لتوزيع كميات المياه ، حتى وان كانت المياه التي « ستتنازل » عنها ستخصص لتوطين اللاجئين الفلسطينيين .

وقد استمرت المفاوضات بين جونستون من ناحية واسرائيل والدول العربية من ناحية أخرى ، حول تنفيذ ذلك المشروع نحو سنتين ، الا أنها باءت بالفشل في نهاية المطاف . وتم ذلك بعد ان اعلن العرب ، اخيراً ، رفضهم « المبدئي » للمشروع ومعارضتهم أية تسوية مع اسرائيل ، التي ثابرت ، من جهتها ، على متابعة تنفيذ برامجها الخاصة . وكان ان حولت مياه الاردن الى النقب ، في مطلع الستينات .

وفي الوقت نفسه ، حاولت اسرائيل ، على طريقتها ، العمل على « التفاهم » مع العرب ، وذلك بالسعي الى تصفية قضية اللاجئين ، التي اعتبرتها عائقاً على طريق السلم مع الدول العربية . وتكشف اليوميات ان الزعامة الاسرائيلية كانت منهمكة ، خلال هذه الفترة ، في دراسة سبل توطين اللاجئين ، وذلك بمحاولة الاتصال بزعمائهم او ذوي النفوذ لديهم ، وحملهم على القبول بالتعويضات عن املاكهم التي استولت عليها من جهة (ص ٥٠٦ و ٥٥١ و ٥٨٠ و ٨٥١ و ٩٧٤ و ١١١٤ و ١١٧٤ و ١٢٩٠ و ١٢١٠) ، واستطلاع امكانات توطينهم في بلدان مختلفة من العالم ، منها البرازيل والارجنتين ودول شمال افريقيا وليبيا ، وحتى الضفة الغربية من جهة ثانية (ص ٦٣٠ و ٩٧٤ و ١٠٠٩ و١٠٧٩ و١٣١٠) ويبدو ان هذه المشاريع لم تمن بنجاح يذكر .

ومحاولات تصفية قضية اللاجئين بواسطة دفع التعويضات لهم ، او توطينهم ، او العمل على « مقايضة » املاكهم في اسرائيل باملاك اليهود في الدول العربية ، لم تقتصر على لاجئي

حرب ١٩٤٨ فحسب ، بل تعدتهم ايضاً الى الأقلية العربية التي بقيت في اسرائيل بعد إنشائها . ويظهر بوضوح ، من المشاورات التي كان مختلف المسؤولين الاسرائيليين يجرونها حول شؤون العرب في اسرائيل ، من حين الى آخر ، أنهم يتوجسون خيفة من تلك الاقلية ، وقد حاولوا العمل بطرق مختلفة للتخفيف من خطرها على الدولة اليهودية . وقد بدأ الاسرائيليون محاولاتهم تلك بالعمل على تهجير اولئك العرب ، المسيحيين منهم الى اميركا الجنوبية ، والمسلمين الى الدول العربية ، خصوصاً ليبيا ودول شمال افريقيا ، مقترحين البدء بسكان قرى الجش والطيره وقلنسوة (ص ٤٨١). غير أنهم باؤوا بالفشل ، وسرعان ما وصلوا الى قناعة انه لا امكانية للتخلص من اولئك العرب ، لا بواسطة دمجهم في المجتمع اليهودي ولا بتهجيرهم ، لان الطريقتين لن تؤثرا الا على اعداد قليلة منهم (ص ٥٠٦) . ولذلك اتجهوا الى العمل لتخفيف « الاضرار » الناجمة عن وجود اولئك العرب ، وذلك بواسطة تشديد الاجراءات الامنية (الحكم العسكري) تجاههم ، وجعلها أكثر فعالية من ناحية ، وتهويد مناطقهم ، اي باسكان أكثرية يهودية فيها ، على اراض تصادر عامة من العرب ، من ناحية أخرى . ويلاحظ ان اجراءات التهويد تركزت ، في البداية ، على مدينة الناصرة ، كبرى المدن العربية في اسرائيل ، اذ تقرر مصادرة جزء من الاراضي التابعة للمدينة ، والتي تشكل احتياطاً لتوسعها في المستقبل ، لاقامة مدينة يهودية عليها (وقد تم تنفيذ هذا المشروع ، باقامة بلدة الناصرة العليا ، في اواخر الخمسينات واوائل الستينات . ويلاحظ ايضاً ان سعي المسؤولين الاسرائيليين الى المس بـ « مكانة » الناصرة يتطرق الى ادق التفاصيل . ففي الوقت الذي يبدي اولئك ، مثلاً ، اهتمامهم بشؤون الموارنة في لبنان ، ويفكرون بـ « مساعدتهم » على اقامة دولة لهم ، نراهم يسعون حثيثاً الى انتخاب رئيس بلدية مسلم للناصرة ، « لتخفيف الطابع المسيحي للمدينة » (ص ٤٣٢) . أما مخطط تهويد الناصرة فقد توسع ، مع مرور الوقت ، واصبح يعرف بمشروع تهويد الجليل ، الذي لا تزال السلطات الاسرائيلية تعمل حتى اليوم على تنفيذه

اما محاولات « مقايضة » السكان العرب في اسرائيل واراضيهم مع اليهود في الدول العربية واملاكهم ، وان لم تتم رسمياً ، فقد نجحت عملياً ، الى حد ما . ففي السنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٥ ، استقدمت اسرائيل اليها ما يزيد على ثلاثمئة ألف يهودي من دول المغرب العربي ، بينهم معظم يهود تونس والجزائر ، وجزء لا بأس به من يهود مراكش . وتم ذلك بالتعاون مع المنظمات اليهودية العالمية ، العاملة في دول المغرب آنذاك ، وعلى رأسها الأليانس الفرنسية والجوينت الاميركية ، ومن خلال سكوت السلطات الفرنسية ، المسيطرة حينذاك على دول المغرب . ويبدو ان تلك السلطات لم تضع قيوداً تذكر على النشاط الاسرائيلي في هذا الصدد ، لدرجة يتضح معها ان اسرائيل لم تستطع تهجير كل يهود المغرب اليها لسبب بسيط ، هو عدم قدرتها على استيعابهم (ص ١٤٨٨) . وكانت الهجرة من مراكش قد انقطعت بعد حصول البلد على استقلاله ، حيث توقفت السلطات الجديدة ، عن منح جوازات السفر لليهود وحظرت عليهم الهجرة الى اسرائيل ، بعد ان أمرت بتصفية جهاز الهجرة الذي نشط هناك في ظل الحكم الفرنسي (ص ١٣٨٢ ، ١٤١٣ ، ١٤٢٧) .

شد الحبل مع عبد الناصر

أياً كانت القضايا الاستراتيجية الكبيرة ، او تلك الجانبية التي تشعبت عنها ، والتي

شغلت بال الزعامة الاسرائيلية خلال هذه الفترة ، فمن الواضح ان المشاكل العملية ، التي كانت بمثابة خبزها اليومي ، نجمت أساساً عن العلاقات المتوترة مع العرب ، وما كانت تجره من صدامات على الحدود مع هذه الدولة العربية او تلك من جهة،ثم ما كان يتبعها من محاولات لتخفيف حدة التوتر والسعي الى التفاهم من جهة أخرى . وفي هذا المجال شغلت مصر حيزاً ملموساً في نشاطات الاسرائيليين ومشاوراتهم وتفكيرهم ومناوراتهم .

ففي بداية الفترة التي نتحدث عنها ، اواخر ١٩٥٣ واوائل ١٩٥٤ ، عاد الاهتمام الاسرائيلي لينصب على مصر وسياستها وعلى ما يدور فيها ، بدرجة قوية التركيز ، شبيهة بتلك التي سادت خلال حرب ١٩٤٨ . ويبدو ان هذا التحول يعود لعاملين رئيسيين : اولهما ، ازدياد الحديث عن امكانية وصول بريطانيا ومصر الى اتفاق بشأن جلاء قوات الاولى عن منطقة قناة السويس ، على ما قد يمنحه ذلك من حرية عمل لمصر نتيجة لانسحاب القوات الاجنبية من اراضيها ؛ وثانيهما ، سعي الغرب الى التقرب من مصر وخطب ودها ، عله ينجح في تحويلها قاعدة لاحلافه العسكرية في المنطقة . وكان الموقف الاسرائيلي ، في حقيقته ، معارضاً انسحاب بريطانيا من منطقة القناة ، الا ان الاسرائيليين لم يستطيعوا الاعلان عن ذلك (ص ٣٦٠) . ولهذا اقترح بعضهم التحرش بمصر ، بمحاولة تمرير سفينة اسرائيلية في قناة السويس ، مثلاً ، او اختطاف سفينة مصرية في عرض البحر واحضارها الى اسرائيل ، او نسف أخرى عند أحد مداخل القناة لسدها (ص ٣٦٩ و ٤٣٥) ، علّ ذلك يساهم في الغاء الانسحاب البريطاني ، او تأخيره على الأقل . ولكن قبل ان تبحث هذه الاقتراحات ، وقع صدام على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية ، ادى الى مقتل جندي اسرائيلي ، مما دفع مدير الخارجية رفائيل الى التقدم باقتراحات لحل مسألة النزاعات على الحدود . وسرعان ما ارسلت هذه الاقتراحات الى مصر ، بواسطة سفارات الطرفين في كل من واشنطن وباريس (واطلع المسؤولون الفرنسيون عليها عن طريق الخطأ) . وتم هذا على الرغم من معارضة لافون الذي اقترح ، بدلاً من ذلك ، أن تضغط اسرائيل على الجيش المصري ، كي يضغط بدوره على الفدائيين في قطاع غزة ويمنعهم من عبور الحدود الى اسرائيل ، (ص ٤٤٦ و ٤٥٩ و ٤٦٢) ، وعلى الرغم من معارضة دايان أيضاً الذي اعلن ان الوضع على الحدود مع سوريا والاردن مقبول ، و« أن المصريين فقط هم الذين يتواقحون ، ولذلك ينبغي العمل ضدهم » (ص ٤٧٧) . وقد ردت مصر بالايجاب على المقترحات الاسرائيلية ، معلنة موافقتها على اجتماع بين القادة العسكريين على الحدود ، لبحث طرق تخفيف الصدامات المستمرة بين الطرفين ، او الحد منها . ولكن قبل ان يعقد هذا الاجتماع ، أعلن عن القاء القبض على افراد الشبكة الاسرائيلية في مصر ، مما دفع شاريت الى التفكير بالتوجه لعبد الناصر نفسه (ص ٥٨٦) ، في محاولة للتفاهم معه .

ولم يتردد شاريت كثيراً في تنفيذ خطته . ففي مطلع كانون الثاني ١٩٥٥ ، أرسل الى موريس اورباخ ، النائب البريطاني العمالي ، طالباً منه الحضور الى باريس ، والحصول على تعليمات هناك ، ومن ثم السفر للقاهرة لمقابلة عبد الناصر والتباحث معه (ص ٦١٧ و ٦٢٤ و ٦٢٧). وقام اورباخ بتنفيذ ماطلب منه فوراً . وفي الوقت نفسه ، اوعز شاريت الى زلمان ديفون ، احد المستعربين الاسرائيليين ، بتجديد اتصالاته مع « صديق مصري » قديم ، في محاولة للوصول الى عبد الناصر ، وحمله على الرأفة بأفراد الشبكة الاسرائيلية ، ولكن هذا

الاتصال لم يسفر عن التزام محدد من قبل عبد الناصر في هذا الصدد (ص ٦٣٣ و ٦٤٠) وبموازاة هذين الخطين ، وفي الوقت نفسه أيضاً ، حصل شاريت على موافقة بن ـ غوريون على ايفاد يغئال يادين لمقابلة عبد الناصر ، وذلك بواسطة ألن دالاس ، رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية (ص ٦٧٧) . وقد فوض شاريت يادين ابلاغ عبد الناصر ان اسرائيل على استعداد لمنح مصر، في سبيل التفاهم معها ، ممراً برياً في النقب ، يصلها بالاردن ،وكذلك المساهمة في توطين لاجئي قطاع غزة (ص ٦٨٣) . ولكن قبل أن يتمكن يادين من التحرك ، صدرت قرارات المحكمة المصرية بشأن اعضاء شبكة التجسس والتخريب الاسرائيلية ، والتي تضمنت حكمين بالاعدام ، فأُوعز الى يادين بايقاف تنفيذ ما كلف به (ص ٦٩٢) . وكان قد مر نحو شهر على بداية محاولات الاتصال ، فعاد اورباخ ، في اوائل شباط ١٩٥٥ من مهمته في مصر ليقدم تقريراً مفاده ان الرأي السائد هناك هو « ان شاريت لا يسيطر على الأمور » في اسرائيل (ص ٧١٢) .

وفي اليوم التالي لعودة اورباخ ، جدد الاميركيون اقتراحهم بشأن الاستمرار في العمل للاتصال بعبد الناصر ، غير ان شاريت أجاب بالسلب . ولكن لم تمر الا عشرة أيام حتى غير رأيه ووافق على ذلك ، مشترطاً ان يقوم عبد الناصر اولاً باطلاق السفينة الاسرائيلية « بات غاليم » ، التي كانت السلطات المصرية قد احتجزتها اثناء محاولتها المرور في قناة السويس ، وكذلك اعتبار المحكوم عليهم من اعضاء الشبكة الاسرائيلية معتقلين سياسيين . غير انه ما ان ابلغ الاميركيون بذلك ، حتى شن الجيش الاسرائيلي ، في اواخر شباط ١٩٥٥ ، بعد عودة بن ـ غوريون وزيراً للدفاع بعدة أيام ، هجوماً واسعاً على قطاع غزة ، أسفر عن مقتل ثمانية اسرائيليين وخمسة وثلاثين مصرياً . وخشي شاريت من ان يرفض المصريون ، نتيجة لذلك ، اي اتصال مع اسرائيل قد يقترح عليهم ، ولكنه فوجيء بأن موقفهم عكس ذلك ، بعد ان ابلغه تكواع ، رئيس وفد اسرائيل في لجنة الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية ، ان زميله المصري في اللجنة ، صلاح جوهر ، ابلغه انه لا مانع لدى مصر من استئناف الاتصال مع اسرائيل ؛ فابلغ الاميركيون بذلك (ص ٧١٦ و ٧٩٢ و ٨٣٧ ـ ٨٣٨ و ٨٤٠ ـ ٨٤١ و ٨٥٦) .

ولكن ، مرة أخرى ، عاد مسلسل العنف ومحاولات الاتصال يتكرر . فقبل ان يعاد الاتصال ، وقع هجوم فدائي على عرس في مستوطنة اسرائيلية قريبة من قطاع غزة ، أسفر عن مقتل اسرائيلية وجرح عديدين غيرها ، وأثار توتراً ملحوظاً في اسرائيل . وإزاء ذلك ، اقترح بعض الاسرائيليين احتلال قطاع غزة وتهجير سكانه ، او جزء منهم الى جبال الخليل في الضفة الغربية ، للتخلص من الهجمات الفدائية التي تنطلق من القطاع (ص ٨٦٣ و ٨٦٥) . ولكن شاريت رفض الأخذ بهذا الرأي ، خشية ان يدفع ذلك العمل بريطانيا الى التصرف بموجب التصريح الثلاثي فتقدم ، مثلاً ، على احتلال النقب ، او أن يمس باتفاقات عقد معاهدة دفاعية مع الولايات المتحدة (ص ٨٦٧ و ٨٧٢) . ولذلك عاد واوعز الى ديفون بدعوة صديقه المصري الى قبرص ، لتسليمه رسالة لعبد الناصر ؛ بينما طلبت الولايات المتحدة من كل من مصر واسرائيل ضبط النفس . غير ان المصريين استمروا في مهاجمة السيارات العسكرية الاسرائيلية على حدود قطاع غزة . ولاحظ شاريت ان الموقف المصري راح يتصلب ، منذ الهجوم الاسرائيلي على غزة ، ووصلته معلومات ان المصريين وصلوا الى تقييم مفاده ان اسرائيل تسعى للحرب ،

وأن القوى التي تؤيد هذا الاتجاه هناك هي المسيطرة . ونتيجة لذلك ، كما يبدو ، لم يصل اي جواب من عبد الناصر (ص ٨٦٦ ـ ٨٦٧ و ٨٩٢ و ٨٩٥ و ٩٠٢ ـ ٩٠٤) .

وبذلك اختتمت المرحلة الاولى من المحاولات الاسرائيلية للاتصال بعبد الناصر .

دايان : التوتر مفيد لاسرائيل

يبدو ان التقييم المصري للموقف الاسرائيلي الساعي الى الحرب ، او غير القادر على السلم على الأقل ، لم يكن خالياً من الصحة . واذا لم يكن هنالك مبرر واضح للشك في نوايا شاريت الكامنة وراء مساعيه للاتصال مع عبد الناصر ومحاولة التفاهم معه ، وان جاء ذلك وفق مفاهيم شاريت الخاصة به ، فمن المشكوك فيه أنه كان بامكانه تحقيق شيء ملموس فعلاً ، نظراً للمعارضة التي كان يواجهها من دوائر اسرائيلية مختلفة ، غير عديمة التأثير .

وعلى رأس هذه الدوائر المناوئة يقف ، دون شك ، رئيس الاركان موشي دايان . فالمشاكل التي ابتدأت مع تعيين دايان ، « الذي يعتبر نفسه رجل دولة » (ص ٩١٩) تفاقمت مع مرور الوقت ، واتضح انه يسعى ، بأي ثمن تقريباً ، للحرب . كما ازداد « تأثيره السيء » على الجيش ، خصوصاً بعد ان قرر بن ـ غوريون السماح له بالتدخل في الشؤون السياسية لقاء تصميمه على فرض القيود عليه بالنسبة للشؤون العسكرية بالذات (ص ٩٤٨) . ويبدو ان دايان كان قدطوّر، حتى ذلك الوقت، نظريات ، ووصل الى مفاهيم ، لا تتفق أبداً مع وجهات نظر شاريت . وينقل عن دايان قوله ، في اجتماع له مع بعض السفراء الاسرائيليين : « اننا لا نحتاج الى اتفاقية دفاعية مع الولايات المتحدة . بل على العكس من ذلك ، ان مثل هذه الاتفاقية ستضرنا . ففي اي حال ، لا خطر من تفوق الدول العربية علينا ، خلال الـ ٨ ـ ١٠ سنوات القادمة . وحتى اذا حصلوا على مساعدات عسكرية من الغرب ، فسنكون نحن المسيطرين ، لانه ليس هناك مجال لأن يقارنوا انفسهم بنا ، من حيث القدرة على استيعاب الاسلحة الجديدة . والاتفاقية الدفاعية ستكبل أيدينا فقط وتسلب منا حريتنا في العمل ، وهذا ما سنحتاجه في السنوات المقبلة . فالاعمال الانتقامية ، التي لا نستطيع القيام بها ، اذا كنا مرتبطين باتفاقية دفاعية ، هي اكسير حياتنا . فهي تلزم ، اولاً ، الدول العربية بآتخاذ اجراء ات شديدة للمحافظة على الأمن في الحدود ... وثانياً ، وهذا هو المهم ، انها تساعدنا على ابقاء التوتر قائماً بين السكان وفي الجيش . وبدون ذلك لن يكون لدينا شعب مقاتل ، وبدون نظام شعب مقاتل سننتهي . ان ابناء الموشافيم ، الذين اتجهوا صوب النقب [للاستيطان فيه « وتعميره » ، بناء على نداء ات السلطات الاسرائيلية] سيهجرون مواقعهم ويعودون من حيث أتوا اذا تركنا اعمال القتل [العربية] تمر دون عقوبات انتقامية . ولأننا تحولنا الى دولة محمية تسعى الى تصحيح اوضاعها الامنية المتدهورة بالطرق الدبلوماسية ، لدى الدول الاجنبية ، سادت بين السكان حالة نفسية لا تسهل نمو حركة طلائعية . ومن المحظور علينا القول ان الولايات المتحدة وبريطانيا لا تتآمران لانتزاع النقب منا . فلكي يتجه الشباب نحو النقب [للاستيطان فيه] ، علينا التحذير من الخطر الذي يتهدد [تلك المنطقة] » (ص ١٠٢١) وعلاوة على هذه الآراء ، التي كان دايان يبثها ، ويعمل انطلاقاً منها ، استمر كذلك في مطالبته العلنية اكثر من مرة ، بتغيير القيادة ، ومن ضمنها شاريت ، في الحزب والهستدروت

والحكومة ، والتي اضافة الى كونها « هرمة » ، أساساً ، أصبحت أيضاً « انهزامية » (ص ١٠٣٧) .

وفي الدائرة التي تضم دايان ، يتواجد ايضاً بن ـ غوريون ، وان كانت مواقف الاثنين غير متطابقة تماماً . وكان بن ـ غوريون ، مع عودته الى الحكومة ، قد وصل الى قناعة مفادها ان عبد الناصر هو « ألدّ أعداء اسرائيل » (ص ٩٥٨) ، ولذلك راح يهاجمه علناً . وفي الوقت نفسه اوضح لشاريت ، وهذه المرة في رسالة خطية ، انه يعد نفسه لتسلم رئاسة الحكومة الجديدة التي ستشكل بعد الانتخابات العامة (والتي جرت في خريف ١٩٥٥) او انه سينضم فقط الى حكومة تتبع سياسة القوَّة (ص ٩٢٨ ـ ٩٢٩ و ١١٠٥) ، معبراً بذلك عن عدم رضاه وانعدام ثقته بحكومة شاريت وسياستها . وقد ازدادت العلاقات بين الرجلين تأزما ، مع مرور الوقت ، خصوصاً بعد ان رفض شاريت اقتراحاً لبن ـ غوريون ، قدمه بـ « تحريض » من دايان (ص ٩٦٨) ، يقضي بنقل الاهتمام بشؤون الهدنة مع العرب الى مجال صلاحيات وزارة الدفاع . واعتبر شاريت ان مثل هذا العمل سيؤدي الى سيطرة الجيش على الشؤون الخارجية ، وهو ما عارضه ـ ودائماً ـ بشدة . وبرر شاريت رفضه القبول بهذا الاقتراح ، متسائلاً : « لماذا عليَّ اعادة مسألة حساسة ومعقدة ، على هذا الشكل ، الى ايدي « البلطجية » في الاركان العامة ؟ ألكي تسود الفوضى في كل شيء ، ويحتفلوا هم اثناء ذلك ، امام مرؤوسيهم ، بانتصارهم على وزير الخارجية « الجبان » ؟ وعندما سيبتدئون بالعبث ثانية ، سأكون أنا الملزم مع زملائي [في وزارة الخارجية] بتبرير نزواتهم ، ومحاولة الحد ، شيئاً ما ، من الاضرار التي سيسببونها لعلاقات الدولة الخارجية » (ص ١١٠٦) .

وبموازاة هذه الخلافات ، عادت ايضاً حرارة التوتر الى الارتفاع ، على حدود قطاع غزة ، في صيف ١٩٥٥ . ففي اواخر أيار ، وقع اشتباك بالمدفعية هناك ، بين المصريين والاسرائيليين ، أسفر عن مقتل جنديين اسرائيليين : فقرر شاريت محاولة اعادة الاتصال بعبد الناصر ، وأبلغ الاميركيون بذلك ، فبادروا بدورهم الى الاتصال « مع جماعتهم » في القاهرة ، ثم اوفدوا عيرا هيرشمان مبعوثاً لهم الى هناك (ص ١٠٣١ و ١٠٤٧ و ١٠٥٠ و ١٠٦٧) . ولوحظ ، في الوقت نفسه ايضاً ، ان الراغبين في التوسط بين مصر واسرائيل قد كثروا . فبعد هيرشمان ، جاء عضو الكونغرس الاميركي الزنجي ، آدم كلايتون باول ، عارضاً خدماته ، ثم تبعه زعيم منظمة الكويكرز الاميركية ، جاكسون ، الذي كان قد اجرى « محادثات » في هذا الصدد مع كل من محمود فوزي وآبا ايبن وألن دالاس . وخلال محاولات التوسط هذه ، اقترح زعيم الكويكرز جاكسون ان تتنازل اسرائيل عن ايلات (العقبة) لصالح مصر ، الا ان شاريت رفض هذا الاقتراح ، موضحاً انه لا يرى فائدة من التنازل عن وحدة اسرائيل الاقليمية لصالح وحدة العرب الاقليمية ، وان اسرائيل لا تستطيع التنازل عن نافذة لها على البحر الاحمر : وطلب بدوره من عبد الناصر العمل على ايقاف النشاط الفدائي (ص ١١٣١ ـ ١١٣٢ و ١١٣٦) . واستمرت محاولات التوسط هذه نحو خمسة أشهر ، وانتهت في منتصف تشرين الاول ١٩٥٥ ، بعد ان جاء رد على لسان عبد الناصر مفاده انه ، حتى الهجوم على غزة ، في ٢٨ شباط من السنة نفسها ، كان يصدّق اقوال الاميركيين والبريطانيين ان اسرائيل تسعى الى السلم ، ولكنه غير رأيه منذ ذلك التاريخ (ص ١٢١٠) .

وبذلك اختتمت المحاولة الثانية للوصول الى تفاهم بين مصر واسرائيل ، دون ان تسفر عن نتيجة تذكر . ويبدو ان أسباب ذلك تتعلق ، هذه المرة ، بانعدام ثقة كل من الطرفين بعضهما بالبعض الآخر ؛ ففي الوقت الذي كان فيه عبد الناصر يعتُقد ان شاريت لا يسيطر على ما يدور في اسرائيل ، كان الاسرائيليون يعتقدون ، بدورهم ، ان عبد الناصر لا يسيطر على قطاع غزة ، او ، على الاقل ، لا يعلم ماذا يدور هناك (ص ١٠٥٦) .

ومع فشل هذه المحاولات ، وبموازاتها ، وصلت الى اسرائيل معلومات تفيد ان مصر تحاول ارسال الفدائيين اليها عن طريق الاردن ، وألقي القبض على عدد منهم . ولمواجهة هذا التصعيد الجديد ، قرر الاسرائيليون بدورهم التصعيد ايضاً ، وذلك بدخول الجيش الاسرائيلي الى المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود بين البلدين . وبالفعل ، دخل الجيش الاسرائيلي ، في اواخر ايلول ١٩٥٥ ، منطقة العوجة (ص ١١٥٧ ـ ١١٥٨) ، بينما راح عبد الناصر يهدد بارسال المزيد من الفدائيين الى اسرائيل .

فتيل صفقة الاسلحة التشيكية

لم يمر الا نحو اسبوع على دخول الجيش الاسرائيلي الى منطقة العوجة ، حتى أعلن عن صفقة عقدتها مصر مع تشيكوسلوفاكيا (والاتحاد السوفياتي) لشراء كميات ضخمة من الاسلحة المتطورة ، ووصلت ، في الوقت نفسه ، انباء عن اقتراح اميركي لتزويد مصر بالسلاح ، لمنعها من الارتباط بالكتلة الشرقية . وقد فسّر الاسرائيليون ذلك على انه تنافس بين الدولتين الكبيرتين على تزويد مصر بالاسلحة ، مما زاد من شعورهم بالعزلة واحساسهم بالضائقة .

غير ان تأثير صفقة الاسلحة التشيكية على اسرائيل لم يقف عند هذا الحد ، اذ أثارت لديها مخاوف كبيرة ، واشعلت الضوء الاحمر لدى اكثر من جهة ، خصوصاً ، بعد ان بدا أنها قد تساعد مصر ، بتقويتها عسكرياً ، على كسر استراتيجية سياسة القوة التي انتهجتها اسرائيل واطمأنت اليها ، مما دفعها الى التفتيش عن سبل جديدة لمواجهة هذا التحدي المستجد ، تحت سيطرة « الحمىً » التي اصابت معظم قادتها ، ان لم يكن كلهم . ويمكن القول ان هذه الصفقة ، وشعور الاسرائيليين بأنه لا بد من العمل على مواجهة نتائجها ، كانت بمثابة الفتيل الذي اشعل نار الاعتداء الاسرائيلي ـ الفرنسي ـ البريطاني على مصر ، في خريف ١٩٥٦ .

وكانت اولى الاجراء ات التي فكر الاسرائيليون باتخاذها ذلك الذي تضمنته مذكرة تقدم بها مدير المخابرات العامة هرئيل ، الذي اقترح العمل على احتلال قطاع غزة بالسرعة الممكنة (ص ١١٨٦ ـ ١١٨٧) ، لانه « مهما كان الشكل الذي ستتطور فيه الأمور ـ على المدى القصير ـ لا يمكن منع الحرب بيننا وبين مصر ، ومن المستحسن ان تقع في أحسن الظروف الملائمة لنا » (ص ١٢٠٠) . وعلى عكس المرات السابقة ، التي قدم فيها هذا الاقتراح حيث لم يكن يُبْحث بجدية ، او بما فيه الكفاية ، دُرس هذه المرة بعمق ، وتم استطلاع آراء مختلف المعنيين . وفي هذا الصدد يلفت النظر الموقف الصهيوني تجاه السكان العرب في القطاع ، الذي لم يتغير حتى اليوم ، وهو السيطرة على الارض ومحاولة التخلص من السكان او ، على الاقل ،

التملص من عبء المسؤولية تجاههم . ويصف شاريت ، باسلوبه وطريقته الخاصة به ، ما ينبغي على اسرائيل عمله اذا احتلت القطاع بقوله : « لقد فكرت دائماً بأنه اذا جاء يوم واضطررنا الى احتلال القطاع ، فسنتوجه بالنداء الى اللاجئين للبقاء في اماكنهم ، وألا يتركوها او يهربوا [حتى لا ينضموا الى اللاجئين الآخرين ، وتزداد المشكلة تأزماً] ، بل البقاء هادئين وتحمل عبء الحكم الاسرائيلي حتى يأتي الفرج . وسنعلن ان ذلك لا يعتبر ضماً للقطاع [حتى لا يزداد عدد السكان العرب في اسرائيل ، فيؤثر ذلك على طابعها اليهودي] ، بل إننا نفرض حمايتنا عليه ، ونطلب من الامم المتحدة الاستمرار في الاهتمام باللاجئين [حتى لا تتحمل اسرائيل اعباء جديدة] ونؤمن الهدوء والأمن . ومن الممكن أيضاً ان نبني سياجاً [حول القطاع] ونحوّله بذلك ، مع سكانه العرب ، الى منطقة مغلقة » (ص ١١٨٧) . اما بن ـ غوريون فقد نوه ان ما يهمه هو نزع السلاح من أيدي الاهالي . واثناء هذه المشاورات أيضاً ، قام شاريت بـ « عرض » الفكرة على السفير الاميركي في اسرائيل ، « الذي شعر بالضيق ، ففتح فاه واقفله مرة بعد أخرى ، ثم انتقل الى موضوع آخر » (ص ١٢٠٣ ـ ١٢٠٤) .

ولكن ، لسبب ما ، لم يؤخذ في نهاية الأمر بهذا الاقتراح ، وحل محله آخر يدعو اصحابه بموجبه الى شن حرب وقائية شاملة ضد مصر . وكان اول من قدم هذا الاقتراح آبا ايبن السفير الاسرائيلي في واشنطن وكبار العاملين في السفارة ، الذين ارسلوا برقية الى شاريت ، في منتصف تشرين الاول ١٩٥٥ ، اوضحوا فيها « أنهم وصلوا الى نتيجة مفادها انه لا يمكن الاعتماد على [امكانية] الحصول على سلاح او ضمانات [اميركية] ، بموازاة السلاح السوفياتي الذي ستحصل عليه مصر ، بل ينبغي الاستعداد للمبادرة الى حرب وقائية من جهتنا تكسر العمود الفقري للجيش المصري ، قبل ان يقوى ويشتد ساعده ، وبواسطة ذلك يتم القضاء على عبد الناصر وعصابته » (ص ١٢٠٧) . ثم انضم هرئيل ايضاً الى اصحاب هذا الرأي . غير انه اتضح ، عندما تطرق البحث الى الناحية العملية ، ان اسرائيل غير مستعدة لحرب الصحراء ، وانه ليس من السهل على الجيش الاسرائيلي القتال في سيناء ، لنقص في المعدات الضرورية لذلك (ص ١٢٣٣) ؛ مما اوجب البحث بالحاح عن مصادر تسليح جديدة ، بينما تركزت الجهود على فرنسا ، للحصول على الاسلحة منها .

وفيما كانت اسرائيل منهمكة في العمل على تسليح نفسها ، بما في ذلك جمع التبرعات من السكان لتمويل شراء الاسلحة الجديدة ، اعلن عن اجتماع لوزراء الخارجية الاربع الكبار ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا ، في جنيف ، فتقرر ان يسعى شاريت الى الاجتماع بهم ، لشرح اوضاع اسرائيل لهم . وفي طريقه الى جنيف ، مر شاريت بباريس ، حيث قابل رئيس الحكومة الفرنسية ، وقدم له طلبات اسرائيل من الاسلحة ، فاستجاب لها « ببساطة وفورية » اذهلت شاريت ، الذي علم في اليوم التالي ، خلال لقائه مع وزير الخارجية الفرنسي ، ان تلك الطلبات اصبحت في طريقها الى التنفيذ (ص ١٢٤٩ و ١٢٥١) . ولكن عدا عن ذلك ، لم تسفر اللقاء ات مع وزراء الخارجية الثلاثة الآخرين عن نتيجة تذكر . فخلال الاجتماع مع ماكميلان البريطاني ، « احتج » شاريت على موقف بريطانيا تجاه اسرائيل ، مضيفاً « ان الاتحاد السوفياتي ينبغي ان ينفض يديه من الشرق الاوسط ، والا فستصبح مسألة الهدنة العالمية عديمة الجدوى ؛ كما ان مصر ملزمة بالابتعاد عن معونة الاتحاد

السوفياتي ، والا فينبغي ان تخسر كل مساعدة من الغرب ، وتترك لشأنها » (ص ١٢٥١ - ١٢٥٢) . ولكن جواب ماكميلان كان « متلعثماً وعديم الجدوى وسلبياً ...وانتهت المقابلة عملياً ... دون اية نتيجة » (ص ١٢٥٢) . كذلك لم يكن موقف دالاس الاميركي مختلفاً ، اذ أوضح لشاريت « ان المهم هو التسوية مع العرب ، مما يوجب تنازلات » من جانب اسرائيل . كما ان « مسألة الاتفاقية الدفاعية [بين اسرائيل والولايات المتحدة] غير عملية حالياً ... ومن المستحسن حقاً الحديث عنها اقل ما يمكن » . والولايات المتحدة ايضاً « ليست على استعداد ابداً لتزويد [اسرائيل] بالسلاح ، لموازنة الصفقة » التشيكية (ص ١٢٥٣) . اما مولوتوف السوفياتي فقد وجه اللوم لاسرائيل التي تهدد بحرب وقائية ، بعد ان حصلت على كميات كبيرة من الاسلحة ، ولها اصدقاء كثيرون ، ملمحاً لشاريت ان الاتحاد السوفياتي لا ينوي تغيير سياسته في الشرق الاوسط ، لان حلف بغداد « ألزمنا بالدخول » الى المنطقة (ص ١٢٧٣)

وبينما كان شاريت يعقد لقاء اته مع وزراء الخارجية الكبار ، تصاعد التوتر بشكل ملحوظ على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية . ففي ٢٦ تشرين الاول ١٩٥٥ ، شن المصريون هجوماً على منطقة العوجة ، التي كان الاسرائيليون قد دخلوا اليها قبل ذلك بمدة قصيرة ، فرد هؤلاء ، بدورهم ، بعد يومين ، بشن هجوم على المركز المصري في الكونتيله ، اسفر عن وقوع عدد من القتلى من الطرفين ، وأسر بعض المصريين . وعاد الاسرائيليون ، بعد ذلك ببضعة أيام ، وشنوا هجوماً جديداً على العوجة ، في محاولة لطرد المصريين منها ، أدى الى مقتل عدد كبير من الجنود .

وفيما كانت هذه الاشتباكات دائرة ، عاد شاريت من اوروبا الى اسرائيل ، ثم توجه الى الولايات المتحدة ، في مهمة لجمع التبرعات . واثناء وجوده هناك اتصل به ألن دالاس ، في اوائل كانون الاول ١٩٥٥ ، مقترحاً تفويض الاميركيين العمل على لقاء بين بن ـ غوريون وعبد الناصر . ووافق شاريت ، وقام ، كما يبدو ، بالاتفاق مع بن ـ غوريون ، باستطلاع رأي بعض الوزراء الاسرائيليين ، دون اطلاعهم على كافة التفاصيل ، بشأن ما يمكن لاسرائيل ان تقدمه من تنازلات لمصر ، في سبيل الصلح او التفاهم بين الطرفين ؛ فاوضح احدهم ، برزيلاي ، انه يوافق على عودة ٧٥ ألف لاجيء فلسطيني الى اسرائيل ، بينما اقترح آخر ، شابيرا ، تقديم بعض التنازلات الاقليمية . ونقلت هذه المعلومات الى المبعوث الاميركي اندرسون ، الذي نقلها بدوره الى عبد الناصر (ص ١٣٠٥ و ١٣١٤ و ١٣٧٠) . وأجاب عبد الناصر انه على استعداد للقاء بن ـ غوريون رغم « عجرفته » (ص ١٣١٦) ، ثم وصلت الى اسرائيل ، في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٦ ، شروطه للِّقاء؛ ؛ ومنها : ايقاف اطلاق النار بين الطرفين ؛ تعديل الحدود بين اسرائيل ومصر لصالح الاخيرة ، واعتراف اسرائيل بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ديارهم ، والتعويض على من لا يريد ذلك منهم (ص ١٣٧٧) . ومقابل ذلك ، امتنع الاسرائيليون عن تقديم شروط محددة من قبلهم (او أن شاريت ، لسبب ما ، لم يشأ تدوينها في يومياته) ، وفضلوا بدلاً من ذلك التركيز على مجرد عقد اللقاء اولاً . وقد استمر المبعوث الاميركي في محاولاته لعقد ذلك اللقاء ، نحو شهرين آخرين ، تنقل خلالهما بين الولايات المتحدة ومصر واسرائيل عدة مرات ؛ الى أنْ مُني بالفشل أخيراً ، لاسباب لا يوضحها شاريت . وعندئذٍ فقط تم اطلاع الحكومة الاسرائيلية على « المغامرة » بكامل تفاصيلها (ص ١٣٣٩ و ١٣٤٤ و ١٣٦٤ و ١٣٧٠) .

وكانت هذه المحاولة الثالثة للوصول الى تفاهم بين مصر واسرائيل ، والتي انتهت في منتصف آذار ١٩٥٦ ، هي الأخيرة .

تنحية شاريت

على الرغم من المحاولات الاميركية لعقد لقاء بين عبد الناصر وبن ـ غوريون ، لم تخف حدة التوتر على الحدود الاسرائيلية ـ العربية ؛ بل إنها ، على العكس من ذلك ، ازدادت . ففي اوائل تشرين الثاني ١٩٥٥ ، نسف بيتان في احدى الكيبوتسات على الحدود الاردنية . وفي الحادي عشر من الشهر التالي شنّ الجيش الاسرائيلي هجوماً واسعاً على المواقع السورية ، شرقي بحيرة طبريا ، اسفر عن وقوع عشرات القتلى . ونفذت هذه العملية بتحريض من دايان ، وذلك ـ على حد تعبير شاريت ـ بعد ان « قام بن ـ غوريون وزير الدفاع بالتشاور مع بن ـ غوريون وزير الخارجية [اثناء وجود شاريت في الولايات المتحدة] وحصل على مصادقة بن ـ غوريون رئيس الحكومة » للقيام بذلك الهجوم (ص ١٣١٠) . وفي الاول من كانون الثاني ١٩٥٦ ، وقع صدام آخر على حدود غزة والعوجة .

ومع فشل المفاوضات مع عبد الناصر راحت حرارة حمى الحرب في اسرائيل ترتفع ، وعاد دايان الى الحديث عن ضرورة شن حرب وقائية ضد مصر ، معلناً ان الحكومة الاسرائيلية ، القائمة آنذاك ، لا تنوي اشعال الحرب ، ولذلك ينبغي افتعال الحوادث لتوريطها (ص ١٣١٢ و١٣١٩و ١٣٤٢) . ويبدو ان دايان لم يتردد في افتعال مثل تلك الحوادث ، او تضخيمها على الاقل ، لكي يحقق ما يصبو اليه . ففي اوائل نيسان ١٩٥٦ ، مثلاً ، وبعد صدام على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية ، أدى الى مقتل جنديين اسرائيليين ، أوعز دايان للجيش الاسرائيلي بقصف غزة ودير البلح وعبسان ، وهذه المرة حتى دون علم بن ـ غوريون نفسه ، الذي أمر بايقاف القصف ، حالما وصل النبأ الى مسامعه (ص ١٣٨٨ ـ ١٣٩٠) . ولكن بن ـ غوريون ، من جهته ، راح يؤكد ايضاً ان عبد الناصر يسعى للحرب ، بينما اعتقد شاريت ان بن ـ غوريون يريد عملياً التنافس مع عبد الناصر في الاهمية (ص ١٣١٥ و ١٣٢٦) ، وان قادة الجيش الاسرائيلي هم الذين يسعون عملياً للحرب ، بعد ان ثملوا من جراء تأييد الفرنسيين لهم ، الذين كانوا يخططون آنذاك لاسقاط حكومة عبد الناصر ، بسبب تأييدها للثوار الجزائريين (ص ١٣٥٤ و ١٣٧١) . وفي ١٩ شباط ١٩٥٦ ، عقدت اللجنة الوزارية لشؤون الدفاع اجتماعاً لبحث الاستعدادات العسكرية للحرب ، وفي الثالث من نيسان بحث الموضوع برمته في الحكومة بكامل هيئتها (ص ١٣٦٢ و ١٣٨٥) .

وبموازاة هذه التطورات ، لاحظ شاريت ان مركزه راح يتضعضع تدريجياً ، اذ بدأت بعض الدوائر الحكومية ، وخصوصاً وزارة الدفاع ، تحجب المعلومات عن وزارة الخارجية ؛ ثم استصدر بن ـ غوريون قراراً من الحكومة بتحويل الاشراف على شؤون الهدنة من وزارة الخارجية الى وزارة الدفاع ، رغم معارضة شاريت الشديدة . وساءت العلاقات بين الرجلين ، اكثر مما كانت عليه سابقاً ، واستمر بن ـ غوريون في تصعيده ضد شاريت ، الى ان اعلن ، في اول حزيران ١٩٥٦ ، انه سيستقيل من الحكومة ، الا اذا استقال شاريت . وكان شاريت قد تردد أساساً ، في الانضمام كوزير خارجية الى الحكومة التي شكلها بن ـ غوريون في اواخر ١٩٥٥ ؛ الا ان الأخير اقنعه بذلك . وفي اواخر حزيران ١٩٥٦ ، اعلنت استقالة شاريت ،

واختيرت غولده مئير لتكون خلفاً له ، وزيرة للخارجية ، وذلك رغم علمها ، على حد قول شاريت ، « ان هذه المهمة اكبر منها » (ص ١٤٤٤) ، وان جهة أخرى ستقرر في الشؤون الخارجية . وكان هذا بالضبط ما يريده بن ـ غوريون من وزير خارجيته ، اي ان لا يعارضه ولا يتدخل كثيراً في اعتباراته وقراراته ، وهو يستعد لشن الحرب ضد مصر ، التي وقعت في خريف ١٩٥٦ ـ ولذلك لم يكن بد من ابعاد شاريت ، وهو الوحيد الذي كان باستطاعته افشال مشاريع بن ـ غوريون ، كما فعل اكثر من مرة ، ان لم تكن « مقنعة » .

ويصف شاريت « اسباب اقالته بقوله : « لا شك ان « اعتدالي » (الاقواس في الاصل) المشهور هو الذي أوقعني » (ص ١٤٤٠) .

وتجدر الاشارة الى ان شاريت لم يكلف بأي منصب رسمي ، بعد استقالته ـ اقالته من وزارة الخارجية سنة ١٩٥٦ ، وحتى وفاته سنة ١٩٦٥ .

عبد الحفيظ محارب

نشأة التنظيمات الصهيونية المسلحة

في العام ١٩٢٠* أقيمت منظمة الـ « هجناه » كبرى المنظمات الصهيونية المسلحة ، وفي العام ١٩٣٧ تمخضت التناقضات الداخلية عن ولادة المنظمة الثانية ، منظمة « اتسل » ، وفي العام ١٩٤٠ خرجت ، من جوف الاخيرة ، منظمة ثالثة تحمل اسم « ليحيى » . وقد نشأت هذه التنظيمات وترعرعت تحت ظلال الاحتلال البريطاني لفلسطين ، ومكنت اليشوف اليهودي من اقامة الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ ، وشكلت بعد ذلك اللجنة الاساسية للجيش الاسرائيلي . وسنقف في هذا الفصل عند نشأتها وأصولها بالمقدار الذي يخدم اطلالتنا على علاقاتها ، فيما بينها ، موضوع الدراسة الاساسي .

تعود اصول ولادة منظمة « الهجناه » الى عاملين اساسين ، الاول داخلي ، يتمثل في تطور اليشوف اليهودي في فلسطين واقامة منظمة الحرس اليهودي (هشومير) ، والآخر خارجي يتمثل في اندلاع الحرب العالمية الاولى ، واستغلال الجناح « النشط » في الحركة الصهيونية واقع الحرب ، لتشكيل وحدات عسكرية يهودية .

الحرس اليهودي (هشومير)

شكل الحرس اليهودي اللجنة الاساسية للهجناه وامدها ، خلال المرحلة الأولى من تشكيلها ، بالعناصر المدرّبة على استخدام السلاح . وكان الحرس اليهودي قد اقيم قبيل الحرب العالمية فقط ؛ اذ كانت مهمة حراسة المستوطنات اليهودية ، خلال الجزء الاخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، تقتصر على عناصر غير يهودية من الشركس بالأساس ، ومن العرب . ومع بداية الهجرة الثانية وما جلبته من افكار صهيونية مثل « عبرنة » العمل والحراسة اخذ اليشوف اليهودي يشهد نشاطا حثيثاً لاقامة حراسة عبرية مبنية على « الطهارة اليهودية » . ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر السهل ، خصوصا ، وان اليهود لم يعتادوا القيام بمثل هذه الاعمال . بيد ان شعار احتلال العمل والحراسة ، وما ينطوي عليه من معان صهيونية دفع

* فصل من كتاب هجناه، اتسل ، ليحي ـ العلاقات بين التنظيمات الصهيونية ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ، الذي سيصدر عن مركز الابحاث .

اليشوف اليهودي للبدء في « عبرنة » الحراسة . وساعد ، في ذلك ، قيام تنظيم في عام ١٩٠٧ يدعى « بارجيورا »[١] وضع على رأس اهتماماته احتلال العمل والحراسة ، واقامة مستوطنات زراعية ، بهدف تحقيق شعار : « بالدم والنار سقطت يهودا ، وبالدم والنار تقوم » ومن أبرز قادته يتسحاق بن ـ تسفي الرئيس الثاني للكيان الاسرائيلي .

واجه تنظيم « بار جيورا » ، في مرحلة التبشير بأفكاره ، معارضة من قبل المزارعين اليهود الذين يشكلون الشريحة البرجوازية الريفية ، بسبب تمسكهم بالحراسة الرخيصة انطلاقاً من مصالحهم الذاتية ، وعدم اقتناعهم بنجاعة وقدرة اليهود على القيام بمهام الحراسة ؛ الأمر الذي دفع التنظيم للجوء الى اساليب الضغط ، وحتى الى الحيل لحمله المستوطنين على الأخذ بمبدأ « عبرنة » الحراسة . ومن بين تلك الاساليب اقدام عناصر من التنظيم على السرقة للتدليل على « اهمال » الحارس الاجنبي في مهامه ، كما حدث في مستوطنة السجرة[٢] ، مما أجبر مستوطنيها على تعيين اول حارس يهودي ، واعتبر هذا التعيين بمثابة تحول في مسار التوجه الامني لليشوف اليهودي في فلسطين .

وعلى الرغم من نظرة الازدراء وعدم الثقة التي واجهتها هذه الخطوة ، بين أوساط يهودية كبيرة ، فقد استمر دعاة « عبرنة » الحراسة في نشاطهم والدعوة لفكرتهم التي اخذت مع مرور الزمن ، الى جانب اكتسابها هالة من « القدسية » الصهيونية ، تشق طريقها الى عدد من المستوطنات ، وخاصة مستوطنات المنطقة الشمالية من فلسطين التي شرعت باقتفاء اثر مستوطنة السجرة ، مما وسع من دائرة الحراسة العبرية ، وشجع المسؤولين عنها على اقامة « هستدروت هشومير » (نقابة الحارس) في اجتماع عام عقد في مستوطنة مسحه عام ١٩٠٩[٣] . وبذلك تم ترسيخ فكرة الحراسة اليهودية ، وأخذت اسماء قادة الحراسة تتقدم وسط اليشوف وكان على رأس هؤلاء يسرائيل شوحط .

ومن الجدير بالذكر ، ان المظهر العام للحارس اليهودي لم يكن يختلف في شيء تقريبا ، عن مظهر السكان العرب ، فقد درج الحراس اليهود ، في تلك الفترة ، على ارتداء الزي العربي مع الكوفية والعقال .

الى جانب توسع الحراسة تدريجياً ، حدث تطور آخر في مهامها، اذ لم يعد الحراس مكلفين بحراسة المستوطنات القائمة فقط ، بل كان عليهم حماية النقاط الاستيطانية الجديدة أيضاً ، حيث درج هؤلاء على مرافقة المستوطنين اثناء « غرسهم » واقعاً جديداً في فلسطين .

عقب ترسيخ اقدامها ، في الاستيطان اليهودي ، واجهت منظمة هشومير بعض الصعوبات من جانب عدد كبير من المستوطنات اليهودية ، ومن جانب السلطات التركية في اواخر عهدها في فلسطين . فقد أخذت الخلافات تتفاقم بينها وبين عدد من مستوطنات المنطقتين : الجنوبية والوسطى، ومن بينها مستوطنتا : رحوبوت والخضيرة . وتعود أسباب الخلافات الى التباين في المصالح والمنطلقات السياسية بين الطرفين . فقد احس المزارعون ، ولم يرضوا ، بعبء تكاليف الحراسة العبرية التي تضاهي ضعفي تكاليف الحراسة « الرخيصة » ؛ كما أن البعض منهم رأى في الحرس اليهودي جسما ذا طموحات اجتماعية وسياسية تتلاءم مع منطلقات الحزبين العماليين : « بو عالي تسيون » و « هبوعيل هتسعير » ، ولا تتلاءم مع

منطلقاتهم ، فضلا عن ادعاء البعض من المزارعين بأن مبدأ « عبرنة » الحراسة ، بحد ذاته ، ينطوي على اساءة للعلاقات بين العرب واليهود . وفي المقابل ، كان الحراس ينظرون الى أنفسهم كأبناء لـ « الطبقة العاملة » ، ويعتبرون المزارعين « ملاكاً مستغلين »[٤] . وكان من نتيجة ذلك ان تعمقت الخلافات بين الطرفين ، مما حدا بالمستوطنات الجنوبية من فلسطين ومن ثم الوسطى للاستغناء عن خدمات الحراس ، واقامة حراسة ذاتية . وبقي نشاط منظمة هشومير قائما في المنطقة الشمالية من فلسطين .

أما الصعوبات التي واجهها جهاز الحراسة مع السلطات التركية فكانت أقل اثراً من تلك التي واجهها مع المزارعين اليهود . فقد تأثرت الحراسة العبرية ، عند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، بعض الشيء بنفي السلطات التركية عدداً من زعمائها ، وتأثرت اكثر في عام ١٩١٧ حين وضعت السلطات التركية ، بمساعدة المخابرات الالمانية ، يدها على شبكة تجسس يهودية تحمل اسم « نيلي » ، تعمل لحساب المخابرات البريطانية ، حيث أخذت الشكوك تحوم حول جهاز الحراسة اليهودي[٥] . بيد ان ذلك لم يدم طويلاً لسقوط فلسطين في العام نفسه بأيدي القوات البريطانية .

وإن كانت منظمة هشومير قد نجت من بطش السلطات التركية ، بسبب عدم تيقّن الاتراك من تورطها في شبكة التجسس ، غير أنها لم تفلت من تبعات التجسس وعواقبه الوخيمة التي كانت من بين عوامل تقصير أمد حياتها ، وحلها . فقد اتضح بعد سقوط فلسطين تحت الاحتلال البريطاني أنّ عدداً من قيادة هشومير كان متورطاً بالفعل في شبكة التجسس ، ويقوم بدور حلقة الوصل بينها وبين اللجنة السياسية لليشوف اليهودي . وأنّ من بين مهامه ايضاً نقل مبالغ مالية الى اللجنة . كما تبين ان دفعات مالية ، معينة ، لم تصل الى اللجنة ، إنما بقيت في جيوب عدد من المسؤولين عن هشومير ، الأمر الذي دفع اللجنة للمطالبة باعادة الاموال اليها . ولم يكن ذلك بالمستطاع ، لادعاء زعامة هشومير بأن الاموال قد صرفت على عائلات الحراس الذين طاردتهم السلطات التركية . ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، فقد دار جدل طويل ومضن بين الطرفين ، أساء كثيراً الى سمعة وصورة هشومير بين صفوف اليشوف ، وأدى الى قطع الاتصالات لفترة بين عدد من التكتلات السياسية العمالية ومن بينها حزب « بو عالي تسيون » وبين هشومير[٦] .

ومع ذلك فقد ساهمت منظمة هشومير ، في هذه الفترة ، في اقامة « الفيلق العبري » في فلسطين بمده بعناصر مدربة من بين صفوفها . بيد أنها ، ازاء المرحلة الجديدة وما تتطلبه من مهام مختلفة ومغايرة ، قامت بحل نفسها في حزيران ١٩٢٠ مخليةً مكانها لمنظمة أوسع وأشمل وذات مهام أكبر هي منظمة الهجناه .

الكتائب العبرية

الى جانب التطور الداخلي لليشوف اليهودي في فلسطين الذي افرز منظمة « هشومير » ، هنالك تطور خارجي ساعد ، هو الآخر ، على ادخال الروح العسكرية ، وسط الجاليات اليهودية ، لتصب في المشروع الصهيوني ، ونعني به اندلاع الحرب العالمية الاولى . فمع اندلاع

الحرب بين دول المحور ودول الوفاق ، انعكس انقسام الشعوب الاوروبية ، مع هذا الفريق او ذاك ، على الجاليات اليهودية بشكل عام ، حيث حاولت كل جالية مسايرة الموقف السائد في كل بلد تتواجد فيه ، او التزام جانب الحياد . ولم تشذ الجالية اليهودية في فلسطين عن هذه القاعدة ، فقد وقفت في بداية الحرب الى جانب تركيا ، وعبرت عن تأييدها باهداء طائرة للحكومة العثمانية تحمل اسم « يسرائيل »[٧] .

بيد ان تأييد هذا الجانب ، او ذاك ، لم يرتق عند الاطراف الصهيونية الى مرتبة الدعوة لتجنيد اليهود وانخراطهم في صفوف الجيوش المتصارعة ، وانما بقي ضمن اطار لاعراب عن التعاطف ، في الوقت الذي لم تتوصل فيه الحركة الصهيونية الى موقف موحد واضح تجاه الحرب . فقد كان اعضاء الادارة الصهيونية الموجودون في المانيا على اعتقاد بانتصار المانيا ، بينما اعتقد اعضاء الادارة المتواجدون في بريطانيا بانتصار بريطانيا ، اما زعماء الحركة الصهيونية في روسيا فقد دعوا الى التزام جانب الحياد . وكان الحل الوسط ، وقد ارتأته الحركة الصهيونية في مؤتمرها المنعقد في كوبنهاجن عام ١٩١٥ ، يقضي بعدم التزام الحركة بقرار مع هذا الجانب او ذاك . وقد ذهبت محاولات زئيف جبوتنسكي ـ الذي قدم الى المؤتمر بصفته الشخصية ، دون ان يكون عضوا في اللجنة التنفيذية ـ الرامية الى حمل المؤتمرين على الوقوف الى جانب بريطانيا ادراج الرياح[٨] . كما لاقت فكرته الداعية الى اقامة فرقة يهودية تعمل الى جانب القوات البريطانية معارضة شديدة . ومع ذلك ، اخذت الفكرة تشق طريقها ببطء وصعوبة الى ان اسفرت ، في نهاية الحرب العالمية الاولى ، ليس فقط عن قيام فرقة يهودية واحدة ، وانما عن قيام اربع فرق كانت من بين عوامل انشاء الهجناه وتعزيزها . وهذه الفرق هي :

أ ـ كتيبة سائقي البغال الصهيونية : خلال العام الاول من الحرب العالمية ، أقدمت الحكومة التركية، بدافع تخوفها من خطر الاجانب المقيمين فوق الاراضي الخاضعة لها، على أبعاد هؤلاء أو تجنيسهم . وكان لهذه الخطوة اثرها على الجالية اليهودية في فلسطين ، اذ تم في هذه الفترة ابعاد قرابة احد عشر الفاً من يهود فلسطين (معظمهم ينتمون الى الجنسية الروسية) الى الاسكندرية في مصر . حيث أقاموا في مخيمات أُعدّت لهم ، وعاشوا حياة بطالة ، واعتاشوا على الصداقات والمخصصات دون توفر عمل يعتاشون منه[٩] . وقد تمخض هذا الواقع الاجتماعي الصعب عن فكرة التطوع في صفوف الجيش البريطاني ، وقيض لهذه الفكرة ان تتحقق وتأخذ ابعاداً سياسية تصب بالاساس في خدمة المشروع الصهيوني اكثر من ان تصب في الجهود الحربية البريطانية او تخليص اليهود من حالة البطالة والتسكع . ويعود الفضل في ذلك الى وجود شخصيتين يهوديتين : زئيف جبوتنسكي الذي صادف وجوده في مصر في الوقت الذي تم فيه ابعاد مجموعة اليهود الى الاسكندرية ، كمراسل لصحيفة روسية لتغطية الاحداث في الشرق الاوسط ، ويوسف ترومبلدور ـ ضابط روسي سابق فقد احدى يديه اثناء الخدمة في الجيش القيصري ـ الذي أبعد الى مصر مع مجموعة المبعدين . وتركت هاتان الشخصيتان بصمات عميقة ، ليس فقط في مجال الجانب العسكري الصهيوني ، وانما ايضا في ميدان التطور السياسي لليشوف اليهودي في فلسطين . فبعد ان تلقفا فكرة التطوع واخذا يروجان لها ، شكل جبوتنسكي وترومبلدور وفدا يمثل يهود مخيم الاسكندرية برئاسة القطاوي باشا ، احدى الشخصيات اليهودية المرموقة في مصر لمقابلة قائد القوات البريطانية فيها لطرح

الفكرة أمامه . ولم يقبل القائد البريطاني الفكرة في بداية الامر ، بحجة تعارض عمل المواطنين الاجانب مع القانون البريطاني ، بيد انه عرض على الوفد ، وتحت الحاحه ، فكرة تشكيل فرقة من اليهود برئاسة ضباط بريطانيين مهمتها نقل الاعتدة العسكرية بواسطة البغال للعمل ضد القوات التركية . ولم يستسغ الوفد هذا العرض نظراً لما اعتبره من اهانة[١٠] في المهمة الملقاة على كاهل الكتيبة والمقتصرة على نقل الاسلحة بواسطة البغال دون العمل في الفروع المختلفة من الجيش ، الا انه لم يجد بداً من قبولها على الرغم من تحفظ جبوتنسكي .

وفي الاول من نيسان ١٩١٥ أقسم المتطوعون في كتيبة سائقي البغال اليهودية ـ التي تحول اسمها فيما بعد الى كتيبة سائقي البغال الصهيونية Zion Mule Corps ـ (بقيت صفة البغال عالقة بالكتيبة على الرغم من محاولات جبوتنسكي ازالتها) ، يمين الولاء للجيش البريطاني بحضور كبير حاخامي مصر . وبذلك تم للمرة الاولى قيام كتيبة عسكرية يهودية تتشكل من : حوالى ٥٠٠ رجل[١١] و ٧٠٠ بغل ، و ٢٠ حصاناً للضباط البريطانيين المسؤولين عن الكتيبة التي تعتبر من الانوية الاساسية لتطور العسكرية اليهودية والتنظيمات الصهيونية المسلحة .

بعد نصف شهر من قسم يمين الولاء جرى نقل كتيبة سائقي البغال المكونة من اربع سرايا ، بقيادة الضابط البريطاني « جون هنري باترسون » ، المتعاطف مع الصهيونية ، ومساعدة اليهودي يوسف ترومبلدور الى الجبهة في شبه جزيرة جاليبولي ، في مضيق الدردنيل ، لمساعدة القوات البريطانية في حربها ضد القوات العثمانية . وبمجرد وصولها واجهت اول فشل لها حين عادت احدى السفن ، الناقلة لها ، بمن عليها الى الاسكندرية ، وتبعتها بعد ذلك سفينة اخرى مع أفرادها اليهود الذين فرّوا بعد تركهم البغال بتصرف الوحدات الاسترالية ، وواجه الفارون في الاسكندرية احكاماً بالسجن ، ومن ثم طردوا جميعاً من الخدمة العسكرية لرفضهم العودة الى الجبهة في جاليبولي[١٢] .

وهكذا وجدت الكتيبة نفسها ، خلال الايام الاولى من وصولها ، فاقدة حوالي نصف افرادها دون قتال . وبعد مضي شهرين على تواجدها في الجبهة اخذت الكتيبة تعاني من تناقص في عدد افرادها حيث لقي ستة مصرعهم وأصيب عشرات منهم بجراح ، فضلاً عن حالات المرض التي ألمت بعدد منهم ، الأمر الذي دفع باترسون وترومبلدور للتوجه الى مصر لتجنيد اعداد من اليهود ، هناك ، في محاولة لانقاذ الكتيبة وابقائها على قيد الحياة ، وأسفرت جهودها ، بعد عناء ، عن تجنيد ١٥٠ عنصراً عاد بهم ترومبلدور الى جاليبولي ، ليجد نفسه ، بعد مضي حوالى نصف عام ، يقود اقل من مئة جندي ، يسببون مشاكل كثيرة ، فلم يلبث ان عاد بهم ، في الاول من كانون الثاني ١٩١٦ ، الى الاسكندرية ، وهم في حالة يأس واحباط واعياء[١٣] . وبوصول هؤلاء الى مصر توجه كل واحد منهم الى بيته غير راغب الاستمرار في الخدمة . وبذلك لفظت كتيبة البغال الصهيونية انفاسها الأخيرة قبل صدور القرار الرسمي بحلها في أيار ١٩١٦ . وقد توجه حوالى ١٢٠ من افرادها السابقين ، الى لندن ، ليجدوا أنفسهم ، بعد مدة ، مرشحين لدخول كتيبة يهودية اخرى .

ب ـ الفيلق العبري : كما كان لزئيف جبوتنسكي فضل في اقامة كتيبة سائقي البغال

التي واجهت فشلاً ذريعاً ، كان لجهوده فضل اساسي في تشكيل « الفيلق العبري » ، ففي اعقاب حفل تشكيل كتيبة سائقي البغال ، غادر جبوتنسكي مصر ، في نيسان ١٩١٥ ، وتوجه الى ايطاليا ، حاملاً امتعاضه من النتيجة التي أسفرت عنها الجهود المبذولة في مصر ، والتقى هناك ببنحاس روتنبرغ (يهودي روسي درس الهندسة الكهربائية في ايطاليا ، ومع تطور النشاط الصهيوني في فلسطين شغل مناصب عدة أهمها رئاسة « اللجنة القومية ») . وتدارسا موضوع اقامة وحدات عسكرية يهودية تعمل الى جانب القوات البريطانية ، بهدف تسريع اقامة الدولة اليهودية في فلسطين . واتفق الاثنان على القيام بنشاط ، بهذا الخصوص ، في ايطاليا وفرنسا وبريطانيا باعتبارها اكبر الدول الاستعمارية ، في القارة الاوروبية ، ذات المطامع الاستعمارية في العالم العربي ، في محاولة منها ايجاد قاسم مشترك بين المطامع الاستعمارية والمشروع الصهيوني في المشرق العربي ، وخصا الامبراطورية البريطانية[١٤] بالاهتمام .

وقد توجه جبوتنسكي الى باريس ، غير أنه لم يجد اذناً صاغية هناك ، فتوجه الى لندن ، واجتمع بعدد من المسؤولين البريطانيين طارحاً عليهم فكرته . ولم يستسغ البريطانيون في بداية الأمر فكرة « استقلالية » الوحدات اليهودية ، في اطار الجيش البريطاني ، غير ان معارضة اشد وأقوى وقفت في وجه جبوتنسكي من جانب زعماء الحركة الصهيونية في بريطانيا مثل : شلنوف وسوكولوف ، وكذلك آحاد هعام الذي كان يقوم في ذلك الحين بزيارة لبريطانيا ، ولم يجد جبوتنسكي من يقف الى جانبه سوى مجموعة صغيرة غير مؤثرة[١٥] .

ومع ذلك ، فقد استمر في دعوته ، وتشجع بوصول قرابة ١٢٠ جندياً من بقايا كتيبة سائقي البغال الى لندن في شتاء ١٩١٦ ، وانضمامهم الى احدى الفرق البريطانية ، وقد التحق جبوتنسكي معهم في الجيش البريطاني كجندي . ولم يقبل طلب زميله يوسف ترومبلدور الذي لحق به الى لندن ، بحجة ان القانون البريطاني يحظر على المواطنين الاجانب العمل كضباط في الجيش النظامي البريطاني ، فتوجه الى موطنه روسيا القيصرية ليجرب حظه في الدعوة لاقامة جيش يهودي هناك يأتي به عبر آسيا لاحتلال فلسطين . وفي غضون ذلك واصل جبوتنسكي الترويج لفكرته مستعيناً ببعض الصحف البريطانية المؤيدة له . وفي ٢٣ آب ١٩١٧ تُوِّجت جهوده بالنجاح حين صدر أمر رسمي باقامة « الفيلق اليهودي »[١٦] ، وعُيِّنَ الكولونيل باترسون قائداً له ، وهو قائد كتيبة البغال الصهيونية المنحلة نفسه . وبذلك توقفت معارضة بعض زعماء الحركة الصهيونية بخصوص فكرة اقامة الكتيبة . غير ان معارضة اخرى ظهرت بين اوساط اليهود غير الصهيونيين الذين تخوفوا من ان يؤدي تنفيذ وعد بلفور الى زعزعة وضعهم ومكانتهم في بريطانيا ، مما حدا بهم الى توجيه طلب لوزير الحربية البريطانية ، بدافع القلق على مصالحهم ، لحلّ الكتيبة اليهودية التي تعني بالنسبة لهم تنشيط العمل على تحقيق وعد بلفور . وازاء هذه المعارضة وجد الوزير البريطاني نفسه مضطراً لتغيير الاسم ، في محاولة منه لتبديد مخاوف يهود بريطانيا ، وفي الوقت نفسه ، ارضاء الصهيونيين ، والتوفيق بين مصالح الطرفين ، فصار الاسم : « الفيلق العبري »[١٧] . وقد أرسل الفيلق بعد ذلك الى مصر ، وبقي فيها مدة ، ليدخل بعدها فلسطين دون قتال ، بعد سقوطها .

جـ - الفيلق الـ ٣٩ لرماة الملك : بناء على الاتفاق بينه وبين جبوتنسكي توجه المهندس بنحاس روتنبرغ الى الولايات المتحدة الاميركية للدعوة الى تشكيل وحدات يهودية تعمل الى جانب

القوات البريطانية . وواجه هناك ما واجهه جبوتنسكي في بريطانيا ، حيث وقف قادة الحركة الصهيونية في اميركا ضد الفكرة ، كما تصدى لها كل من بن ـ غوريون وبن ـ تسفي ، المبعدين الى الولايات المتحدة ، اعتقاداً منهما ان من شأن مثل هذا العمل ، اثارة سخط وغضب السلطة العثمانية ودفعها لتضييق الخناق على الجالية اليهودية في فلسطين والفتك بها ، ودعيا بدلاً عن ذلك ، الى اقتصار النشاط الصهيوني على العمل السياسي وتنظيم شؤون الهجرة والاستيطان[١٨] .

بيد ان هذا الواقع ما لبث ان انقلب رأسا على عقب ، فبعد دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب دول الوفاق في نيسان ١٩١٧ ، ورجحان احتمال انتصار دول الوفاق ، نشط صهيونيو اميركا في الدعوة لاقامة كتائب يهودية . وتراجع كل من بن ـ غوريون وبن ـ تسفي عن تحفظاتهما السابقة ، وتجندا مع آلاف المتطوعين اليهود في « الفيلق الـ ٣٩ لرماة الملك »[١٩] الذي ظهر الى الوجود عقب مفاوضات جرت في كانون الثاني ١٩١٨ . وانضم اليه ايضا عدد من يهود كندا واميركا اللاتينية . وبعد فترة تدريبات قصيرة ، أرسل الفيلق الى مصر ، ولم يساهم افراده في معارك احتلال فلسطين ، باستثناء نفر بسيط منهم ؛ ولم تدخل القوات الرئيسية ، للفيلق ، فلسطين الا عقب اعلان الهدنة .

د ـ الفيلق الـ ٤٠ لرماة الملك : عقب سقوط معظم الاراضي الفلسطينية في ايدي قوات الغزو البريطانية واثر ما حظيت به هذه القوات من استقبال حار من جانب الجالية اليهودية في فلسطين ، ظهرت مبادرة لاقامة وحدة يهودية خاصة بيهود فلسطين . وخلافاً للمبادرات السابقة ، لم يكن صاحب المبادرة يهودياً ، بل ضابطا بريطانيا يدعى « هيل » ، استدعى اليه عددا من الشخصيات اليهودية من بينها : الياهو جولب ودوف هوز طارحاً عليها فكرة اقامة وحدة يهودية خاصة بيهود فلسطين[٢٠] . وربما يتبادر الى الاذهان ، للوهلة الاولى ، ان اخراج المبادرة الى حيز التنفيذ كان أمراً سهلاً . وفي الحقيقة ، لم تكن المسألة بهذه السهولة ، فقد واجهت المبادرة الصعوبات نفسها التي واجهتها الدعوات السابقة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة ، ولكن بحدة اقل ؛ فالطرف المنتصر اصبح واضحاً ، الامر الذي مكّن الدعاة ، ومن بينهم جبوتنسكي من انجاح حملة التطوع ، وتجنيد حوالى ١١٠٠ متطوع من ابناء اليشوف اليهودي في فلسطين ، وتنظيمهم في فيلق خاص يحمل اسم « الفيلق الـ ٤٠ لرماة الملك » . وقد تم نقل افراده الى مصر لتلقي التدريبات ، ولم يساهم هو الآخر ، اسوة بالكتائب العبرية السابقة ، في معارك احتلال المنطقة الشمالية من فلسطين .

وهكذا ، أسفرت جهود التيار « النشط » في الحركة الصهيونية ، مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عن خلق كتائب يهودية تعمل تحت امرة الامبراطورية البريطانية ، اعظم دولة استعمارية في ذلك الحين ، واصبح فوق الثرى الفلسطيني ، الى جانب اكثر من خمسين الفاً من المستوطنين اليهود ، حوالى خمسة آلاف جندي يهودي يتوزعون على ثلاث فرق وفق النسب التالية :[٢١] . مجموعة لندن ٨٪ ، والمجموعة الفلسطينية ٣٠٪ ، والمجموعة الاميركية ٣٤٪ . اما النسبة الباقية فقد احتلها متطوعون من كندا واميركا اللاتينية والجنود اليهود الذين عادوا من الأسر التركي او فروا من الجيش العثماني . وقد أنيطت بهذه القوات مهام الاسهام في الحفاظ على الأمن في فلسطين بعد ان غادرتها معظم القوات البريطانية للقضاء على الثورة

المصرية عام ١٩١٩ .

كان التيار « النشط » في الحركة الصهيونية بقيادة جبوتنسكي يأمل ، من مراهنته على انتصار بريطانيا ، ووقوف الحركة الصهيونية ومن ورائها الجاليات اليهودية الى جانبها ، في خلق قوة عسكرية يهودية مدربة تساهم في احتلال فلسطين والبقاء فيها كجيش عبري تابع لليشوف اليهودي في فلسطين ، لتحقيق المشروع الصهيوني المتمثل في اقامة دولة يهودية (في فلسطين وشرق الاردن) دفعة واحدة بالتحالف مع بريطانيا ، اعتقاداً منه ، ولايمانه الراسخ ، بوحدة المصالح بين الاستعمار البريطاني والمشروع الصهيوني .

ومع ذلك فإن تجربة الكتائب العبرية لم تكن على مستوى احلام التيار « النشط » في الحركة الصهيونية ، فهذه الكتائب لم تدخل معركة واحدة ، ولم تساهم في احتلال فلسطين ، كما ان قيامها لم يخل من الافتعال والارتجال ، الامر الذي عجل في حلها . فبعد فترة قصيرة من مكوث افرادها في فلسطين ، اخذ الملل واليأس يدبان في قلوب المتطوعين اليهود البريطانيين والاميركيين ، وكان ، من بين اسباب ذلك ، عدم استحواذ الفكرة الصهيونية بشكل كبير على افئدتهم في ذلك الحين ، كما ان توقهم للعودة الى عائلاتهم واوطانهم حمل الكثيرين منهم على انهاء خدمتهم العسكرية بغية العودة الى اهاليهم باستثناء النذر اليسير الذي حاول البقاء في فلسطين(٢٢) .

ومما يلفت النظر ، الشكوى التي كانت تتردد على السنة اكثرية الجنود ، ومن بينهم جبوتنسكي ، ضد المعاملة السيئة ونظرة الازدراء اللتين واجهتهما مجموعة الفرق اليهودية من قبل البريطانيين ، اذ يندر ان يقرأ المرء مذكرات هؤلاء دون ملاحظة تطرقهم الى « اللاسامية » وتذمرهم من نظرة الازدراء والاستخفاف التي واجهوها من قبل زملائهم البريطانين(٢٣) .

بقيت هذه القوات قائمة رسميا الى ان حلت بشكل نهائي في حزيران ١٩٢١ ، حيث لم يبق ، حتى ذلك التاريخ ، سوى بضعة عشرات من الجنود ، بعد ان تركها المتطوعون ، بطرق شتى ولأسباب مختلفة ، وفي اوقات متتالية ، تحت ظلال اجواء من المرارة واليأس .

وعلى الرغم من ذلك فإن واقع قيام الكتائب اليهودية ، بغض النظر عن الانجازات العملية المضحكة ، كان الى جانب كونه تجربة تستهدف اكساب العناصر اليهودية الشابة الخبرة العسكرية ، وبث الروح العسكرية بين صفوفها ، للاسراع في تحقيق المشروع الصهيوني عاملاً مساعداً في اقامة منظمة الهجناه ومدها بعناصر مدربة .

قيام منظمة الهجناه

كان من نتائج سقوط فلسطين على يد القوات البريطانية ، المصاحب بحصول الحركة الصهيونية على وعد من وزير الخارجية البريطانية باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، دخول الصراع العربي الصهيوني مرحلة جديدة خطرة ، استدعت ، من الطرفين ، شحذ كافة اسلحة النضال بما فيها الكفاح المسلح . فقد أخذ الصراع بالتفاقم ، وتفجر بعد مضي ، حوالي عامين على الاحتلال ، عندما تبينت للعرب ، بشكل واضح ، خطورة النوايا الحقيقية لبريطانيا ،

ورغبتها في استبدال الاحتلال بانتداب دون منح الاستقلال للشعب الفلسطيني ، مما حدا بالعرب الىخوض النضال لانتزاع الاستقلال والتصدي لعدوين : الاستعمار البريطاني المتمثل في القوات البريطانية المحتلة ، والحركة الصهيونية المتمثلة في التجمع الاستيطاني اليهودي الآخذ بالنمو .

في ذلك الوقت ، كانت قوة اليشوف ، على الصعيد العسكري ، تتمثل في منظمة هشومير التي قامت بدور حراسة المستوطنات اليهودية في اواخر العهد التركي ، الى جانب نفوذ اليشوف على مجموعة فرق المتطوعين اليهود في الجيش البريطاني ، ودعم القوات البريطانية له .

ومع تنامي النضال الوطني الفلسطيني ، وارتقائه الى مرتبة الكفاح المسلح ، عام ١٩٢٠ ، خاض الثوار الفلسطينيون معارك ضد القوات الغازية في الجليل ، وفي عدد من المستوطنات اليهودية من بينها مستوطنة « تل حاي » التي وقف ، على رأس المدافعين عنها ، يوسف ترومبلدور زميل جبوتنسكي في الدعوة لاقامة الوحدات العبرية في الجيش البريطاني .

بعد فشل ترومبلدور في الالتحاق بالفيلق العبري في لندن ، توجه الى روسيا عشية الغليان الثوري هناك ، واخذ ينشط لاقامة جيش يهودي ، يغزو به فلسطين . وفي هذا الاطار ، قدم ترومبلدور الى مؤتمر صهيونيي روسيا ، المنعقد في عام ١٩١٧ ، خطة تدعو الى اقامة حركة جماهيرية طلائعية ليهود روسيا ، تكون ، في الوقت نفسه ، بمثابة « جيش يهودي يضم عشرات الآلاف من الجنود ، يجتاز جبال القفقاس ، ويأتي الى ارض اسرائيل من الشرق » .[٢٤] .

وقد وجدت فكرته آذانا صاغية بين صفوف صهيونيي روسيا ، حيث بدأ الكثيرون يحلمون بالانضمام الى جيش ترومبلدور الذي يحتاج الى تصريح رسمي من السلطات لاقامته . وجرت مع حكومة كيرنسكي البرجوازية مفاوضات للتصريح بخلق الجيش ، وتقديم التسهيلات له ، الا ان ثورة البلاشفة ، التي تفجرت في السابع من تشرين الثاني بزعامة لينين ، وضعت حداً للمفاوضات وللخطة وللأمل بتحقيقها[٢٥].ولميكن أمامترومبلدورسوى المجيء الى فلسطين ليجرب حظه في تنظيم الشؤون العسكرية ، بين صفوف التجمع الاستيطاني اليهودي . وتوجه ، بعد فترة من وصوله الى فلسطين ، على رأس مجموعة من المقاتلين اليهود الى مستوطنة تل حاي في الجليل ، لاقامة قلعة محصنة هناك وتعزيز الدفاع عن المستوطنات اليهودية المتناثرة في المنطقة امام خط احتمال تفجر الغضب الشعبي الفلسطيني الذي اخذ يدب بين صفوف السكان ضد القوات الغازية البريطانية والفرنسية ، وضد الوافدين معها على شكل مستوطنين ، حيث اخذت تنمو وتتبلور بؤر للمقاومة في مناطق مختلفة من الجليل ، وتقوم بشن هجماتها ضد القوات الغازية .

وقد قُيِّض ليوسف ترومبلدور ان يدخل للمرة الاولى ـ عقب نشاطه في الوحدات العبرية ، ووقوفه اثناء الحرب في الجبهة الخلفية ـ حرباً ساخنة مع الفلسطينيين ، سكان البلاد الاصليين . ففي الاول من اذار ١٩٢٠ هاجمت مجموعة من الثوار الفلسطينيين واحتلت عددا من المستوطنات الشمالية ، ومن بينها مستوطنة تل حاي التي يقودها ترومبلدور . وتمكن الفلسطينيون بعد تعذر نجدة البريطانيين للمستوطنة ، من اقتحامها وقتل سبعة من مقاتليها ومن بينهم يوسف ترومبلدور ، واصابة عدد آخر بجراح[٢٦] . ولا شك بأن هذا التاريخ يعتبر

فاتحة الكفاح المسلح الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني .

لم تقتصر الثورة الفلسطينية على منطقة الجليل فقط ، بل امتدت الى القدس . فبعد ان كانت المدينة تشهد مسيرات احتجاجية ضد المشروع الصهيوني ، منذ بداية العام ، اخذت هذه المسيرات تتحول الى تظاهرات صاخبة والى اشتباكات مع المستوطنين اليهود ، كالاشتباك الذي حدث في الرابع من نيسان ١٩٢٠ ، وأسفر عن اصابة اكثر من مئتي مستوطن بجراح ، ومصرع ثمانية منهم[٢٧] . وكان جبوتنسكي وروتنبرغ قد أقاما في القدس ، عشية هذه الاشتباكات ، منظمة « هجناه » (دفاع) محلية ، استقطبت بين صفوفها ما بين ٣٠٠ ـ ٤٠٠ مستوطن . وقد أنحت سلطات الاحتلال البريطانية باللائمة ، في احداث القدس ، على عناصر عربية ويهودية ، وقدمت عرباً ويهوداً الى المحاكم ومن بينهم جبوتنسكي الذي صدر عليه الحكم بالسجن لمدة ١٥ عاماً ، والطرد من فلسطين ، وخفف هذا الحكم ، بعد مدة بسيطة ، الى السجن فترة عام واحد[٢٨] .

في هذه الفترة ، اخذت فكرة اقامة تنظيم عسكري شعبي ، تناط به مهام الدفاع عن المستوطنات اليهودية لحين قدوم القوات البريطانية ، في حال الخطر ، تطرح نفسها بالحاح في الوسط العمالي ، خصوصاً وان منظمة هشومير لم تثبت نفسها في التصدي لحالة النهوض الوطني الفلسطيني ، كما وان بقايا الكتائب العبرية لم تكن بمستوى الآمال المعلقة عليها . ولم يكن ، ايضا ، بمقدور المسؤولين عن اليشوف اليهودي تحريكها كما يشاؤون ، بحكم خضوعها للسلطات البريطانية . وعلى الرغم من اشتراك عدد من عناصرها في التصدي للعرب ، الا ان ذلك لم يرض اولئك الذين اخذت تختمر في نفوسهم فكرة اقامة تنظيم عسكري توكل اليه مهام حماية المشروع الصهيوني في فلسطين .

كان على حزب « احدوت هعفوداه » ، صاحب الفكرة ، قبل الاعلان عن ولادة التنظيم العسكري الجديد ، ترتيب الامر مع منظمة هشومير ، لتحل نفسها ، وتشكل العمود الفقري للتنظيم المزمع اقامته . وبالفعل ، عقدت اللجنة الموسعة لمنظمة هشومير في ١٨/٥/١٩٢٠ اجتماعاً في مستوطنة « تل عدس » تمخض عن القرارات التالية[٢٩] :

(١) حل منظمة هشومير .

(٢) يشكل اعضاء هشومير ، كمجموعة ، النواة لتأسيس نقابة الهجناه (هستدروت هجناه) .

(٣) تعتبر نقابة الهجناه جزءاً من حزب احدوت هعفوداه .

إثر صدور هذه القرارات عقد حزب احدوت هعفوداه مؤتمراً في طبريا بتاريخ ١٣ ـ ١٥/٦/١٩٢٠ ، تدارس فيه موضوع اقامة منظمة الهجناه ، وأقر قيامها . ونص قرار تأسيسها على التالي[٣٠] : « ادراكاً منه للأهمية والمسؤولية التاريخية ، يقبل [حزب] احدوت هعفوداه . المبادرة الملقاة عليه من قبل نقابة « هشومير » ، للاعتناء بتنظيم شؤون الدفاع ، وتنظيم مساهمة العمال في مشروع الدفاع ، وضمان المحتوى الوطني والاجتماعي لدفاع شعبي

في البلاد ، بواسطة تنظيم مجموعة عمال مخلصين ، تسهر على شؤون الدفاع ، وخلق الكتائب في الشرطة .

« ويدرك المؤتمر ضرورة تنظيم الهجناه التي ستسعى لضم اي شخص ملائم يخضع لها ، لاعمال الدفاع ، بالشكل الذي تصبح فيه ملكاً للعاملين فيها .

« ويُضْمن نفوذ احدوت هعفوداه على النقابة عن طريق الاشتراك الفاعل لاعضائها وفق قراراته ، ويلزم المؤتمر جميع اعضاء احدوت هعفوداه بالاستجابة بانضباطية تامة للجنة « الهجناه » في كل طلب للدفاع » .

وهكذا تم نقل شؤون الأمن من يد منظمة هشومير الى منظمة الهجناه .

يلاحظ ، هنا ، ان تأسيس الهجناه لم يأت نتيجة قرار للادارة الصهيونية المحتلة لجميع التكتلات والتيارات السياسية الصهيونية ، وانما أتى نتيجة قرار اتخذه حزب ينتمي الى الادارة الصهيونية . وكان لهذا الواقع اثر كبير في مسار التطور المستقبلي للهجناه ، فضلاً عن تبعاته على العلاقات بين التيارات المختلفة في اليشوف اليهودي في فلسطين .

كان اول امتحان واجهته منظمة الهجناه ، بعد تأسيسها ، الانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني في حزيران ١٩٢١ ، خصوصاً في منطقة يافا وضواحيها . وكانت نتيجته ، بشكل عام ، « مخيبة » لآمال اليشوف اليهودي ؛ ففي يافا فشلت الهجناه في مواجهة حالة النهوض الوطني الفلسطيني التي انعكست في تظاهرات واشتباكات مع سلطات الانتداب والتجمع اليهودي الاستيطاني ، وكذلك عجزت في « بيتح تكفا » ، ام المستوطنات اليهودية ، عن صد الثوار الفلسطينيين الذين تمكنوا من ضرب طوق على المستوطنة واقتحام بعض اجزائها ، ولم يجلوا عنها الا بعد وصول الفرقة الهندية العاملة في الجيش البريطاني ، مدعومة بطائرة عسكرية اخذت تقصف الثوار العرب[٣١] . وإن كانت بيتح تكفا قد نجت ، بفعل المساندة الفورية التي وصلتها من قوات الاحتلال ، فإن مستوطنتي « كفار سابا » و « كفار حلال » القريبتين منها قد سقطتا في أيدي الثوار الفلسطينيين قبل وصول النجدات البريطانية . وقد جرى حرق المستوطنتين بعد مغادرة المستوطنين ورجال الهجناه لهما[٣٢] . وفي ٢/١١/١٩٢١ دخلت الهجناه تجربة اخرى مع عرب القدس حين تطورت التظاهرات الاحتجاجية ، ضد وعد بلفور ، الى اشتباكات بين العرب واليهود في المدينة . ويمكن القول ان الاختبار الذي مرت به الهجناه ، بعد مضي عام على قيامها ، كان ، بشكل عام ، مخيّباً لآمال أوساط عدّة من اليشوف ، مما أدى الى « انخفاض مكانتها » في الوسط اليهودي[٣٣] . وقد كتب للهجناه ان تواجه اختباراً آخر وذلك عقب فترة طويلة من استتباب الأمن والهدوء في فلسطين ، بفضل سياسة القمع البريطانية ، وعوامل اخرى ، استمرت حتى ١٩٢١ حين اندلعت من جديد الانتفاضة الفلسطينية .

تطور الهجناه وتنظيمها

خضعت الهجناه ، خلال سنيّ العشرينات ، الى نقابة العمال العبريين (الهستدروت) بعد تأسيسها في كانون الاول عام ١٩٢٠ . وقامت الهستدروت بدور الاشراف عليها وتعيين

لجنتها المركزية . وقد اتسمت الفترة الاولى من التأسيس بعدم متانة العلاقة بين مركز الهجناه (اللجنة المركزية) وبين قيادة الفروع واللجان في المدن والمستوطنات ، اذ جرى انتخاب الاخيرة بواسطة المؤسسات العامة المحلية ، وكانت هذه اللجان تتحمل المسؤولية تجاه الجمهور الذي انتخبها وليس تجاه مركز الهجناه[٣٤] .

وعام ١٩٢٤ صدر دستور الهجناه الذي عرفها بأنها « منظمة عسكرية سرية » تستهدف الحفاظ على اليشوف بواسطة المليشيا الشعبية ونص الدستور على أن أبوابها « مفتوحة لكل عبري وعبرية يبلغان من العمر سبعة عشر عاماً وما فوق »[٣٥] . كما أقر طرق ادارة الفروع بحيث يقف على رأس كل فرع « لجنة الفرع » المكونة من سبعة اعضاء يقوم المركز بتعيين خمسة منهم ، ويُضمّ العضوان الاخران بموافقة المركز ، الذي يجري انتخابه مع مساعديه من بين اعضاء « لجنة الفرع »[٣٦] .

قد يتبادر الى الأذهان تساؤل حول كيفية تطبيق مبدأ الشمولية الذي حرص عليه الدستور ، بفتح أبواب المنظمة لكل عبري وعبرية ، بغض النظر عن الانتماءات والميول الحزبية ، في الوقت الذي تخضع فيه المنظمة لاشراف الهستدروت الممثلة لمصالح شريحة معينة في اليشوف اليهودي . والحقيقة ان منظمة الهجناه سعت الى تحقيق مبدأ الشمولية ، الذي لم يكن من السهل ، دائماً ، تطبيقه . فقد انتهك اكثر من مرة وفي اوقات مختلفة نظرا للبون الشاسع في المنطلقات السياسية والفكرية للتيارات السياسية اليهودية في فلسطين ، والواقع ان منظمة الهجناه هي الابن الشرعي للحركة العمالية اليهودية . ففي العشرينات ، كانت فروع الهجناه وخصوصاً في المستوطنات الزراعية تعتمد أساساً على الاوساط العمالية . وكانت تثار قضية « الهجناه المشتركة »[٣٧] في حال دق ناقوس الخطر فقط .

وقد مر مبدأ « الشمولية » في تجربة اصعب مع مطلع الثلاثينات حين اقيمت « المنظمة ب » واخذت العلاقات بين التيارات السياسية المختلفة تسير نحو مزيد من التعقيد . وازاء ذلك ، وجد المسؤولون عن الهجناه انفسهم مضطرين ، حيال ضرورة الحفاظ على مبدأ الشمولية وخشية حدوث انشقاق او ولادة تنظيمات عسكرية منافسة ، الى احداث تغيير في طريقة قيادة منظمة الهجناه لتعزيز مبدأ الشمولية . فقد جرى نقل صلاحية الاشراف على الهجناه الى الادارة الصهيونية كممثلة لجميع التيارات الصهيونية ، بمشاركة الهستدروت واوساط « المدنيين »* ، وألحق هذا الاجراء باجراء آخر ينص على توزيع القيادة « مناصفة » بين الهستدروت و « المدنيين » . وشهدت منظمة الهجناه ، في هذه الفترة ، تغييرات في جهازها ؛ فقد تم للمرة الاولى تشكيل « قيادة قطرية » تسيطر على عشرين فرعا ، نشطت في مجال امتلاك الاسلحة وتخزينها وتدريب الأفراد . ومع اندلاع الثورة الفلسطينية ، عام ١٩٣٦ ، توطدت العلاقة بشكل كبير بين الهجناه وسلطات الانتداب البريطانية ، احساساً من الطرفين بالخطر المشترك المحدق بمصالحما المشتركة . ففي صيف عام ١٩٣٧ أقامت منظمة الهجناه « سرايا الميدان » التي انيطت بها مهام مهاجمة الثوار العرب ، وبعد ذلك بعام اقام الضابط البريطاني اورد تشارلز ويبخت « سرايا النار » المعروفة ايضا باسم « سرايا الكتيبة الخاصة » لصالح

* كنية تطلق على شريحة المزارعين والتجار وابناء الطبقة الوسطى . ولحقت هذه الكنية بعدد من احزاب اليمين وعلى رأسها : الصهيونيون العامون ، والمزراحي .

منظمة الهجناه ، بغرض مهاجمة الثوار الفلسطينيين ليلاً ، وأسفر تماثل المصالح في هذه الفترة عن اشراك البريطانيين قوات الهجناه في الجهود الحربية البريطانية ضد الفلسطينيين ، بيد ان الاخطر من ذلك تمثل في سماح سلطات الانتداب لمنظمة الهجناه باقامة سلاح الحراسة ، وشرطة المستوطنات العبرية التي غدت قوة « شرعية » تابعة للهجناه ، وقد تعززت بسرعة وبلغ عدد افرادها ، عام ١٩٣٩ ، حوالى عشرين ألف رجل يتوزعون على عشر كتائب(٣٨) .

موقف « اليمين » و « اليسار » من الهجناه

ألقى تفرد حزب احدوت هعفوداه ، في اقامة الهجناه وسيطرته عليها ، تبعات جمة على مسار تطور المنظمة وحدد موقف التيارات المختلفة ، في اليشوف ، تجاهها ، خلال سني العشرينات . فقد اتخذت الادارة الصهيونية موقفا متحفظاً منها ، خصوصاً ، عقب رفضها طلب سلطات الانتداب البريطاني ، عند استتباب الأمن والهدوء اثر ثورة ١٩٢١ ، تسليم الاسلحة مقابل تعهد السلطات بالاهتمام بقضايا امن اليشوف اليهودي ؛ ازاء طلب سلطات الانتداب المرفوض من قبل المنظمة الوليدة وحرصا من الادارة الصهيونية على تمتين العلاقات مع السلطات ، اوقفت دعمها المالي للمنظمة(٣٩) . ثم تلاشى التحفظ وزال مع مرور الوقت حين انيطت بالادارة الصهيونية في مطلع الثلاثينات مهمة الاشراف على الهجناه .

لم يكن موقف شريحة البرجوازية الريفية الممثلة في مزارعي المستوطنات ، وكذلك الاوساط اليمينية ، بعيداً عن موقف الادارة الصهيونية ، وان اختلف ، نوعاً ما ، في الدوافع . فقد اعتبرها المستوطنون المزارعون امتداداً لمنظمة هشومير ذات الميول اليسارية ، ومن هنا جاءت معارضتهم لها خشية تجدد الاصطدامات معها ، وتعزز قوى « اليسار » من خلالها ، وتذرع البعض منهم ، كتبرير للمعارضة ، وجود نظام امن بريطاني أفضل من نظام الأمن التركي ، وأعاد البعض الآخر الى الاذهان ما جلبته شبكة التجسس « نيلي » من تبعات « سيئة » على اليشوف اليهودي(٤٠) .

كما واجهت منظمة الهجناه تحفظات من قبل فئة من التيار العمالي منضوية تحت لواء حزب « هبوعيل هتسعير » . وعلى الرغم من واقع كون هذه الفئة تقف الى « يمين » حزب « بو عالي تسيون» الذي اصبح يعرف بعد اتحاده مع فئات عمالية في عام ١٩١٩ بـ « احدوت هعفوداه » ، غير أنها كانت تميل الى الفلسفة « السلامية » المتعارضة مع استخدام العنف للحصول على الهدف السياسي ، وازداد تحفظها بسبب المنافسة بينها وبين « احدوت هعفوداه » حول النفوذ في الوسط العمالي ، اذ رأت في الهجناه قوة دعم لخصمها(٤١) .

وتصدت لقيام الهجناه وعارضتها شريحة من المثقفين اليهود انضوت تحت لواء حركة « بريت شالوم » ، اعتقاداً منها بأن قيام منظمة عسكرية يهودية يسيء الى العلاقات المستقبلية بين اليشوف اليهودي والعرب .

وسط هذه المواقف التي لم يكتب لها ان تعيش طويلا ، برز موقف يلتقي مع المواقف السابقة في المعارضة او التحفظ ، ويختلف عنها من حيث الدوافع والبديل ، وكان له أثر كبير في التطور السياسي والعسكري لليشوف اليهودي ؛ هو موقف زئيف جبوتنسكي صاحب فكرة

الكتائب اليهودية العاملة في صفوف القوات البريطانية .

عمل جبوتنسكي كل ما في وسعه لاستمرار بقاء الكتائب العبرية . وبعد حلها ، اصبح همه الاساسي اقامة وحدات عبرية عسكرية معترف بها من قبل سلطات الانتداب ، على غرار الكتائب السابقة ، اعتقادا منه ان بوسع هذه الكتائب وحدها تسريع عملية اقامة الدولة اليهودية في فلسطين وشرق الاردن . ومن هنا جاء موقفه سلبياً تجاه اقامة تنظيمات « دفاعية » سرية ، او شبه سرية ، تعتمد على المليشيا الشعبية ، دون الاسلوب العسكري الانضباطي ، لسببين اساسيين :

١ ـ حتمية التعارض بين السلطة الشرعية والمنظمات السرية ، او شبه السرية ، مما يعرقل مسار المشروع الصهيوني .

٢ ـ تدني القدرات القتالية للميليشيات الشعبية مقابل ارتفاع قدرات الجيش النظامي(٤٢) .

لم يترك جبوتنسكي فرصة الا واغتنمها لبث دعوته بخصوص الجيش العبري . ومن أشهر مقالاته حول ذلك مقال يحمل عنوان « الجدار الحديدي » ويعني بـ الجيش العبري الذي سيضمن ، حسب اعتقاده ، تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين وشرق الاردن ويكون بمقدوره « منع العرب من عرقلة سير بنائنا » (٤٣) .

في الوقت الذي اعتبر فيه جبوتنسكي قيام جيش عبري معترف به شرطا لا بد منه لتحقيق المشروع الصهيوني ، ووضع الهجرة والاستيطان في المرتبة الثانية من الاهمية ، رأى منظّرو الهجناه ، وعلى رأسهم ، الياهو جولب في الهجرة والاستيطان الشرط الاساسي الاول لتحقيق المشروع ، ولبست القوة لحماية هذا الشرط ، ولا يعني توفرها واحتلال مناطق فلسطينية مأهولة بالسكان العرب تحويل هذه المناطق الى مناطق يهودية .

« ... لا نتصور نحن مسار تحقيق الصهيونية واستخدام الهجناه في هذا المجال هكذا ... اننا نتصور الشكل المستقبلي للمسار الصهيوني كما كان عليه في الماضي ، ولكن بحجم اكبر : عن طريق الهجرة والاستيطان الواسعين ، وتحويل مناطق في البلاد الى مناطق يهودية .. ولكن يمكن ان نتساءل : اذا كان الأمر كذلك فلم الهجناه ؟ إنها ضرورية من اجل « تمكين » هذا المسار ، وكي يكون بوسعنا الصمود بوجه اولئك الذين يريدون منعه ... »(٤٤) .

لقد تمحور الخلاف ، بين التيارين ، حول سلّم الافضليات في النضال من اجل تحقيق المشروع الصهيوني ؛ فبينما نجد التيار العمالي يركز على الجانب العملي بطرحه فكرة الهجرة والاستيطان على رأس هذا المسلم مدعومة بقوة عسكرية على شكل منظمة عسكرية، يمكن للعلاقات البريطانية الصهيونية ، مع الاخذ بعين الحسبان الاعتبارات السياسية في المنطقة ، تحمل قيامها دون انتظار تصريح رسمي يعترف بوجودها ، نرى ان التيار التصحيحي بزعامة جبوتنسكي يشدد على العامل السياسي ، بطرحه ضرورة الحصول على اعتراف بريطاني بالقوة اليهودية ـ وهذه القوة حسب رأيه ، يجب ان تكون على شكل جيش نظامي ـ اعتقاداً منه بعدم توفر اسباب انجاح تحقيق الدولة اليهودية في غياب هذا الاعتراف .

من الواضح ان تحقيق جبوتنسكي وانصاره كان مرهوناً بتوفر عوامل عدة ، من اهمها : الارتقاء بالعلاقات الاستعمارية البريطانية الصهيونية الى اعلى مراتب التحالف المصلحي المصيري ، وكبت العوامل السياسية الاخرى الماثلة امامه . ولم يكن ذلك سهلاً ، اذ لم يشهد اليشوف اليهودي في تطوره السياسي توفر مثل هذه العوامل الا في فترة قصيرة استمرت ثلاثة اعوام ، هي فترة الثورة الفلسطينية في عام ١٩٣٦ ، حين اقيم سلاح حراسة المستوطنات ، وبدا وقتها ، وكأن حلم جبوتنسكي بدأ يتحقق . ومع ذلك ، فقد بقي جبوتنسكي مؤمنا به ، داعيا اليه ، طوال حياته؛ وهذا يدل قبل كل شيء على مدى الشوط الذي قطعه في ايمانه بوحدة وتماثل المصالح بين المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني .

وبانتظار اليوم الذي تعلن فيه بريطانيا موافقتها على اقامة الجيش العبري ، وفي محاولة منه لاعداد حركته لذلك التاريخ ، نشط جبوتنسكي ، في العمل ، لكسب التنظيمات اليهودية الرياضية ، بين صفوف الجاليات اليهودية في العالم ، واكسابها الروح العسكرية ، فأقام منظمة شبيبة شبه عسكرية اطلق عليها في بداية الامر اسم «بريث هشومير» (منظمة هشومير) تيمنا بمنظمة « هشومير » اولى المنظمات العسكرية اليهودية في فلسطين ، ثم ما لبث ان اضطر لتغيير الاسم . بسبب احتجاج يسرائيل شوحط [٤٥] ، فأصبح « بريث ترومبلدور » تمينا بزميله ترومبلدور . ثم اخذت تعرف بعد ذلك باسم « بيطار » كاختصار للكلمتين العبريتين .

ترعرعت حركة « بيطار » ، منذ تأسيسها ، على الروح العسكرية ، اذ رأت فيها الاساس الصالح للاسراع في تحقيق المشروع الصهيوني ، وتحولت مع الزمن الى خصم لدود لحركات الشبيبة الخاضعة للحركة العمالية والتي كانت تركز ، في نشاطها الرامي الى احتلال فلسطين ، على الاستيطان بالاساس ، ثم غدت في الثلاثينات والاربعينات الرافد الاساسي الذي يمدّ « اتسل » ، المنظمة المنافسة للهجناه، بعناصر المتطوعين من الشباب .

وتوج جبوتنسكي نشاطه هذا باقامة اطار سياسي ، عام ١٩٢٥ ، على شكل حزب يحمل اسم « بريث هتسيونيم هرفيزستيونيم » * ، بهدف « تصحيح » المسار الصهيوني . من اهداف العمل لتحقيق المشروع الصهيوني على ضفتي نهر الاردن باقامة دولة يهودية باكثرية يهودية .

درج التيار التصحيحي في الحركة الصهيونية بزعامة جبوتنسكي ، في نقده للهجناه ، على توجيه سهامه ضد ما اسماه بالروح « السلامية » التي يزعم ان عناصر الهجناه تترعرع عليها . وقد دارت نقاشات طويلة ، بين الجانبين ، حول هذا الموضوع ، تحولت معها ، فيما بعد ، نقاط الخلاف الى تهم . فقد اعتبر التصحيحيون الروح « السلامية » تهمة ، اعترفت بها الهجناه كفضيله ، مع الصاق تهمة الروح العسكرية بالتيار التصحيحي الذي افتخر بدوره بها معتبراً اياها بمثابة فضيلة .

وقد يتبادر للمرء ، من كثرة النقاشات حول هذا الموضوع ، وكأن الهجناه تعتنق فعلا الفلسفة « السلامية » . ومن نافل القول ، ان ذلك غير صحيح على الاطلاق ؛ فموقف الهجناه

---

* اي اتحاد الصهيونيين التصحيحيين أو الحزب التصحيحي .

الذي يبدو وكأنه يميل الى « الاعتدال » ، بالنسبة لموقف التصحيحيين ، لم يتأت عن الايمان بفلسفة « سلامية » بالمفهوم العلمي لهذا الاصطلاح ، بل نجم عن وعي قادة الحركة العمالية لمعادلة القوى والاعتبارات السياسية ، وعن واقع البون في الطرح لتحقيق المشروع الصهيوني بين التيارين ، بحيث تغدو معهما الهجناه ، في موقفها ، وكأنها اقرب الى المسالمة منها الى العدوان . وهنالك دلائل عملية كثيرة وبعضها نظري تشير الى التناقض الصارخ بين الواقع وهذا الادعاء . والحقيقة ان الهجناه لم تصل في تثقيف افرادها ، على صعيد كراهية العدو والانتقام والقتل وسفك الدماء ، الى المدى الذي وصلت إليه الحركة التصحيحية . بيد ان ذلك لا يعني عدم وجود ثقافة او ميول كهذه . ففي صحيفة عل همشمار (١٩٢٧) الناطقة باسم الهجناه نجد مقالا ينضح بالروح العدوانية اللاانسانية ، فقد جاء فيه « في الوقت الذي تتعرض فيه بيوت اسرائيل للنهب ، يروي دم العبري ارض وطننا . علينا ان ننسى اية مشاعر انسانية ، ويجب علينا اطلاق النار بهدف القتل ، وليس بهدف الترويع . يجب ان نذبح ونبيد دونما رحمة او احاسيس انسانية . نعم ، بدون احاسيس انسانية . حينذاك نكون نحن رجال الهجناه جنوداً ، ويجب ألّا نتفلسف . مقابل رأس كل عبري مئة من الرؤوس العربية ، حتى ولو كانت هذه رؤس عرب لم يشتركوا في اعمال الشغب . بهذه الطريقة فقط ، يمكن لنا ان نبرهن للمشاغبين كم هو عزيز الدم العبري » [٤٦] .

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان احدى المهام المنوطة بالهجناه ، خلال العشرينات ، كانت « محاربة الاتجاهات السلامية » [٤٧] لبعض التيارات في اليشوف اليهودي مثل « بريث شالوم » ، ندرك حقيقة الروح « السلامية » لمنظمة الهجناه ، التي شكلت نقطة خلاف اساسية مع الحركة التصحيحية .

الانشقاق « اليساري » الفاشل

اعتمدت الهجناه في تشكيلها ، ان على صعيد القيادة أو على صعيد الافراد ، على مجموعتين اساسيتين هما : (١) منظمة هشومير (٢) الكتائب العبرية . وكان من نتيجة اختلاف مشارب واهواء كل منهما ، فضلا عن التشرذم القائم في كل مجموعة ، ان برزت ، مع مرور الزمن ، مدرستان متعارضتان داخل الهجناه ، دعت الاول الى اكساب العناصر وعياً صهيونياً اكثر يسارية مع التشديد على اختيار العناصر لجهة البذل والمعرفة المهنية ، وانتخاب القيادة من بين صفوفها ، مع التمتع باكبر قدر من الاستقلالية عن نقابة العمال العامة (الهستدروت) . وتمحور حول هذه المدرسة رجال منظمة هشومير بزعامة يسرائيل شوحط . والثانية دعت الى توسيع اطار الهجناه، واضفاء الطابع الشعبي على المنظمة، واكسابها القيم الصهيونية المستمدة من الحركة العمالية ، مع خضوعها وانصياعها لسلطة الهستدورت ، واستقطبت هذه المدرسة عناصر الكتائب العبرية المنحلّة بزعامة الياهو جولب . ومع اتساع شقة الخلافات بين وجهات نظر الفريقين ، عقدت جلسة مشتركة في حزيران ١٩٢١ ضمت مندوبين عن « لجنة الهجناه » واللجنة التنفيذية للهستدروت ، تمخضت عن انتصار وجهة نظر فريق الياهو جولب ورفاقه [٤٨] . ولم يثر هذا الانتصار دهشة احد ، خصوصا ، وان الفريق الآخر كان يدعو الى الحد من تبعية الهجناه للهستدورت واحدوت هعفوداه ، في وقت كانت فيه المنظمة في امس الحاجة لرعايتهما ، وسط تحفظ او معارضة التكتلات السياسية الاخرى لقيامها . غير

ان عناصر منظمة هشومير لم تيأس واستمرت في نشاطها الرامي الى تسيير الهجناه وفق منظورها ، وساعدتها في ذلك قوة الروابط الشخصية والاجتماعية بين افرادها التي استمرت ، حتى عقب حل المنظمة ، فضلا عن الانسجام الفكري والايديولوجي فيما بينهم ، وعدم تمكنهم من الاندماج بشكل جيد في المنظمة الجديدة الخاضعة لخط سياسي عام يتعارض ، في بعض اجزائه ، مع افكارهم المستمدة من مبادىء « بارجيورا » .

وقد اخذت عناصر هشومير تجنح اكثر فاكثر نحو الانغلاق على الذات ، والتمحور حول زعامة يسرائيل شوحط ، لتجد الهجناه نفسها ، بعد مضي مدة بسيطة على تأسيسها ، تضم في جوفها تنظيما سرياً آخذاً بالتبلور . وفي عام ١٩٢٢ ، وصلت العلاقات بين فريقي الهجناه الى درجة لم يعد معها التعايش بينهما ممكناً ، فأقدم فريق شوحط على الانسحاب من الهجناه دون قطع العلاقات معها [٤٩] . وكان لهذا الانشقاق آثار على تطور الهجناه ، من بينها ابعاد بعض القادة الذين كان لهم ضلع في الصراع مع مجموعة هشومير وعلى رأسهم الياهو جولب ، الذي لم يعد اليها الا عند اندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٢٩ ، في محاولة من حزب احدوت هعفوداه استيعاب الخلاف بين الفريقين واعادة جماعة هشومير الى المنظمة الام . ولم يكن هذا سهلاً ، ذلك ان الصراع يدور ، في جوهره ، وبشكل خفي ، بين حزب احدوت هعفوداه وبين منظمة هشومير المنحلة التي وجدت ، في انتصارها على الحزب في معركة المنافسة حول « كتيبة العمل » ، ما يؤهلها للاستمرار في الصمود في وجه احدوت هعفوداه ومنافستها . وكانت « كتيبة العمل » قد أسست عشية مصرع يوسف ترومبلدور ، وبموته افتقرت الى قائد تتمحور حوله ، الأمر الذي جعلها موضع صراع خفي بين زعماء التيارات العمالية ، منذ اليوم الاول لولادتها ؛ ولم يلبث هذا الصراع ان اصبح علنياً بين احدوت هعفوداه وبين هشومير ، تمكنت فيه الاخيرة من بسط نفوذها على معظم افرادها ، وساعدها في ذلك اعتناق اكثرية اعضاء الكتيبة ، على الصعيد الايديولوجي ، الاشتراكية الصهيونية وفق فهم منظمة هشومير لها . ولم يتأت عن المساعي الحثيثة التي قام بها حزب احدوت هعفوداه والهجناه لاعادة جماعة شوحط الى الحظيرة شيء يذكر .

ثم كان لتطور المجموعة والخلافات التي عصفت بافرادها الدور الاساسي في وضع حد للانشقاق والعودة الى حظيرة الهجناه .. في اعقاب الانسحاب ، اطلقت المجموعة المنشقة على نفسها اسم « هكيبوتس » (الكيبوتس) وفي بعض الاحيان اسم « هشومير » . غير ان خصومها لم يعترفوا بهذا الاسم او ذاك بل اطلقوا عليها كنية « عصابة شوحط » .[٥٠] بسبب التفاف اعضائها حول زعامة يسرائيل شوحط . الرئيس السابق لمنظمة هشومير .

اعتبر « الكيبوتس » نفسه ، الى جانب كونه منظمة عسكرية سرية ، مؤسسة سياسية تهتدي بهدي الاشتراكية الصهيونية والصراع الطبقيّ ، خلافا للهجناه التي كانت تحتضن الشرائح المختلفة من اليشوف وتخضع لمؤسسات تابعة للحركة الصهيونية . ومع ذلك لم يعتبر نفسه نقيضاً بل مكملاً لها ، وسعى لامتلاك الاسلحة وتخزينها والتصدي للعرب الفلسطينيين ؛ ففي ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ قام احد عناصر التنظيم، يرحمائيل لوكتشر، باغتيال «فوزي بك »قائد شرطة يافا، بموافقة « يوسف هخت » قائد منظمة الهجناه [٥١] . وتعتبر هذه العملية الاولى والاخيرة التي نفذها التنظيم في فترة قيامه . كما نشط في مجال التدريب والهجرة

متخذا من مستوطنة جلعادي قاعدة لنشاطاته المختلفة .

لم يغب عن بال المسؤولين عن « الكيبوتس » اهمية اقامة علاقات مع الدول الاجنبية ، فاتصلوا بعدد من الدول الاوروبية والاتحاد السوفياتي بالذات . ففي تلك الفترة اخذ يبرز في « الكيبوتس » ، لكونه يشكل حالة « يسارية » (ومن المفهوم الصهيوني) بالنسبة للهجناه ، اتجاه يساريّ يمثله كل من لوكتشر وشوحط ، راهن على تمتين العلاقة مع الاتحاد السوفياتي وتسخيرها لخدمة المشروع الصهيوني . بيد ان ذلك كان من بين العوامل الرئيسية التي عجلت في تقصير امد حياة « الكيبوتس » . فإضافة الى رفض معظم اعضاء التنظيم لهذا التوجه وتحفظ البعض تجاهه، انقسم اصحابه، على انفسهم، الى فريقين، دعي الاول بـ «اليمين» وقاده شوحط ، اراد من العلاقة مع السوفييت خدمة المشروع الصهيوني ، والثاني تزعمه لوكتشر ودعي بـ « اليسار » ، وهو لا يختلف عن الاول في الهدف ، غير انه كان يعتبر نفسه اقرب الى الاتحاد السوفياتي واستيعاب الفكرة الشيوعية . وما لبث الصراع بين الفريقين ان وصل الى اشده ، خصوصاً ، بعد ان سافر لوكتشر الى الاتحاد السوفياتي واجتمع مع عدد من المسؤولين هناك ، وعاد الى فلسطين ليعلن عن كفره ، مع عدد من زملائه ، بالمشروع الصهيوني واعتناقه الفكرة الشيوعية وانضمامه الى الحزب الشيوعي الفلسطيني (٥٢) .

نتيجة لاحتدام الصراع ، عقب الانقلاب الفكري لدى مجموعة لوكتشر ، انشق « الكيبوتس » و« كتيبة العمل » على نفسيهما ، واخذ الانشقاق مظهره الرسمي في السابع عشر من كانون الاول / (ديسمبر) ١٩٢٦، حيث انضوى حوالى ٣٠٠ عنصر تحت لواء الجناح « اليميني » ما لبثوا ان انضموا بعد مدة الى « هكيبوتس همؤحاد » ومن ثم الى الهجناه ، بينما انضوى تحت لواء الجناح « اليساري » قرابة مئتي عنصر . تفرق معظمهم بعد مدة ، وعاد قسم منهم الى الاتحاد السوفياتي للاسهام في اقامة كومونة في شبه جزيرة القرم (٥٣) .

وهكذا لفظ الكيبوتس انفاسه الاخيرة بفضل الخلافات الفكرية التي عصفت به ، ولم يقيض له البقاء للاستمرار في منافسة الهجناه . ومع ذلك يمكن القول ان منظمة « الكيبوتس » ، او « هشومير » ، شكلت في العشرينات اول محاولة انشقاقية داخل الهجناه عن طريق « النافذة اليسارية » ، ومهدت الطريق امام محاولة انشقاقية اخرى اخطر بكثير في الثلاثينات من « النافذة اليمينية » .

الانشقاق « اليميني » و« الهجناه ب »

ربيع عام ١٩٣١ انشق رئيس فرع منظمة الهجناه في القدس المدعو « ابراهام تهومي » (اسمه الحركي جدعون) عن المنظمة ، واقام منظمة جديدة عرفت باسماء عديدة من بينها : « الهجناه الموازية » و« المنظمة العسكرية القومية » والهجناه اليمينية « غير ان الاسم ، الاكثر شيوعاً ، الذي الصق بها هو : « الهجناه ب » او « المنظمة ب » .

وقبل التطرق الى اسباب ظاهرة الانشقاق « اليمينية » ، هذه ، يجدر بنا الوقوف على العوامل المساعدة لبروزها ، ومن اهم هذه العوامل :

١ ـ **الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩** : لقد اظهر النهوض الوطني للشعب الفلسطيني ، الذي تبلور في ثورة ١٩٢٩ واحداثها ، وما تأتى عن ذلك من اشتباكات بين الثوار الفلسطينيين والمستوطنين اليهود ، عوامل ضعف في جهاز الهجناه ، وافتقار فروعها ووحداتها الى تنظيم قوي متماسك وضباط مهنيين ، كما اظهر مدى النقص في الاسلحة والاعتدة العسكرية . ولم تدفع المستوطنات او التجمعات اليهودية النائية ، مثل التجمع اليهودي في الخليل وفي صفد ثمن ذلك وحدها،بل دفعته ايضاً بعض المستوطنات القريبة من التجمع اليهودي في فلسطين مثل مستوطنة « مشمار هعيمل » التي اضطر مستوطنوها الى تركها بعد سقوطها بأيدي الثوار الفلسطينيين ، ومستوطنة « خولدا » التي سقطت ، هي الاخرى ، نتيجة هجوم عنيف كان من الشدة لدرجة أن هجرها مستوطنوها بالرغم من وصول قوات بريطانية اليها[٥٤] .

٢ ـ **تصاعد نفوذ الحركة التصحيحية** : في اواخر العشرينات وبداية الثلاثينات تصاعد نفوذ ونمو الحركة التصحيحية ، وانعكس ذلك في نتائج انتخابات الكونغرس الصهيوني السابع عشر الذي انعقد في براغ عام ١٩٣٠ ، فقد حظي التصحيحيون بـ ٥٢ مقعداً (٢١٪ من مقاعد الكونغرس) مقابل ٢١ مقعداً في الكونغرس السادس عشر عام ١٩٢٩ . كما وانعكس ايضاً في نتائج انتخابات « اسيفات هنفحريم » (جمعية المنتخبين) لليشوف اليهودي في فلسطين ، حيث نالت القائمة « التصحيحية » ١٦ مقعداً من مجموع ٧١ مقعداً[٥٥] ، واحتلت بذلك المكانية الثانية في اليشوف اليهودي .

٣ ـ **تردي العلاقة بين الهستدروت وقائد الهجناه** : سبق قيام حركة تهومي الانشقاقية ، وغذاها ، واقع تفرّد قائد الهجناه يوسف هخث بالقيادة ، ومحاولاته تقليص سيطرة ونفوذ اللجنة التنفيذية ، التابعة للهستدروت ، على المنظمة التي يقودها . وكان هخث ، مدعوماً بمجموعة قيادية ملتفة حوله ، قد قطع شوطاً بعيدا في تفرده بالقيادة ، اثر تفاقم الخلاف بين جناحي جولب وشوحط ، لدرجة لم تكن معها الهستدروت قادرة ، بعد ان اخذت تعيد النظر في علاقاتها مع الهجناه اثر الانتفاضة الفلسطينية في العام ١٩٢٩ ، على فرض سيطرتها المطلقة على المنظمة بسهولة . ومما زاد الطين بلة اندلاع جدل طويل وعقيم بين قائد الهجناه وقيادة الهستدروت حول موضوع العلاقة بينهما استغرق حوالى عامين[٥٦] ، زد على ذلك ، كشف « تجاوزات » لقائد الهجناه من بينها امور من الصعب ان تخطر على بال احد كالذي حدث لاحد الشبان اليهود عند اعتقال الهجناه له ، عام ١٩٣١ ، بتهمة تسليم معلومات للمخابرات البريطانية حول ما يدور في المنظمة . فقد قدّمه هخث الى المحاكمة ، وبعد ان اعترف ، صدر الحكم عليه باعدام نفسه بنفسه عن طريق الانتحار ، وتعهد المتهم بذلك ، ونفذ بالفعل تعهده ، وانتحر[٥٧] .

نتيجة هذه « التجاوزات » ، اضافة الى خلافاته مع قيادة الهستدروت ، قُدّم قائد الهجناه يوسف هخث امام محكمة هستدروتية ، كان من بين اعضائها الياهو جولب ، حكمت عليه بالابعاد عن منظمة الهجناه لمدة عام ، ولكنه خرج من المنظمة دون ان يعود اليها ثانية . كما ابعد معه عدد من زملائه وعناصر مؤيدة للهستدروت[٥٨] ، في محاولة من قادة الحركة العمالية ارضاء الفريقين ، الامر الذي حط من مكانة الهجناه في نظر اليشوف وسهل على فريق تهومي اعلان الانشقاق .

ولم تكن العوامل ، آنفة الذكر ، وعلى الرغم من كونها رئيسية ، سوى مجرد عوامل مساعدة ، لم يكن بوسعها احداث الانشقاق لولا توفر اسباب أخرى عند تهومي وفريقه ، دفعتهم للانشقاق .

تعود هذه الاسباب الى جنوح تهومي ، اكثر فاكثر ، نحو عسكرة الهجناه وتجييشها ، ومنحها مزيداً من الاستقلالية عن الهستدروت ، واكساب عناصرها الثقافة « القومية » ، وقد دخل في جدل طويل حول هذه الموضوعات مع الفريق الموالي للهستدروت والحركة العمالية . وكان ميله نحو تجييش الهجناه الموضوع الاخطر الذي حظي بنقاشات وحوارات حادة . فقد قال ، في مجال تطرقه الى اضفاء مزيد من الصبغة العسكرية على الهجناه ، انه « بدل الانضباط الناجم عن الفهم والبذل والزمالة ، هنالك ضرورة لانضباط يعتمد ايضاً على الرتب والقوانين العسكرية »[٥٩] . وكان تهومي قد اجتمع ، عند نهاية العشرينات ، بجبوتنسكي طارحاً عليه تشكيل منظمة عسكرية جديدة الى جانب منظمة الهجناه ، بحجة ان المنظمة جيدة فقط في اعمال الدفاع المحلية ، دون الاعمال الهجومية . وان الوقت قد حان « لتأسيس منظمة عسكرية حقيقية ، مع ضباط من الدرجة الاولى ومع خطط هجومية »[٦٠] . وقد رفض جبوتنسكي عرض تهومي ، بسبب موقفه المعارض لاي تنظيم عسكري غير شرعي ، ومع ذلك فقد بقيت هذه الافكار تختمر في صدر تهومي الذي يملك تأثيراً قوياً على عناصر فرعه في القدس والبالغ عددهم قرابة الف شخص ، الى ان استقطب الى جانبه معظم افراد القيادة وعدداً كبيراً من العناصر ، الامر الذي ادخله في صراع مع مركز الهجناه والهستدروت من جهة ، ومع العناصر المخلصة للهستدروت في فرع القدس من جهة اخرى . وبذلك انقسم فرع القدس على نفسه الى قسمين : قسم تزعمه تهومي ضم اكثرية القيادة والعناصر ، وآخر بقي في ايدي « المخلصين » للهستدروت . وتبادل الطرفان التهم ؛ ففي حين ركز الفريق الاول الحملة ضد ما اسماه بالايديولوجية « السلامية » للهستدروت ، وضد بنية الهجناه المعتمدة على الميليشيا ، وتحزب الهجناه الى الحركة العمالية بدل ان تكون منظمة عامة ولليشوف كله ، ركز الفريق الآخر ضد ما اسماه بالميول الارهابية لمجموعة تهومي ، والروح العسكرية ، ومحاولة اخضاع الهجناه للتصحيحيين ، وحرصت الحملة على انكار الادعاء القائل بان المنظمة تخص فريقاً دون آخر[٦١] .

مع تفجر الخلاف وتبادل التهم ، اخذ الفريقان يتنافسان للسيطرة على مستودعات الاسلحة[٦٢] . وعند هذا الحد من التفجر ، وجدت مجموعة القيادة التي يرئسها تهومي نفسها امام خيارين : إما دخول معركة حاسمة مع مركز الهجناه او الانسحاب من المنظمة بشكل رسمي ، ففضلت الخيار الثاني ، وارسل تهومي وزملاؤه ، في ربيع ١٩٣١ ، مذكرة « استقالة » الى ادارة « اللجنة القومية » يعلنون فيها « ... عن قرارنا بترك العمل داخل المنظمة » موضحين انهم اتخذوا هذه الخطوة بعد ان تيقن لهم « .... عدم توفر اية امكانية للعمل داخل المنظمة ، وليس بوسعنا تحمل مسؤولية اعمال ادارة المنظمة » مع امتداحهم لفكرة المنظمة والاخلاص لها[٦٣] !

عقب استقالة تهومي وزملائه من العمل في الهجناه ، اقام مع مجموعة قيادته منظمة « الهجناه ب » من عناصر فرع القدس المؤيدة له . وقد اصيب تهومي ، بعد فترة قصيرة من

استقالته التي تحولت بسرعة الى عملية انشقاق ، باول خيبة أمل ناجمة عن ضآلة عدد العناصر التي التحقت به ، اذ لم يتجاوز عدد الذين انضموا اليه مئة عنصر ، ما لبث البعض منهم ان انسحب بحكم انتمائه لحزب مباي ، في الوقت الذي كان يقف فيه الى جانبه اثناء صراعه مع مركز الهجناه المئات من عناصر فرع القدس(٦٤). ومما زادخطورة خيبة امله،المشكلة المالية التي واجهت المسؤولين عن التنظيم الوليد ، خصوصاً ، أن معظمهم من ابناء الشريحة العمالية . كما ان زعيمهم كان مقاول بناء ، فكانوا لا يملكون شيئاً يقدمونه لمنظمتهم .

الا ان خيبة الامل الكبرى نجمت عن غياب اي دعم جماهيري لحركته . فقد راهن تهومي على تلقي المساعدة والدعم من الأوساط « المدنية » * ، لكنه لم يجد عند هذه الاوساط سوى النصائح (٦٥) . ويعود السبب في تخليها عنه لتطور العلاقة بينها وبين الحركة العمالية ، وتوصل الطرفين الى اتفاق حول مبدأ « المناصفة » في ادارة الهجناه وتوجيهها. ففي اعقاب انشقاق تهومي ، وكنتيجة له ، ولاحتدام المعركة داخل اليشوف اليهودي بين اليمين واليسار ، وضغوطات الاوساط « المدنية » غير التابعة للهستدروت ، اقدمت اللجنة التنفيذية للهستدوت على اتخاذ خطوة يتم بموجبها اشراك الوكالة اليهودية « واللجنة القومية » في الاشراف على منظمة الهجناه ، وكذلك اشراك الاوساط المدنية « مناصفة » مع الهستدروت في قيادة الهجناه. وبناء على ذلك تم في صيف ذلك العام تشكيل قيادة من ستة افراد ، ثلاثة عن الهستدروت ، هم : الياهو جولب ودوف هوز ومئير روتنبرغ ، وثلاثة عن الاوساط « المدنية » هم : دوف جيفن ويسسخار سيكثوف ، سعاديا شوشاني(٦٦) .

ومن الجدير بالملاحظة ، ان انشقاق تهومي وجماعته عن الهجناه كان له دور كبير في توصل الطرفين الى هذا الاتفاق . اذ استغل « المدنيون » في صراعهم مع الحركة العمالية ، حول النفوذ على منظمة الهجناه ، « المنظمة ب » المنشقة عنها ، كورقة ضغط للحصول على مزيد من المكاسب(٦٧) ، في الوقت الذي شكلت فيه المنظمة المنشقة ضوءاً احمر » بالنسبة للحركة العمالية ، دفعها لتسريع تحقيق مبدأ « المناصفة » واضفاء صفة الشمولية على الهجناه ، في محاولة منها لعدم اعطاء تبرير لظهور منظمة اخرى ، وتوفير امكانية استيعاب افراد التنظيمات ، في حال وجودها ، باعتبارها منظمة لمجموع اليشوف .

وهكذا وجد تهومي نفسه ، نتيجة استخدام الاطراف لحركته كساحة مناورات في صراعاتها ، صفر اليدين . وفي الواقع ، شكلت « الهجناه ب » ، منذ تأسيسها وحتى ايامها الاخيرة ، بالنسبة للاطراف المختلفة ، ساحة مناورات ، للتيارات الرئيسية المتصارعة داخل اليشوف اليهودي ، حيث درج كل طرف على استخدامها لاغراضه الخاصة ، ولم يكن هذا الواقع لغير صالح تهومي دائما ، فقد ادرك مع مرور الوقت عناصر اللعبة وتباين مرامي كل منها ، وعرف كيف يستخدم ذلك لمصلحته واطالة حياة منظمته . بعد خذلان « المدنيين » له ، توجه تهومي ، في صيف ١٩٣١ ، الى بازل لحضور المؤتمر الصهيوني السابع عشر ، ليجرب حظه عند قادة الصهيونيين العامين في الخارج ، ولكنه اخفق في مهمته ، فالصهيونيون العامون

---

* الصهيونيون العامون والمزراحي والشرائح البرجوازية .

لم يعيروه انتباها وذلك لتوصلهم مع الهجناه الى اتفاق « المناصفة » في القيادة ، كما ان جبوتنسكي*لم يبد هو الاخر حماسا لخطط تهومي ، ولم يقدم له أي عون(٦٨) .

بيد ان ذلك لم يثن تهومي عن الاستمرار في جهوده للابقاء على منظمته على قيد الحياة ، فقد اخذ عند عودته الى فلسطين ينشط داخل اليشوف اليهودي لتجنيد الاعضاء ، وخاصة بين اوساط الشرائح اليمينية والدينية وبين صفوف طلبة الجامعات . وتمكن من تجنيد اعداد من بين صفوف حركة بيطار وعدد آخر من الطلبة ، من بينهم طالبان جامعيان ، دافيد رزائيل وابراهام شتيرن ، لعبا فيما بعد دورا بارزاً في تطور التنظيمات الصهيونية العسكرية . وبدخول عناصر بيطار الى المنظمة الجديدة ، لم ينتشل تهومي منظمته من الموت السريع فحسب ، بل اخذ ينافس منظمة الهجناه في استقطاب اعضاء بيطار ، وسحب العديد منهم من المنظمة(٦٩) . فبعد مضي اقل من عام اقام تهومي فرعاً لمنظمة « الهجناه ب » في تل ـ ابيب ، تلته فروع اخرى في حيفا وصفد وفي عدد من التجمعات اليهودية ، مع قيادة قطرية ، ووجد نفسه حينذاك يقود تنظيماً قطرياً منافساً للهجناه يضم حوالى ٣٠٠ عنصر . وحرص التنظيم ، بعد تثبيت اقدامه ، على اصدار جريدة داخلية تحمل اسم « همتساده » لتثقيف الافراد بالروح الجديدة التي لم يتمكن من بثها بين صفوف المنظمة الام ، وكان من بين كتّابها ابراهام شتيرن الذي شغل ايضاً منصب سكرتير قائد « الهجناه ب »(٧٠) .

مع وقوف التنظيم على قدميه ، وقبل ان يصبح ذا وزن كبير ، جرت في ربيع عام ١٩٣٣ اولى مفاوضات جادة للوحدة بين المنظمتين العسكريتين وسط حماس الاطراف المختلفة ومعارضة فئات منها ، لها . ويعود سبب الحماس إلى المرامي المختلفة لكل فريق ، فقد اعتقدت التيارات والتكتلات الواقفة وراء « الهجناه ب » والتي اعتبرتها كورقة ضغط في صراعها مع الحركة العمالية ، ان المنظمة قد اصبحت من القوة لدرجة يمكنها معها تعزيز مراكزها ونفوذها في منظمة الهجناه في حال التفاوض حول الوحدة ، بينما ارادت قيادة الهجناه ومن ورائها الهستدروت والوكالة اليهودية ، من المفاوضات ، اعادة وحدة المنظمة قبل استفحال خطر « المنظمة ب ». ومما شجع الطرفان على التفاوض ، قيام اللورد البريطاني « ملشت » ، خلال زيارته لفلسطين ، بطرح فكرة التفاوض وبذله الجهود في هذا المجال . فقد مهد لمفاوضات الوحدة بسلسلة من الاجتماعات بين قادة المنظمتين ، والتكتلات السياسية الواقفة وراءهما . ولم يجد تهومي وجولب عناء كبيراً في مفاوضاتهما ، اذ توصلا بسرعة الى اتفاق الوحدة الذي عرف بـ « اتفاق ملشت » بفضل جهود اللورد البريطاني الصهيوني الذكي ، واستعداده لدعم المنظمة الموحدة حالياً ، والترويج لها في بريطانيا(٧١) .

وعلى الرغم من جهود اللورد . وتوفر عوامل كثيرة للوحدة ، لم يكتب للاتفاق العيش طويلا، فقد تعثر، في بداية الامر، بسبب رفض قيادة الهجناه عودة تهومي الى المراكز القيادية، ومع ان هذه الفترة ازيلت ، بعد مدة بسيطة ، بتراجع القيادة عن موقفها ، فقد اثيرت قضية اخرى حول شغل المراكز القيادية ، وعلى الرغم من ايجاد حل لها ، وموافقة رؤساء الفروع على

* كانت سلطات الانتداب قد نفته من فلسطين عام ١٩٢٩ ، وحظرت عليه دخولها ، ولم يدخلها حتى وفاته في عام ١٩٤٠ .

الاتفاق باكثرية الاصوات ، وتأهب عناصر الطرفين للتصدي للعب في موسم النبي موسى ، ظهرت ، بعد مدة ، عثرة جديدة ، تمثلت في اشتباك جرى بين منظمة بيطار وعناصر مؤيدة للهستدروت ، اثناء قيام شبيبة بيطار بمسيرة في شارع تل ـ ابيب الرئيسي ، اسفر عن اصابة ٢٤ من شبيبة بيطار بجراح .[٧٢] وكشف الاشتباك عن مدى تردي العلاقات بين الحركة التصحيحية والحركة العمالية وتنامي روح الكراهية بينهما .

وقد حاولت الهستدروت استيعاب غضب وسخط الحركة التصحيحية ، باعلانها عن الأسف للحادث ، بيد انه لم يكن بوسع هذه المحاولة محو آثار ما اعتبرته الحركة التصحيحية« المذبحة الحمراء » [٧٣] . وبذلك تحطم « اتفاق ملشت » على صخرة العداء والكراهية . وتردي العلاقات ، بين الحركتين العمالية والتصحيحية .

وإن كانت « المذبحة الحمراء » قد ابقت على حياة « المنظمة ب » لفترة ، فقد كان لحادثة اخرى اخطر منها بكثير ، وهي حادثة اغتيال ارلوزوروف ، الفضل في بلورة نموها .

اغتيال ارلوزوروف

في السادس من حزيران ١٩٣٣ . وبينما كان حاييم ارلوزوروف ، رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية ، واحد الوجوه البارزة في حزب مباي ، يتنزه مع امرأته على شاطيء البحر في تل ـ ابيب ، تقدم نحوهما شخصان ، سأل احدهما عن الوقت واستل الثاني مسدسه واطلق النار نحو الـوزوروف فارداه قتيلاً ، ثم لاذ الاثنان بالفرار .

اعتقلت سلطات الانتداب ثلاثة اشخاص هم ابراهام ستفسكي وتسفي روزنفلت والدكتور ابا اصيمئير ، ووجهت اليهم تهمة الاغتيال .

ومن الجدير بالذكر ان الثلاثة ينتمون الى منظمة « بريت هبريونيم » (عصبة الاشداء) التي تأسست في صيف ١٩٣٢[٧٤] نتيجة تبلور مجموعة « الحد الاقصى » داخل الحركة التصحيحية بزعامة الدكتور ابا اصيمئير من مواليد روسيا ، والشاعر اوري تسفي جرينبيرج ، والكاتب ي . يفين وعدد آخر من المثقفين . ونشطت هذه الجماعة في استقطاب العناصر الاكثر تطرفا في الحركة التصحيحية ، واقامة خلايا لها في اماكن متعددة من فلسطين . وكانت تدعو صراحة الى اقامة دولة اليهود والتصدي ، بالحديد والنار ، لمن يقف في وجه هذا الهدف . وكان اهم نشاطاتها أن تصدت لمنع الاحصاء السكاني العام في فلسطين عام ١٩٣١ خشية ظهور اليهود كاقلية في فلسطين ، كما نشطت في تهريب اليهود والاسلحة الى فلسطين ، من خلال تنمية علاقات طيبة مع مهربي المخدرات في دمشق « توصلنا معهم الى اتفاق . ساعدناهم بنقل الحشيش حتى الحدود المصرية ، ومقابل ذلك ، ساعدونا في تهريب أناس واسلحة عن طريق الحدود السورية » [٧٥] .

وعلى الصعيد الداخلي خاضت « عصبة الاشداء » حرباً شرسة ضد الهستدروت وتوجهاتها « اليسارية » في الوقت الذي اعتبرتها الحركة العمالية بمثابة عصبة « فاشية » متطرفة .

تعرض ارلوزوروف ، قبل اغتياله ، لحملة شعواء على صفحات جريدة « حزيت هعام »

(جبهة الشعب) ، الناطقة باسم « عصبة الاشداء » .[٧٦] وقد توجهت اصابع الاتهام ، عقب الاغتيال ضد العصبة ، والقت سلطات الانتداب ، كما ذكرنا ، القبض على ثلاثة من افرادها ، اخضعتهم الى تحقيقات ومحاكمات استمرت سنة كاملة ، برأت خلالها المحكمة ساحة ابا اصيمئير ، رئيس عصبة الاشداء ، من تهمة تدبير العملية وافرجت عنه ، وبعد ذلك افرجت عن آخر لعدم توفر الادلة القاطعة وعدم توفر شهود عيان آخرين الى جانب امرأة ارلوزوروف التي تعرفت على ستفسكي وروزنفلت واتهمتها بقتل زوجها[٧٧] .

ومع تبرئة ساحة هؤلاء المتهمين ، بقيت قضية اغتيال الدكتور ارلوزوروف بمثابة « لغز » لم يحل بشكل نهائي حتى الآن . بيد ان الاهم من ذلك ، تبعات عملية الاغتيال على ليشوف اليهودي والقوى المتصارعة داخله . فقد اتهمت الحركة العمالية الحركة التصحيحية بالوقوف وراء الاغتيال ، وردت الاخيرة التهمة ، باتهامها الحركة العمالية باستغلال العملية وابتداع « قرية دم » لاحراز مكاسب حزبية .

ومن الجدير بالذكر ان الحركة التصحيحية حاولت ، في بداية الامر ، بغرض ابعاد الشبهة عن انصارها . وبشكل متسرع ، الصاق التهمة بـ « الشيوعيين » ، حينما اشاعت ان المتهم ستفسكي شيوعي مدسوس بين صفوف الحركة[٧٨] ، ثم ما لبثت ان تراجعت ودافعت عنه ، لتلقفها بعد مدة « اكتشافا » آخر ، القته في وجه الحركة العمالية . ففي اثناء وجود المتهم ستفسكي في السجن بتهمة ارتكابه جريمة قتل لا علاقة لها باغتيال ارلوزوروف . وقد اعترف المتهم العربي امام المحققين بمسؤولية اغتيال رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية الا انه عاد وانكر ان تكون له اي علاقة بالموضوع ، وارجع سبب ادعائه القتل الى قيام ستفسكي بعرض مبلغ مالي عليه ، اثناء لقائهما في السجن ، مقابل نسب التهمة اليه [٧٩] . ولم يعر المحققون الموضوع اهتماماً ، وكفوا عن التحقيق مع الشخص العربي ، غير ان اوساط الحركة التصحيحية لم تلق مسؤولية الاغتيال على « العربي » فقط ، بل اعتبرت القضية برمتها مؤامرة دبرتها الهجناه مع سلطات الانتداب لتشويه سمعتها ، بينما رأت الحركة العمالية ، في الاغتيال ، دخول الحركة التصحيحية طوراً جديداً من الارهاب موجه ضدها . وانقسم اليشوف اليهودي ، في فلسطين بين وجهتي النظر ، ودارت نقاشات ساخنة حول الموضوع عكست الانقسام العميق بين صفوف اليهود ، ليس في فلسطين وحدها ، وانما في اوساط الجاليات اليهودية في العالم .

ومما يلفت النظر ، الصراع الدائر بين كتب التاريخ الصهيونية عند تطرقها الى القضية وملابساتها . فقد صدرت ، حتى الآن ، كتب عديدة حول الموضوع ، يُحمّل قسم منها ، ولا سيما الصادر عن الحركة العمالية او المتعاطفين معها ، الحركة التصحيحية مسؤولية الاغتيال ، بينما يبرىء القسم الآخر ، ولا سيما الصادر عن الحركة التصحيحية وانصارها ، المتهمين الثمانية ، ويلقيها على كاهل العرب !

لم تكن حادثة اغتيال ارلو زوروف اول حادثة اغتيال من نوعها في اليشوف اليهودي في فلسطين ، فقد سبقتها حادثة شبيهة من حيث غرضها ، وبقيت « لغزاً » لمدة طويلة ، حاولت خلالها الاوساط الصهيونية توجيه اصابع الاتهام ضد العرب ، الى ان اميط اللثام عنها في كتب

التاريخ . ففي ١٩٢٤/٦/٣٠ ، اطلق احد اعضاء منظمة الهجناه النار على الدكتور يسرائيل يعقوب دهان اثناء خروجه من كنيس يهودي في القدس وارداه قتيلاً ، بناء على تعليمات صادرة عن مركز الهجناه بتصفية « الخائن » . وتتمثل « خيانة » دهان وهو شاعر وصحفي مرموق ، من زعماء التيار الديني في اليشوف ومن مواليد هولندا ، بمحاولته اقامة جبهة يهودية عربية ضد المشروع الصهيوني في فلسطين ، اعتقاداً منه بالضرر الذي تجلبه الصهيونية على اليهود انفسهم(٨٠) .

وتأتى ، عن مقتل ارلو زوروف ، تسميم العلاقة بين التيارين الاساسيين في اليشوف اليهودي ، وليس من المبالغة في شيء ، اذا قلنا ان هذا الموضوع كان من بين العوامل الرئيسية ، التي ظلت كامنة في النفوس ، طوال اكثر من عقد من الزمن ، والتي أوصلت العلاقات الى حالة الكراهية والعداء . ففي اعقاب العملية ، جرت بين الحين والآخر ، اعتداءات ضد عناصر ومناصري الحركة التصحيحية في اماكن عدة من التجمعات اليهودية داخل فلسطين وخارجها على يد انصار الحركة العمالية . وابدى رئيس الحركة التصحيحية زئيف جبوتنسكي اهتماماً بها ، وكتب مقالات عدة حولها ، طلب في احداها من انصاره عدم الرد عليها ، وابقاء اسلوب العنف « حكراً » على الحركة العمالية ، او كما قال مخاطباً انصاره : « من مصلحتنا ابقاء عادة ضرب اليهود الآخرين حكراً على المعسكر الاحمر ـ هذا هو الاحتكار الذي يمكن لنا ابقاؤه بنفس مطمئنة بيد الهستدروت . اما سائر احتكاراتهم فاننا سنأخذها منهم . وقبل كل شيء احتكار العمل في ارض اسرائيل ، وسنجعل من احتكاراتهم للقبضة ، ملكاً وحيداً لهم »(٨١) . وفي مقال آخر نشره بعد حوالى عام على مقتل ارلوزوروف ، شن جبوتنسكي حملة ضد الاقتتال بين اليهود ، معتبراً اياه منافياً للحضارة ، وركز على امكانية التعايش بين الآراء المختلفة ، ليؤكد جواز تبادل التهم وحتى التشنيعات بين المتخاصمين ، وليحظر ، حسب اعتقاده ، القيام بعمل واحد وحيد : « لا يمكن حدوث اعمال عنف بين اليهود . ولا يجوز ضرب اليهود او هدم مبانيهم »(٨٢) .

ومن الجدير بالذكر ، ان العمال المؤيدين للحركة التصحيحية واجهوا ، منذ مطلع الثلاثينات ، مضايقات جمة على يد مكاتب العمل التابعة للهستدروت ، ففي كثير من الاحيان جرى فصل اعداد منهم ، فضلا عن تعرض البعض للاهانات والضرب من جانب العمال المنتمين لحزب مباي . ولعل في قيام الهستدروت بهدم بيت(٨٣) بناه عمال من الحركة التصحيحية ما يشير الى مدى الكراهية التي كانت تعتمل في صدور الفريقين ، والتي كانت من بين الاسباب التي دفعت جبوتنسكي ، عام ١٩٣٥ ، الى اقامة هستدروت عمالية تابعة لحزبه تحمل اسم «الهستدروت الصهيونية الجديدة » ، والخروج ، بعد ذلك ، من اطار ادارة الحركة الصهيونية العالمية ، التي لم تعد الحركة التصحيحية اليها الا عام ١٩٤٥ . وقد تصدى بن ـ غوريون كزعيم للحركة العمالية لحملات جبوتنسكي ، وشن هو الآخر حملة عنيفة ضد التيار التصحيحي ، طالباً من العمال اليهود الدفاع عن انفسهم و «ألا يقفوا امام سفك الدماء واعمال القتل ، كما نشاهد اليوم في المانيا » ، ومطلقاً على جبوتنسكي كنية « فلاديمير هتلر »(٨٤) .

كان تأثير عملية الاغتيال على تطور « المنظمة ب » ، خلال الاسابيع الاولى ، بسيطاً ، ففي تلك الفترة لم تكن عملية استقطاب العناصر للمنظمتين العسكريتين ، حادة ؛ اذ كان يوجد في كلا

المنظمتين عناصر من التيارات اليمينية والحركة التصحيحية . ولا شك بأن هذا الواقع كان من بين الاسباب التي دفعت قيادة الهجناه الى منع عناصرها من تداول القضية التي احدثت انقساماً رئيسياً في اليشوف اليهودي ، كما كان من بين الاسباب التي دفعت جبوتنسكي الى ابداء تحفظه تجاه مشروع تهومي الداعي الى تشكيل « لجنة مشرفة » على منظمته تتشكل من مجموعة احزاب الفريق اليميني . فقد اغتنم تهومي فرصة انعقاد المؤتمر الصهيوني الثامن عشر في براغ ـ وقعت عملية الاغتيال اثناء انعقاد المؤتمر ـ لكسب دعم اكبر عدد من التيارات الصهيونية الى جانب « المنظمة ب » . ووجد هذه المرة آذاناً صاغية من قبل قادة الصهيونيين العامين والمزراحي ، وكذلك من الحركة التصحيحية ، حيث ابدى الجميع باستثناء جبوتنسكي حماساً لفكرته بخصوص لجنة الاشراف . وقد تراجع جبوتنسكي عن موقفه-المتحفظ تحت اصرار تهومي وضغوطات الكتلة « المدنية » ، فتم لتهومي ما اراد ، حيث شكلت « اللجنة المشرفة» من زعامة مجموعة التيارات اليمينية، وضمت كلا من جبوتنسكي والحاخام. م. برلين وي. سوبرسكي ، وم . جوسمان[٨٥] . وكان لتشكيل هذه اللجنة تأثير كبير على تطور « المنظمة ب » التي اصبح يؤيدها الآن ليس قادة المعارضة التصحيحية فقط ، وانما ، ايضاً ، قادة احزاب يشتركون في الوكالة اليهودية وادارة « اللجنة القومية » مثل برلين وسوبرسكي .

لا شك أن موافقة الجناح « المدني » على خطوة اقامة « اللجنة المشرفة » ، وحماسه لها ، يثيران بعض الاستغراب ، خصوصاً ، وان هذا الجناح كان قد اتفق ، قبل فترة ، مع التيار العمالي على مبدأ « المناصفة » في قيادة الهجناه وتوجيهها . ولكن يمكن لهذا الاستغراب ان يزول اذا اخذنا بالحسبان مدى سعة ساحة المناورة التي شكلتها « المنظمة ب » ؛ فقد رأى « المدنيون » ، في دعم تهومي واقامة « اللجنة المشرفة » ، ضغطاً على الهستدروت لاحراز مزيد من النفوذ داخل الهجناه في حال التفاوض لحل « المنظمة ب » . ولم يكتف هؤلاء بالمكاسب التي توصلوا اليها عن طريق مبدأ « المناصفة » ، لانهم اخذوا يعتبرون هذا المبدأ ، مع تنامي قوتهم ، بمثابة تحايل من قبل حزب مباي لاضفاء الصفة الشمولية على الهجناه ؛ اذ أنه اشترط سريان مفعول مبدأ المناصفة على المؤسسات اليشوفية فقط: الهستدروت وبلدية تل ـ ابيب واتحاد المزارعين ، وليس على الاحزاب . ولم يروا ان بوسع بلدية تل ـ ابيب واتحاد المزارعين تمثيلهم بالنجاعة نفسها التي يمثل بها الهستدروت حزب مباي[٨٦] .

وإن كانت « المنظمة ب » قد تعززت بفضل قيام «اللجنة المشرفة » التي يعود الفضل في قيامها الى رغبة تهومي في تثبيت منظمته ، والى تكتيك الجناح « المدني » ومراميه ، فإن تبعات الاغتيال ، ولا سيما اثناء محاكمة المتهمين ، كان لها الفضل الكبير ليس في تعزيز « المنظمة ب » ودعمها بعناصر جديدة على حساب منظمة الهجناه فحسب ، بل ايضاً في دفع الحركة التصحيحية ، وعلى رأسها جبوتنسكي ، الى اظهار مزيد من الاهتمام بها ، مما كان له اثر خطير على تطورها المستقبلي .

لقد نجم عن تفاعلات وملابسات قضية الاغتيال حالة فرز حادة ، لم تكن في مصلحة الهجناه على الاطلاق ، اذ اخذت عناصر « بيطار » المنضوية تحت لوائها تنسحب منها ، وتلتحق بـ « المنظمة ب » المنافسة لها . وبذلك بدأت « المنظمة ب » تشهد نمواً سريعاً استمر بالتصاعد حتى اندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، لتجد نفسها تضم حوالى ألفي

عنصر[٨٧] ، وتواجه موضوعات سياسية ينظر اليها كل طرف من الاطراف المكونة لها من خلال منظاره الخاص ، وكان من بينها موضوع الـ « هفلجاه » .

الـ «هفلجاه» او « ضبط النفس »

الـ « هفلجاه » ، ككلمة ، هي المرادف لـ « ضبط النفس » ، وكاصطلاح سياسي ، هي المفهوم العام للسياسة التي قيدت بها الوكالة اليهودية منظمة الهجناه اثناء مواجهتها السكان العرب في فلسطين . فقد ارتأت الوكالة اليهودية ، خلال الفترة الأولى من اندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، بناء لاعتبارات كثيرة ، ضرورة تقيد المنظمة بالدفاع فقط دون القيام بأية عمليات هجومية او انتقامية . وفي بداية تبلور الـ « هفلجاه » تمسكت الوكالة اليهودية بحرفية تعليمات الدفاع السلبي لدرجة ان النقاش كان يدور ، بين الحين والآخر ، في عدد من التجمعات اليهودية حول السؤال التالي : هل يحق لعناصر الهجناه تجاوز السياج او الموقع ، لنصب كمين امام مهاجمين محتملين ، يمكن ان يشنوا هجمة على المستوطنة ؟[٨٨]

ومع ذلك ، لم تتقيد قوات الهجناه دائماً بسياسة « الهفلجاه » ، اذ كانت تقوم ، بين الفينة والاخرى ، بالاصطدام مع الثوار الفلسطينيين خارج نطاق المستوطنات . ومع مرور الوقت ، ونمو قوة الهجناه وتعزيز عرى العلاقات مع القوات البريطانية لم تعد الهجناه تحرص على تطبيق سياسة « ضبط النفس » تجاه العرب . وقد حدث هذا التطور في اواخر الثلاثينات ، وكُرِّس ، كسياسة رسمية ، في البند الثالث من التعليمات الصادرة عن القيادة القطرية لمنظمة الهجناه في ١٩٣٩/٧/٢ الذي جاء فيه « .... من الواجب مهاجمة العصابات اثناء تحركها ومواجهتها قبل اقترابها من المستوطنات ، ويجب ، الى جانب الدفاع عن المواقع داخل المستوطنات ، مطاردة المهاجمين للقضاء عليهم وغلق طرق انسحابهم . واذا ما انسحبت العصابة اثناء مطاردتها الى قرية عربية ، يسمح للمطاردين بالعمل داخل القرية ايضاً »[٨٩] .

مع تطور اساليب المواجهة لمنظمة الهجناه ، تطور ايضاً مفهوم « الهفلجاه » . والحقيقة ان قادة الحركة العمالية الذين ابتدعوا هذا المفهوم ، وعلى رأسهم بن ـ غوريون مهندس « الهفلجاه » ، لم يتخلوا عنه عندما تجاوزوه ، ادراكاً منهم ان اصطلاح « ضبط النفس » يضفي على مواقفهم السياسية مسحة من الاعتدال ، بل ابتدعوا له معاني جديدة لا علاقة لها بالدفاع السلبي مثل « طهارة السلاح » تمييزاً لنشاط الهجناه ضد العرب عن نشاط منظمتي اتسل وليحي الذين نعتوه بـ « الارهاب » مع ان النشاطين لم يكونا مختلفين ، من حيث الجوهر ، وان اختلفا في الطرق والوسائل والتوقيت والتركيز على الاعتبارات السياسية .

اخذت الخلافات تدب وتعصف بـ « المنظمة ب » عقب تبلور « الهفلجاه » ، كمفهوم سياسي ، وتبني الهجناه له ، وساعد في ذلك عدم التناسق والتجانس ، بين عناصر المنظمة ، والاطراف الموجهة لها في « اللجنة المشرفة » . فقد استقطبت « المنظمة ب » بين صفوفها ، خلال فترة نموها ، اعداداً كبيرة من انصار الحركة التصحيحية وحركة بيطار ، وتضاءلت اعداد المؤيدين للاحزاب اليمينية والدينية بفعل زيادة انصار الحركة التصحيحية في المنظمة ، الامر الذي كان له تأثير كبير على تطور بنيتها . ففي العام الاخير لقيامها وجدت المنظمة نفسها تتشكل من قاعدة معظم عناصرها من انصار الحركة التصحيحية في الوقت الذي تتشكل فيه

معظم القيادة من الاحزاب الاخرى . وعند ظهور مفهوم « ضبط النفس » وعقب اندلاع الثورة الفلسطينية بفترة قصيرة ، اخذ الخلاف يدب في صفوف المنظمة حول الموقف من هذا المفهوم ، حيث وقفت معظم عناصر القيادة الى جانب « الهفلجاه » بينما اتخذت معظم عناصر القاعدة موقفاً مناوئاً وطالبت بكسر سياسة « ضبط النفس »[٩٠] .

لم تنج « اللجنة المشرفة » من الخلافات حول هذا الموضوع ، فقد ظهرت ، اثناء النقاشات ، مواقف مختلفة ، لا تعود الى التباين في مواقف القوى المهيمنة على اللجنة بقدر ما تعود الى الاجتهادات الشخصية المتباينة بين اعضائها ، وبذلك انقسمت اللجنة على نفسها ، وبرز في داخلها ثلاث وجهات نظر أساسية[٩١] : تدعو الاولى الى الوقوف بحزم في وجه سياسة « الهفلجاه » والتصدي لها ، للحيلولة دون تدخل سلطات الانتداب البريطانية في كثير من الشؤون الداخلية لليشوف اليهودي والظهور بمظهر « المحايد الواقف بين قوتين معتديتين » . وتطالب الثالثة بتبني سياسة « الهفلجاه » باعتبارها « ..... اقوى سلاح عرفناه في حربنا السياسية .... » وتقف الثالثة ، بين بين .

نتيجةً لعدم توصُّل الاطراف المهيمنة على « المنظمة ب » الى اتفاق حول سياسة « الهفلجاه » انتهجت المنظمة الاسلوب الدارج لدى منظمة الهفلجاه » نفسه ، الا انها كهيئة غير خاضعة لسلطة الوكالة اليهودية رأت نفسها حرة في القيام ، بين الحين والآخر ، بعمليات مبادرة تتعارض وسياسة « ضبط النفس » ، ولم تكن هذه العمليات نابعة عن سياسة واضحة محددة . وقد وجدت « المنظمة ب » وزعامتها نفسها عرضة لحملة من الانتقادات بسبب عدم بثها في موضوع « الهفلجاه » . من بينها حملة جرت صيف ١٩٣٦ قادها عيري جبوتنسكي ، ابن زئيف جبوتنسكي ، عقب تعيينه رئيسا لحركة بيطار ، وصف فيها ابراهام تهومي بـ « زعيم الهفلجاه »[٩٢] ؛ وحملة اخرى تزعمها عدد كبير من اعضاء « الهستدروت الصهيونية الجديدة » في مؤتمرها المنعقد في فيينا ، اواخر عام ١٩٣٦ ، حيث هاجم عدد كبير من الحضور « المنظمة ب » وزعامتها ، متهيمنها بانتهاج سياسة « ضبط النفس » ، ولم يكن هنالك من يدافع عنها سوى جبوتنسكي الأب[٩٣] .

وهكذا لم تؤدّ الهفلجاه الى اضعاف مكانة « المنظمة ب » فحسب ، وانما عكست ظلالاً ثقيلة ، ايضاً ، على العلاقة بين التنظيمات العسكرية الصهيونية وحتى على العلاقة بين عناصر التنظيم الواحد ، وكانت من بين اسباب انشقاق « المنظمة ب » .

انشقاق « المنظمة ب »

فضلاً عن الخلافات الناجمة عن تباين مواقف الاطراف المختلفة تجاه سياسة « ضبط النفس » ، كانت ، هنالك ، مجموعة من العوامل ساعدت على انشقاق « المنظمة ب » ، ومن ثم على وضع حد لحياتها في تاريخ اليشوف اليهودي ، من اهمها :

أولاً : تركيبة المنظمة ، سواء على صعيد العناصر ومجموعة القيادة أم على صعيد اللجنة المشرفة ، واختلاف أهواء ومرامي كل مجموعة من المجموعات التي تؤلفها ، الامر الذي خلق تناقضات حرص كل طرف ، بشكل او بآخر ، على كبتها ، ولكن ، ومع تزايد حدة هذه

التناقضات ، عقب انسحاب الجناح التصحيحي من الحركة الصهيونية ، ودخول اليشوف اليهودي في مرحلة جديدة من المواجهة مع العرب باندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، غدت الاطراف عاجزة عن كبت تناقضاتها . زد على ذلك ان البعض منها خصوصاً الكتلة « المدنية » ، واجه ظروفاً حرجة تمثلت باشتراكه في قيادة الهجناه مع الوكالة اليهودية بحكم اتفاقهما على مبدأ « المناصفة » . في الوقت الذي كان يساهم فيه بشكل فعال في قيادة « المنظمة ب » عن طريق « اللجنة المشرفة » .

ثانياً : التناقض بين مجموعة القيادة بزعامة تهومي وبين الجناح التصحيحي . وعلى الرغم من ان هذا التناقض كان قائما ، وأنّ تهومي كان قد تمكن من تخفيف حدته باتقان لعبة التوازن بين الكتلة « المدنية » الاقرب الى قلبه والداعمة له ، وبين فريق التصحيحيين ، الا أنه اخذ بالاستقلال عقب تعيين عيري جبوتنسكي عام ١٩٣٦ ، رئيساً لحركة « بيطار » في فلسطين . فقد كان جبوتنسكي الابن يشكل حالة « متطرفة » ، لتأثره بمجموعة « الحد الاقصى » في الحركة التصحيحية ، وينظر سلباً نحو تهومي ؛ وقد هاجم زعامته « للمنظمة ب » ليس بسبب مواقفه السياسية التي اعتبرها شبيهة بمواقف التيار العمالي فقط ، بل ايضاً لانه كان خارج الاطار التصحيحي(٩٤) . وقد اكتسبت حملة جبوتنسكي الابن مزيداً من الخطورة على ترويجها بين فروع حركة « بيطار » دون ملل او كلل ، وبذلك اخذت العلاقات بين « بيطار » و« المنظمة ب » تسير من سيء الى اسوأ ، وتخلق حالة فرز بين عناصر المنظمة .

ثالثاً : التفكك والانحلال : ومما زاد الطين بلة دخول المنظمة ، بفعل تفاقم الصراعات بين اجنحتها المختلفة ، طوراً من التفكك ، كان من ابرز معالمه انتهاك العناصر للروح العسكرية الانضباطية التي يحرص عليها تهومي كثيراً والتي كانت من بين اسباب « استقالته » من منظمة الهجناه. ومما يشهد على حالة التفكك ، الحادث الذي وقع في ١٩٣٧/٣/٢٢ والمتمثل في قيام عنصرين من منظمة تهومي بالقاء قنبلة على مقهى عربي ، في قرية « يازور » العربية ، اسفر انفجارها عن اصابة اربعة اشخاص بجراح . وكان هذا الحادث الذي وقع في فترة هدوء ، حسب شهادة تهومي ، «بمثابة عمل يفتقر الى الجدوى والمسؤولية ، فهو عمل احمق غير مبرر »(٩٥) . وقد تمكن تهومي من معاقبة العنصرين الا انه وقف عاجزاً عن اتخاذ قرار ضد مرسليهم الذين اخذوا يفاخرون بالعملية جهاراً .

وسط هذه الاجواء المشحونة بالتوتر ، بين الاجنحة المختلفة ، كانت مفاوضات الوحدة بين المسؤولين عن المنظمتين العسكريتين ، تشق طريقها بقوة هذه المرة . على الرغم من مواجهتها نفس المشاكل التي برزت خلال المفاوضات حول « اتفاق ملشت » ، عام ١٩٣٣ اضافة إلى مشاكل جديدة ناجمة عن تطور المنظمتين وانعكاس الثورة الفلسطينية عليهما .

ومن الملاحظ ان كافة التيارات والقوى الواقفة وراء المنظمتين ، التقت عقب اندلاع الثورة الفلسطينية حول قاسم مشترك هو الوحدة ، بيد انها كانت تختلف ، من حيث الدافع والهدف ؛ فقد ارادت الحركة العمالية من الوحدة القضاء على « خطر » وجود منظمة ثانية بهدف تعزيز المنظمة التي تسيطر عليها ومن ثم احكام سيطرتها على اليشوف اليهودي ، بينما اندفعت الكتلة « المدنية » نحو الوحدة ، بفعل تخوفها من خطر تنامي نفوذ الحركة التصحيحية داخل « المنظمة ب » ، ورغبتها في وضع حد لوضعها « غير الطبيعي » المتمثل في مساهمتها بقيادة كلا

المنظمتين . اما مجموعة القيادة بزعامة تهومي فقد اندفعت نحو الوحدة ليس بسبب تخوفها من خطر تنامي نفوذ الحركة التصحيحية فحسب ، وانما ، ايضاً ، رغبة منها في تزويد عناصر المنظمة باسلحة افضل وتوفير اسباب التدريب العسكري لافرادها ، وكذلك بهدف احتلال مكانة مرموقة في المنظمة الموحدة .

وهنالك عامل آخر ساعد على التوجه الوحدوي للطرفين (تهومي و« المدنيين ») يتمثل في رغبتهما بتوفير فرص انضمام اعضاء « المنظمة ب » الى سلاح الحراسة « نوطروت » التابع للهجناه والمسموح به رسمياً من قبل سلطات الانتداب[٩٦] .

اما الجناح التصحيحي فقد كان همه الاساسي في توجهه الوحدوي فرض نفسه كفريق مساو للفريق الآخر ، وبالتالي ، احراز مكاسب سياسية وحزبية .

وقد بدأ الحديث يدور حول الوحدة عقب اندلاع الثورة الفلسطينية ، فحدد بن ـ غوريون زعيم الحركة العمالية شروطها بامرين اثنين[٩٧] :

١ ـ ضرورة قيام وحدة حقيقية و« ليس شرعية الانفصال تحت غطاء الاتحاد » .

٢ ـ خضوع المنظمة الموحدة بشكل مطلق للوكالة اليهودية .

ومن الجدير بالذكر ان قادة الوكالة اليهودية ، وعلى رأسهم بن ـ غوريون ، وقفوا ضد مساهمة عناصر « المنظمة ب » في سلاح الحراسة المصرح به رسمياً ، قبل حدوث الوحدة الاندماجية ، وهيمنة الوكالة اليهودية على المنظمة الموحدة ، وبرر هذا الموقف بقوله : « ... لدينا اليوم امكانية محدودة من الدفاع الشرعي . ولن نفسدها بادخال عناصر غير مسؤولة ، قد ترتكب مجازر في بيت اسرائيل »[٩٨] . وكان ينعت المنظمة بـ « العصابة » وافرادها بـ « المتمردين » .

اما زعيم الحركة التصحيحية جبوتنسكي ، فقد ركز في احاديثه ، حول الوحدة ، على ضرورة الجلوس حول « مائدة مستديرة » مع الهستدروتيين الصهيونيين بدون اية شروط مسبقة . ولم يكن من السهل التوفيق بين التيارين الرئيسيين ، خصوصاً ، وان « المنظمة ب » لم تكن سوى مظهر لجوهر الخلافات العميقة بينهما . ومن هنا برزت اهمية دور تهومي والجناح « المدني » في تقليص شقة الخلافات وردم الهوة بين الموقفين . وفي محاولة منه لتحقيق ذلك اجرى تهومي مفاوضات مع بن ـ غوريون لم تسفر عن شيء ، ثم توجه الى باريس للاجتماع بجبوتنسكي للتداول في موضوع الوحدة . وهناك ، اعاد جبوتنسكي على مسامعه شرطه بهذا الشأن « الشرط الاساسي لذلك هو شعب واحد وبشوف واحد ... عن طريق المائدة المستديرة بين المعسكرين الراغبين في الوحدة »[٩٩] . وقد اعتبر تهومي ذلك بمثابة برنامج حزبي ليس بوسع منظمته طرحه كشرط للوحدة .

ومع ذلك ، وحيال تمسك جبوتنسكي بموقفه ، واصراره عليه ، وافق تهومي على عقد اتفاق « سري » معه ، في باريس في ١٩٣٦/٢/٥ ، نظم العلاقة بين الحركة التصحيحية وحركة « بيطار » وبين « المنظمة ب » ، واكد على ان تهومي يقود المنظمة بناء على تعيين زعيم الحركة

التصحيحية ويديرها وفق روح تعليماته . وفيما يتعلق بمشروع الوحدة فقد نص الاتفاق على التالي :

أ ـ نحن نقف الى جانب منظمة موحدة .

ب ـ الشرط الضروري لذلك : شعب صهيوني موحد ويشوف موحد .

جـ ـ لذا ، يتوجب ، قبل كل شيء ، جلوس جميع الفرقاء الراغبين في الوحدة حول المائدة المستديرة »[١٠٠] .

اعتبر جبوتنسكي نتائج الاتفاق انتصاراً له ، بيد ان الامور لم تجر وفق تصوره ، إذ أن اول عمل أقدم عليه تهومي ، بعد خروجه من المفاوضات الثنائية ، كان ارساله برقية الى رؤساء فروع منظمته ، دعاهم فيها الى ابعاد التصحيحيين فوراً عن اي اتصال بالمستودعات[١٠١] دون ان يطلع هؤلاء على الاتفاق . ولعل في ذلك ما يشير الى مدى الضغط الذي مارسه عليه جبوتنسكي لحمله على قبول الاتفاق ، وكذلك الى عدم رضاه عنه في اعماق قلبه . ويبدو ان تهومي قد وافق على الاتفاق تكتيكياً بغرض كسب الوقت لصالحه ، خشية ان يقوم التصحيحيون بانشقاق في التنظيم في الوقت المريح لهم . وقد بقي تهومي ، حتى بعد وصوله الى فلسطين متستراً على الاتفاق ، اضافة الى انه بذل المزيد من الجهد لتعـزيز نفوذ مجموعته داخل المنظمة ، وحرص في الوقت نفسه ، على عدم الدخول في مفاوضات وحدوية جادة مع الحركة العمالية . خشية ان تكون هذه على دراية بحقيقة تفكك منظمته فتحصل على مكاسب في المنظمة الموحدة على ضوء وضعه المهتز .

بعد مضي ايام معدودة على اتفاق جبوتنسكي ـ تهومي ، اجتمع جبوتنسكي في لندن اواخر كانون الاول ، مع الياهو جولب الذي قدم خصيصاً لاجراء مفاوضات حول وحدة المنظمتين[١٠٢] . ولم تسفر المفاوضات عن شيء لتمسك الطرفين بمواقفهما ، ورغبة جبوتنسكي في الحصول على مزيد من المكاسب السياسية والحزبية ، خصوصاً ، وانه كان على اعتقاد بأن « المنظمة ب » اصبحت في جيبه عقب الاتفاق السري مع تهومي .

ازاء فشل الاتصالات الوحدوية السابقة ، وفي محاولة جديدة جادة ، تحركت الكتلة « المدنية » ومجموعة تهومي وكذلك زعماء من الحركة التصحيحية ، ودخلت في مفاوضات مع الوكالة اليهودية وقيادة الهجناه ، احرزت بعض النجاح . فقد اصدرت « المنظمة ب » كنتيجة لهذه المفاوضات ، قراراً داخلياً اواخر كانون الثاني ١٩٣٧ حول الوحدة ، اهم شروطه[١٠٣] :

١ ـ تسبق عملية الاندماج الكامل فترة انتقال مدتها تسعة شهور ، تبقى خلالها وحدات المنظمة في وضعها القائم ، وتخضع للقيادة العامة للتنظيم الموحد .

٢ ـ تبقى مستودعات المنظمة خلال الفترة الانتقالية على ما هي عليه ، وتخضع للقيادة الموحدة عند الاندماج الكامل .

بعد ذلك ، قطعت مفاوضات الوحدة شوطاً كبيراً ، واشترك فيها الى جانب القوى التي تتشكل منها « المنظمة ب» : الكولونيل باترسون[١٠٤] ، القائد السابق لكتيبة البغال الصهيونية الذي كان يزور فلسطين كضيف (على المنظمة المذكورة) ، وقد فرض رئيس الوكالة اليهودية دافيد بن ـ غوريون ظلاله على المفاوضات باشتراطه الدمج الكلي والخضوع المطلق للمنظمة

الموحدة للوكالة اليهودية . وفي الوقت الذي عارض فيه الجناح التصحيحي قضية اخضاع المنظمة للوكالة اليهودية ، قبل ايجاد حلول للعلاقة بين الحركة التصحيحية والحركة العمالية ، وافقت الكتلة « المدنية » وتهومي على مبدأ الخضوع والدمج بدون تحفظ . بيد ان هذه المعارضة لم تكن من الشدة بدرجة معارضة جبوتنسكي الذي كان يقوم ، في ذلك الحين ، بزيارة لجنوب افريقيا ، حيث اخذ يبعث من هناك برسائل الى الكتلة « المدنية » يحذر فيها من مغبة نتائج الوحدة على « المنظمة ب » . ولم تخفف توصيات الضابط البريطاني « الضيف » باترسون ، من حدة معارضته ، فأرسل الى تهومي ، بعد تيقنه من جدية التوجه الوحدوي لدى الكتلة « المدنية » ، مذكراً اياه بالاتفاق السري بينهما ، طالباً منه الحفاظ على « المنظمة ب » ، على الرغم من العراقيل ، واعداً بتقديم العون والدعم له « سأبذل قصارى جهدي كيلا تجوعوا ، ولن تجوعوا اذا لم اذق انا طعم الجوع . ولكن حتى في حال الفقر اذا بقينا فقراء ، فإنني على يقين من انك لن تتخلى عن الشيء الذي خلقته »[١٠٥] وعلى الرغم من ذلك ، لم تتراجع قيادة المنظمة عن توجهها الوحدوي . ففي ١٩٣٧/٤/٢٦ ، وعقب رسالة جبوتنسكي بحوالى اسبوعين ، تمخضت المفاوضات عن اتفاق بين قيادة المنظمتين العسكريتين بشأن دمجهما ، وقعه عن منظمة الهجناه الياهو جولب ، وعن « المنظمة ب » ابراهام تهومي ، نص على التالي[١٠٦] :

«١ ـ يندمج التنظيمان ، ويتعهدان بالخضوع لسلطة الوكالة اليهودية واللجنة القومية .

٢ ـ تقام،بموافقة ادارة الوكالة اليهودية ، المؤسسات التالية :

أ ـ مركز يتشكل من ١٦ عضواً و ١٠ مساعدين ، يمثل نصف اعضائه الهستدروت ويمثل النصف الآخر الاوساط الأخرى .

ب ـ قيادة تتشكل من ستة عناصر . ثلاثة عن كل طرف .

جـ ـ مركزان ، واحد عن كل طرف .

د ـ لجنة استئناف برئاسة بنحاس روتنبرغ وتضم اثنين عن كل طرف .

٣ ـ يحق للمنظمة « ب » ، طوال فترة الشهور التسعة ، الحفاظ على وحداتها كما هي عليه ، والاحتفاظ بمستودعاتها ، كما هي عليه ، في الوقت الحاضر ، مع خضوع جميع الأعضاء دون استثناء وفي الحال ، للقيادة الموحدة .

٤ ـ يحظر على التنظيمين السابقين ، عند الاندماج ، القيام باي عمل خاص في ميادين المالية والممتلكات والتنظيم وما شابه .

٥ ـ تعين ادارة الوكالة اليهودية شخصاً للاشراف على المالية وادارة الحسابات والاقتصاد .

٦ ـ يتم بالاتفاق التبادلي ترتيب اوضاع اللجان للمنظمتين ، وفق تشكيلة المركز » .

قبل التوقيع على الاتفاق ، واثناء اعداد الطرفين لصيغته ، احتدم النقاش بين مجموعة القيادة برئاسة تهومي وبين انصار الحركة التصحيحية وبيطار داخل « المنظمة ب » . فركزت

مجموعة القيادة في حملتها على امرين اساسيين اعتبرتهما لصالح « المنظمة ب » في حال الوحدة ، هما : السلاح والتدريب ، مدعية انه سيكون بامكان المنظمة الحصول على كميات اكبر من الاسلحة ، وبامكان الاعضاء اجتياز دورات عسكرية بشكل افضل من السابق ، بينما ركز انصار الحركة التصحيحية على التبعات السياسية الكامنة في الوحدة و« ضرورة استمرار المنظمة العسكرية القومية دون ارتباط » مع المطالبة ببرنامج سياسي كأساس للوحدة[١٠٧] . وكان موضوع الـ « هفلجاه » مثار خلاف شديد بينهما ، هذا فضلاً عن الشكوك الثقيلة التي كانت قائمةً بين الفريقين ، والتي غذتها علاقات تهومي مع الوكالة اليهودية ، وكذلك حادث سطو[١٠٨] تمّ على مستودع للاسلحة تابع للمنظمة « ب » ، نفذته جماعة من بقايا منظمة « عصبة الاشداء » دون ان يعرف احد ، من الطرفين ، هوية المسؤولين عن السطو الا بعد الانشقاق ، مما حدا بكل طرف الى اتهام الطرف الآخر بالعملية . وكان ذلك بمثابة تأجيج نار الخلافات بين جناحي المنظمة .

وقد استبعد انصار الحركة التصحيحية في المنظمة صدور اتفاق الوحدة باصدار بيان في ١٩٣٧/٤/٢٣ يدين الاتفاق باعتباره خنوعاً من جانب لآخر ، وقد جاء فيه « يوجد اليوم في البلاد منظمتان : الاولى يسارية خاضعة لسلطة اليسار ، انضم اليها لأسفنا الشديد قسم من رجالنا ، والثانية « المنظمة العسكرية القومية في ارض اسرائيل التي تواصل مهامها النضالية من اجل شرف الأمة وحياة الامة في انبعاثها . اننا نؤمن برسالة الحزكة وقدرتها على بعث الاستقلال الكامل في الحدود التاريخية للدولة العبرية .... »[١٠٩] .

وهكذا ، حدث الانشقاق في « المنظمة ب » قبل التوقيع على اتفاق الوحدة بثلاثة ايام . وقبل ذلك بفترة قصيرة ، كانت حالة من التوتر تسيطر على العناصر ، حيث شهدت المنظمة حوادث عدة مصحوبة بالتهديد بالسلاح ، مما دفع باترسون ، الضابط السابق لكتيبة البغال الصهيونية ، الى التوجه برسالة الى جبوتنسكي يطلب فيها منه « اسداء النصيحة لرجالك للحفاظ على برودة الاعصاب والهدوء ، وعدم القيام بشيء من شأنه الحاق الضرر بالقضية اليهودية وبقضيتك »[١١٠] . وكان من نتائج مناشدة جبوتنسكي انصاره بعدم حرق الجسور مع فريق تهومي وحتى مع منظمة الهجناه ، وتخوف قادة جناحي المنظمة من ضبط تفاقم الخلافات بينهما وتحولها الى اشتباكات دموية ، اتفاق الطرفين على اجراء استفتاء في ٢٤ نيسان ١٩٣٧ حول الاندماج في منظمة الهجناه . ومن الجدير بالذكر ، ان اهمية الاستفتاء لا تكمن في مسألة تقرير مصير المنظمة فحسب وانما ايضاً في مسألة اقتسام اسلحتها . ولذا فقد نظر الطرفان ببالغ الاهمية الى نتائجه ، ربما كان هذا من اسباب عدم اجراء الاستفتاء في الوقت المقرر له . فقد تأجلت عملية الاستفتاء في بعض الفروع وتعطلت في فروع اخرى . وقد تباينت تقديرات المصادر الصهيونية حول تقدير نسبة المؤيدين والمعارضين للوحدة وحتى حول عدد المنضمين لمنظمة الهجناه ، ففي الوقت الذي اشارت فيه مصادر الحركة العمالية الى انضمام قرابة ١٨٠٠ عنصر الى المنظمة ، بعد الاستفتاء ، من مجموع ٣٠٠٠ عنصر ، اشارت اوساط الحركة التصحيحية الى ان الذين ايدوا تهومي يشكلون ٣٥٪ بينما يشكل المعارضون له نسبة ٦٥٪[١١١] . والامر الذي لا يختلف عليه الطرفان ، هو انضمام الاكثرية الساحقة من قيادة المنظمة ورؤساء فروعها ، الى فريق تهومي . ومع ان هذا الواقع يبدو وكأنه تعزيز لمكانة تهومي المستقبلية داخل

الهجناه ، الا انه كان يحمل ، بين ثناياه ، عوامل خلافات أثرت كثيراً على مستقبل تهومي نفسه ، فعند اقتراب فترة الشهور التسعة من نهايتها واسعداد فريق تهومي للاندماج بمنظمة الهجناه ، لم ينفذ المسؤولون عن المنظمة وعداً قطعوه على انفسهم بتعيين احد انصار تهومي قائداً لاحد الفروع ، تحت تأثير ضغوط واحتجاجات عدد كبير من ضباط الهجناه ضد مكافأة « المنشقين » بتعيينهم في مراكز حساسة[١١٢] ، الامر الذي دفع ابراهام تهومي الى تقديم « استقالته » بعد ان ناشد جماعته ودعاهم للاندماج الكلي في منظمة الهجناه ، وتسليمها مستودعات الاسلحة . وبذلك غدت منظمة الهجناه ، مع دخول فريق تهومي اليها ، تضم قرابة ٢١ الف عضو من بينهم حوالى اربعة آلاف امرأة ، وتمتلك حوالى ٢٣٠ مدفعاً رشاشاً و ٤٥٠٠ بندقية وحوالى عشرة الاف مسدس[١١٣] .

ومن الجدير بالذكر ، ان ابراهام تهومي اعتزل ، بعد « استقالته » ، العمل في المنظمات العسكرية الصهيونية ، وغادر بعد عام فلسطين الى الولايات المتحدة ليستقر فيها عند اهله .

اما انصار الحركة التصحيحية في « المنظمة ب » وعلى رأسهم موشي روزنبرغ ، ودافيد رزيئيل وابراهام شتيرن فقد نشطوا ، اثر صدور بيانهم بخصوص الانشقاق ، في مجال تشكيل قيادة جديدة[١١٤] ، فتم تعيين روزنبرغ في منصب « رئيس القيادة » ، وانتخب كاعضاء قيادة ، شتيرن (سكرتير) ورزيئيل (قائد القدس) الى جانب عضوين آخرين . كما وعُيّن في منصب « القائد الرئيسي » روبيرت بيتكر الرئيس السابق لحركة « بيطار » في الصين .

اصدر هؤلاء في اواخر نيسان ١٩٣٧ « مبادىء » لتسترشد بها المنظمة الجديدة ، هي :

« أ ـ مصير الشعب اليهودي يحسم بقوة السلاح العبري فوق ارض الوطن .

« ب ـ تعتبر « اتسل » كل يهودي يؤيد هذا الهدف حليفاً لها .

« جـ ـ ترى « اتسل » في كل شخص ينتمي الى أمة اخرى ويعترف بحق الشعب اليهودي بالاستقلال في وطنه ، حليفاً لها » .[١١٥]

ومن الجدير بالذكر ان فريق الجناح التصحيحي قرّر تسمية المنظمة الجديدة بـ« الارجون تسفائي لئومي » (المنظمة العسكرية القومية) كاسم وحيد لها ، ثم تبنى بعد ذلك ، بناء على توصية جبوتنسكي ، اسم « اتسل » لها ، وهو مجموعة الاحرف الاولى لـ « ارجون تسفائي لئومي » .

---

(١) تلمي مناحيم وآخرون ، « **مقاتلو الحرية في اسرائيل** » (لوحامي هحوفيش بيسرائيل) ، تل ـ ابيب ، اصدار فريدمان ، ١٩٥٥ ، ص ١٩ .

(٢) **المصدر نفسه** ،ص ١٩ .

(٣) **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ .

(٤) نيف دوف ، « **تاريخ المنظمة العسكرية القومية اتسل** ، » (معرخوت هارجون هتسفائي هليئومي) تل ـ ابيب ، اصدار كلاوزنر، ١٩٦٥، الجزء الاول ، ص ٤٥ .

(٥) تلمي مناحيم وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٦) بن ـ تسيون دينور وآخرون (تحرير) ، « **كتاب تاريخ الهجناه** » (سيفر تولدوت هجناه) ، تل ـ ابيب اصدار : معرخوت ، الطبعة

السادسة أ ـ الجزء الاول (المجلد الاول)، ١٩٧٣، ص٤١٧ ـ ٤١٨ .

(٧) هديني عيفر ، « **شعب في حربه** » (عام بملحمتو) ، تل ـ ابيب ، اصدار يوسف شربرك ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ ، ص ١٨ .

(٨) لوبوتسكي بنيامين ، « **الحركة التصحيحية وبيطار** » (هشاهر او فيتار) ، القدس ، اصدار معهد الثقافة الصهيونية ، ١٩٤٦ ، ص ٢ .

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ٨ .

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ١٥ .

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ١٦ . ورد في نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزءالاول ،ان عدد افراد الكتيبة ٦٥٠ شخصاً

(١٢) هديني عيفر ،**مصدر سبق ذكره**، ص ٢٥ .

(١٣) **المصدر نفسه** ، ص ٣٧ .

(١٤) بن ـ تسيون دينور وآخرون (تحرير) ، **مصدر سبق ذكره** . الطبعة الثالثة ١٩٧٣ ، الجزء الثاني (المجلد الثاني) ، ص ٤٥٤ .

(١٥) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٦٢

(١٦) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الاول ، ص ٤٦٢ .

(١٧) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٦٢ .

(١٨) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٦٥ .

(١٩) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٢٠) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٦٦ .

(٢١) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٦٧ .

(٢٢) هديني عيفر ،**مصدر سبق ذكره** ،ص١٤٦ .

(٢٣) **المصدر نفسه** ، ص ١٤٧ .

(٢٤) لوبوتسكي بنيامين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤ .

(٢٥) **المصدر نفسه** ، ص ٤ .

(٢٦) ميلشتاين اوري ، « **بالدم والنار يهودا** » (بدام فأش يهودا) ، تل ـ أبيب ، اصدار لفين افشتاين ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ ، ص ٤٤ .

(٢٧) هديني عيفر ،**مصدر سبق ذكره** ،ص١٦٨ .

(٢٨) **المصدر نفسه** ، ص ١٧٠ .

(٢٩) بن تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثاني ، ص ٦٦٧ .

(٣٠) بن ـ يهودا وآخرون (تحرير) ، « **النضال من اجل الامن والاستقلال** » (همأفاك لفيتحون اوليعتسمأوون) ،رمات جان ، اصدار مساده ، ١٩٧٤ ، ص ٥٨ .

(٣١) هديني عيفر ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٨٠

(٣٢) بن ـ يهودا وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦٠ .

(٣٣) **المصدر نفسه** ، ص ٦٠ .

(٣٤) **المصدر نفسه** ، ص ٦١ .

(٣٥) بن ـ تسيون دينور وآخرون (تحرير) ، **مصدر سبق ذكره** ، ب ـ الجزء الاول (المجلد الثالث) ، ص ٢٥٠ .

(٣٦) بن ـ يهودا وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ،ص ٦١ .

(٣٧) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦٢١ .

(٣٨) تلمي افرايم ، « **حروب اسرائيل** » (ملحموت يسرائيل). تل ـ ابيب ، اصدار دافار ، ١٩٧٥ ، ص ٨٦ .

(٣٩) **المصدر نفسه** ، ص ٨٤ .

(٤٠) ميلستاين أوري ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٨ .

(٤١) **المصدر نفسه** ، ص ٤٨ .

(٤٢) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٦١٢ .

(٤٣) لوبوتسكي بنيامين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨ .

(٤٤) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٦٢٢ .

(٤٥) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٦١٣ .

(٤٦) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٦٢٢ .

(٤٧) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٦٢٢ .

(٤٨) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٣٠ .

(٤٩) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٢١٩ .

(٥٠) تلمي افرايم ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٢٤ . وكذلك ، بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٢١٩ .

(٥١) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٣٣ .

(٥٢) تلمي افرايم ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٢٦ .

(٥٣) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق**

ذكره ، المجلد الثالث ، ص ٢٢٣ .
(٥٤) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٤٩ .
(٥٥) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٤٧ .
(٥٦) للتوسع : بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٦ .
(٥٧) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٤٢٥ .
(٥٨) ميلشتاين اوري ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٥ .
(٥٩) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٤٢٧ .
(٦٠) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٤٢٦ .
(٦١) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٦٠ .
(٦٢) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٣٠ .
(٦٣) انظر صورة زنكوغرافية لمذكرة للاستقالة «غير المؤرخة» ، نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٦١ .
(٦٤) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٦٣
(٦٥) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٦٣
(٦٦) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٦٣ .
(٦٧) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٥٧٥ .
(٦٨) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٥٧٥ .
(٦٩) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٦٣ .
(٧٠) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٥٧٧ .
(٧١) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٧٦ .
(٧٢) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٧٦ .
(٧٣) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٧٦ .
(٧٤) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٧٩ . بينما جاء في بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٤٩٥ ان آبا ـ احيمئير اقام « عصبة الاشداء » عام ١٩٣١ . ويبدو أن العصبة كانت في ذلك الوقت في طور التكوين .
(٧٥) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٨٠ .
(٧٦) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٩٧ .
(٧٧) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ١٩٩ .
(٧٨) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٤٩٧ .
(٧٩) لوبوتسكي بنيامين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .
(٨٠) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٣
(٨١) بيلع موشيه (جمع واعداد) ، « **عالم جبوتنسكي** » (عولمو شل جبوتنسكي) تل ـ ابيب ، اصدار : دبوسيم، ١٩٧٢ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٨٢) **المصدر نفسه** ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٨٣) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٩٣ .
(٨٤) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ١٩٤ .
(٨٥) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الثالث ، ص ٥٧٩ .
(٨٦) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٥٨١ .
(٨٧) **المصدر نفسه** ، المجلد الثالث ، ص ٥٨١ .
(٨٨) تلمي مناحيم وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٧١ .
(٨٩) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، الطبعة السادسة ١٩٧٣ ب ـ الجزء الثاني (المجلد الرابع) ص ٨٤٩ .
(٩٠) لوبوتسكي بنيامين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٥٤ .
(٩١) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
(٩٢) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٧٢٤ .
(٩٣) **المصدر نفسه** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٥ .
(٩٤) **المصدر نفسه** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٤
(٩٥) **المصدر نفسه** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٦ .
(٩٦) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٨٩ .
(٩٧) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٦ .
(٩٨) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٨٩ .
(٩٩) **المصدر نفسه** ، الجزء الأول ، ص ٢٨٣ .
(١٠٠) انظر النص الكامل للاتفاق في **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(١٠١) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٢٨٤ .
(١٠٢) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٦ ـ ٧٢٨ .
(١٠٣) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٨٩ .
(١٠٤) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٩ .
(١٠٥) انظر نص الرسالة في نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٩٢ .
(١٠٦) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٢٩٣ .
(١٠٧) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٢٩٧ .
(١٠٨) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٦ . وكذلك نيف دوف، **مصدر سبق ذكره**، الجزء الاول، ص ٢٨٤
(١٠٩) انظر النص الكامل للبيان : نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٩٨
(١١٠) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، ص ٧٣١ .
(١١١) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٢٩٩ .
(١١٢) بن ـ تسيون دينور وآخرون ، **مصدر سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، ص ٧٢٨ .
(١١٣) **المصدر نفسه** ، المجلد الرابع ، ص ٧٣٣ .
(١١٤) نيف دوف ، **مصدر سبق ذكره** ، الجزء الاول ، ص ٣٠١ .
(١١٥) **المصدر نفسه** ، الجزء الاول ، ص ٣٠١ .

د. حسني محمود حسين

بدايات شعر المقاومة الفلسطينية في مرحلة الانتداب

مدخل لدراسة شعر المقاومة الفلسطينية

كانت* منشورات الجيش البريطاني « الى الضباط والجنود العرب ، في الجيش التركي في فلسطين »التي تعلن ، لهم ، محالفة الشريف حسين ، وترحب بصداقتهم ، وكذلك كانت منشورات الشريف نفسه « الى جميع العرب وسواهم من الضباط والرجال الموجودين في الجيش العثماني » التي تدعوهم الى الالتحاق بجيش الثورة ، كان ذلك كله بمثابة مواقد نار تبعث الدفء في قلوب اهل البلاد ، والأمن والطمأنينة في نفوسهم خلال شتاء حكم الاتراك الزمهرير ، وخريف اضطهادهم الرهيب ؛ ولكم اصطلت قلوب المقرورين على دفء وعود تلك المنشورات وآمالهم فيها ، وهي تنفض عنهم برود الهلع والرهبة التي ظلوا يتدثرون بها في ظل الشعور المخيف الذي ظل يخيم على البلاد منذ حركة اعدام احرار العرب في ٦ أيار (مايو) عام ١٩١٥ ، « حتى لم يكن احد يجسر على التكلم او البحث في الشؤون السياسية ، أو اظهار الاسف على شهداء العربية »[١] . وامام انتعاش الناس بآمال الخلاص لم يكن يدور في خلد أحد من مناصري الثورة العربية[٢] ومؤازريها ، او من شباب العرب ، وهم يهربون من الجيش التركي ليلتحقوا بجيش الثورة العربية ، ان حلفاءهم سيغدرون بهم وسيتفقون على تقسيم بلادهم وتوزيعها غنائم حرب فيما بينهم ، دون ان يلقوا بالاً الى حلفائهم العرب ورفقة السلاح معهم في هذه الحرب ، والى آمالهم في الاستقلال والوحدة كما كانوا قد اتفقوا عليها معهم . وخلال الفترة الاخيرة من الحرب كانت بريطانيا قد اتفقت سراً مع فرنسا ، في معاهدة سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦ ، على تقسيم بلاد الشام والعراق فيما بينهما . وكذلك كانت ، منذ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ ، قد منحت الصهيونية العالمية حق انشاء وطن قومي لها في فلسطين بمقتضى تصريح بلفور ، وعدا ممن لا يملك لمن لا يستحق .

وهكذا انتهت الحرب العالمية الاولى ، بانتصار الحلفاء والعرب ، وفي مطمح الزعامة العربية ، تدغدغها آمال الاستقلال والوحدة من خلال المشاركة في معارك الحرب ، ان تشارك في افراح النصر والبهجة . اما عامة الناس ، في فلسطين ، فاننا نتعرف على موقفهم من خلال ما

* تتمة الدراسة المنشورة في العدد ١٠٤ من «**شؤون فلسطينية**» ، ص ١٢٠.

يكتبه خليل السكاكيني ، في مذكراته المعاصرة للاحتلال حول الموقف « منذ اخذت الحكومة العثمانية تنسحب من القدس ، والجيش الانجليزي على الابواب ، فقد اختلفت اراء الناس حول مصير فلسطين » فبعضهم يراها ستصير انجليزية ، وبعضهم يرى انها ستلتحق بمصر ، بينما يرى البعض الآخر انها ستصير حرة . وفي الوقت الذي يتأسف البعض على العهد العثماني ويتخوف من العهد الجديد ، وبخاصة بعض المسلمين الذين يرون ان ذهاب الدولة ضربة على الإسلام وان دخول الانجليز يعزز النصرانية ويعلي شأن الصليب ، يوجد فريق من المسيحيين « الصعاليك » ينتظرون مجيء الانجليز لتعتز النصرانية ، فيشمخوا بانوفهم وقد كانوا بالامس اذل من وتد »[٣] . ومهما يكن من شأن هذا الانقسام والشعور بالضياع في مثل هذه الفترة الانتقالية في حياة البلدان السياسية ، فان الموقف الارجح والمتمشي مع الاتجاه العام لتيار الحركة العربية ، كان ناقما على الاتراك ويرى ان البلاد كانت بالامس حائرة صاغرة ، ذلت للترك دهرا كما تذل فتاة قاصرة[٤] .

ولذلك فليس غريبا ان يتشفى البعض بهزيمة الاتراك ، ويستقبلوا ببراءة ، جيوش الفتح (الاحتلال) الانجليزية ، التي لقيت عون الاهالي ومساعداتهم وودهم ، بالترحيب والاستبشار . واذا عرفنا احوال البلاد السيئة التي آلت اليها إبان الحرب ، فانه يمكننا ان نتصور كيف كان الناس أيامها يحتفون في سائر المدن بدخول الحلفاء ، وبأية براءة كانوا يحتفلون (بالنصر والاحتلال) معا ، حتى ان بعض شعرائهم نظموا القصائد ترحيباً (بالحلفاء) وتشفياً بالاتراك . فهذا الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي ، كأنه يقف على رأس اجتماع شعبي يردد باسلوب بسيط ساذج متأثر باسلوب العامة في احتفالات الموالد والاجتماعات الدينية ، فيقول في تخميس مؤلف من ست وثلاثين تخميسة وبعنوان « رويدا ايها المدفع » ، بعد ان بين مظالم الاتراك وغدر حكامهم :

فتاة القدس طوباك ... بشير الخير وافاك
لواء السعد والاك ... وجيش العز باراك

فحيي الجيش والمدفع

أيا بنت الشآم كفى ... دعي التنديد والأسفا
زمان الذلة انصرفا ... وجاءات دولة الحلفا

لأخذ الثأر بالمدفع

بني التاميز قد فزتم ... وبالانقاذ قد جئتم
بلاد القدس شرفتم ... فاهلا اينما كنتم

وسهلا فيكُمُ اجمع

بلادي اليوم تستند ... عليكم ايها العُمَدُ
على اخلاصها اعتمدوا ... وفي استقلالها اجتهدوا

بذا نحيا بذا نقنع[٥]

ولا يظنن احد ان موقف شاعرنا نابع من كونه نصرانياً ، فقد شارك ، بعد انكشاف امر الانكليز وافتضاح استعمارهم ، في مقاومة الانتداب وما جره من ويلات الصهيونية على فلسطين ، كما نرى في بعض نماذج شعره ، فيما بعد . ولكن كل ما في الامر ان غالبية العرب كانت قد نقمت على الاتراك لظلمهم ، فرحبوا باعدائهم بصفتهم منقذين ، وشجعهم على ذلك تحالف الشريف حسين معهم واعلانه الثورة الى جانبهم . وخدعتهم اعلانات الحلفاء ووعودهم ، ومبادىء ويلسون في الحرية والاستقلال ، فلم يكن الامر مقصورا على المسيحيين في هذه البلاد ، اذ ان غالبية الزعامات العربية التي انضمت الى الشريف كانت من المسلمين . وهذا الشيخ علي الريماوي[٦] الذي كان احد اعضاء البَعثة التعليمية التي سيرها جمال باشا الى (فروق) عاصمة السلطنة في ايلول عام ١٩١٥ ، لتؤكد للترك عواطف العرب القديمة ، ولتكون داعية نصر ، وتنقل الاخبار الى الاقطار العربية ، له خلال هذه الرحلة شعر كثير في مدح رجالات السلطنة ، وجمعية الاتحاد والترقي[٧] ، نسمعه يستجير بالملك جورج في عيد ميلاده يوم ٣ حزيران (يونيه) ، ١٩١٨ ، فيقول معبرا عن الموقف العام من بريطانيا :

العرب انت رجاؤها ... والعرب ليس لها سواك
حالفتها فرضاؤها ... فيما تشاء لها رضاك
فأعِد لها تاريخها ... ذاك القديم ، فقد دعاك[٨]

فنحن نحس ان شعور بعض الناس ازاء بريطانيا ، في هذه الفترة المبكرة من الاحتلال ، شبيه بشعور الاسير نحو من خلصه من اسره ، فكانوا ينظرون اليها كدولة عظمى ، تتظاهر بالحرية وتدعي انقاذ الشعوب وصداقتها ، فلم تدخل فلسطين غازية كما دخلت مصر مثلا ، بل دخلت متظاهرة بصداقة العرب والتحالف معهم ، مما خدع الناس وضللهم عن نواياها الحقيقية فترة من الزمن ظلت تستغل خلالها ، الثقة بها ، كأن الناس ظلوا يحسبون تصرفاتها ، بحكم طبيعة الفترة في اعقاب الحرب ، وانه يمكن مواجهتها بفيض الإحتجاجات لردها الى الطريق السوي ، مما جعل المقاومة العربية الحقيقية تتأخر بضع سنين بعد الاحتلال . وكانت بريطانيا بعد ان تيقنت من النصر ، وقبل اتمام احتلال فلسطين ، قد اصدرت تصريح بلفور في ١٩١٧/١١/٢ ، وعدا مخلصا بالعطف على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبذلك لم تكن تسدل أستاراً على آخر الحروب الصليبية كما أعلن ابنها ، القائد اللنبي ، عند دخوله القدس في نهاية عام ١٩١٧ ، وانما كانت ترفع الستار عن فصل سيطول تمثيله على مسرح الاراضي المقدسة ، تدور احداثه حول غزوة صهيونية أُعِّد لها ، بمشاركة بريطانيا ، بإحكام وتنسيق كاملين . ومن هنا كانت نظرتها الى حلفائها العرب وكأنهم اعداء ، في الوقت الذي تحولت فيه الحكومة الى آلة صماء في يد اليهود الذين اصبحوا يعتقدون ، في هذا الدور ، : « انهم اصحاب البلاد ، وان العرب ليسوا الا ضيوفا لا حقوق سياسية لهم فيها ؛ فاذا اختاروا البقاء في فلسطين ، ففي ذمام اليهود ... بل مِنَ اليهود مَنْ عَجِبَ كيف لم يقوِّض العربُ خيامهم ويرحلوا ، ومنهم من عتب على الحكومة انها تبذل شيئا من العنَاية بالصحة العامة ، وكان من رأيه ان يترك العرب وشأنهم الى ان ينقرضوا ...[٩] . وعن مثل هذا نقرأ لوديع البستاني ، في مقطوعة قصيرة ساخرة بعنوان « جنة اليهود » ، على على اعتبار فلسطين « ارض الميعاد » حسب معتقداتهم

الدينية التي تخلو من النص عن حشر وقيامة او عن جنة او سماء ، قوله على لسان مناد بالنصارى والمسلمين ان :

لكُمُ جنـة فـهبـوا اليـهـا وسمـاء فشمـروا للصعـود
وفلسطـين لليهود اتـركـوهـا فهي دار الخلود عند اليهود[١٠]

وارجأت الحكومة البريطانية ، في حينه ، اعلان تصريح بلفور رسميا ، تجنبا لأي احتكاك يؤثر على الحركات العسكرية في البلاد المفتوحة حديثا ، وظل دون اعلان رسمي حتى ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٢٠ ، حين اذاعه الحاكم العسكري العام (بولز) فأحدث استياءً كبيرا ، وكان العرب قد علموا باخبار التصريح من خلال مصادر الدعاوة الالمانية والتركية التي نشرته وعممته في تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧ .

في البداية لم يعره العرب ادنى اهتمام لانهم كانوا من الضعف والاعياء في حال لا يقدرون معها على الاهتمام بشيء ، فهم لا يزالون حتى ذلك الوقت محكومين بالتخلف الحياتي الذي ران على البلاد طوال حقبة الزمن الماضية ، وبالضعف العام الذي رافق الحرب وتلاها ، وبالنوايا الطيبة والأمل الساذج في بريطانيا الحليفة . ثم ان زعماءهم ، وعلى رأسهم الشريف حسين وابنه فيصل ، شغلوا بما شغل به المجتمع الدولي ، في ذلك الوقت ، بمؤتمر الصلح وبتسوية واقع ما بعد الحرب .

هذه الظروف ، مع ما اكتنفها من مناورات وسياسات الوعود والتسويف ، كانت بمثابة الضباب المؤمل أو الغشاء الخادع الذي حجب الرؤية الصحيحة عن الناس وخلق المناخ المناسب لانماء روح الخدر والتواكل في انفسهم . ومما يذكر في هذا الصدد ، انه في هذه الفترة قامت في بريطانيا جماعة من اللوردات وموظفي الحكومة ، محاولة خلق موازنة ضد ما جاء في وعد بلفور ، ولكن عبثا . وقد كان في نشاط هؤلاء ما جلب الضرر على عرب فلسطين ، اذ غرس فيهم الاوهام ، على امل ان هناك امكانية (كذا) لإلغاء الوعد المذكور[١١] ، الذي قدروا انه اشبه بالحلم والخيال منه بالحقيقة . ولكن عندما تبين لهم ، فيما بعد ، ارتباطه العملي باطماع الصهيونية وبدأوا يحسون آثار هذا الارتباط على البلاد ، اضحى التنديد به من البنود المهمة التي تدرج باستمرار ضمن مطالبهم ومقررات مؤتمراتهم ، فانعكست معارضته من خلال المظاهرات والاحتجاجات والمؤتمرات التي اعلنت كلها استنكاره ومعارضة الارتباطات البريطانية بالصهيونية ، ووقف الشعب موقفا صلبا انصفته تقارير المبعوثين البريطانيين الى حكومتهم ، الامر الذي جعلها تعزل فيما بعد عددا منهم .

ونحن اذا تصورنا اوضاع فلسطين كما وصفناها ، وعرفنا نفسية اهلها وموقفهم من (الحليف) الذي لم يتبينوا غدره بعد ، واذا عرفنا ان نشاطاتهم السياسية والوطنية اقتصرت في البداية على مساعدة قوات الثورة العربية والحلفاء . وانها كانت ، من قبل ، وما زالت حتى ذلك الوقت ، جزءا من الحركة العربية العامة ، التي تبنت الثورة وعقيدتها ، حيث كان لكثيرين من شبابهم ادوار بارزة فيها . اذا تصورنا ذلك كله ، ادركنا انه لم يكن سهلا تشكيل تنظيمات سياسية فعالة في بداية الاحتلال[١٢] ، وقد كان الصدام مع الصهيونية العامل الاهم في خلق الشخصية الفلسطينية منذ اواخر العقد الثاني من هذا القرن . فنمت هذه الشخصية على امل

واحد هو الحفاظ على عروبة فلسطين ضد الاطماع الصهيونية . وقد غلب الطابع السلمي على اساليب المقاومة في الفترة الاولى فلم تتعدّ المظاهرات والاحتجاجات والمؤتمرات وايفاد الوفود ، وغير ذلك من الاساليب المشابهة ، الا ما كان ، في بعض الاحيان ، من اضطرابات كانت تنقلب عن مظاهرات تصطدم بعناصر الصهاينة ثم تمتد الاشتباكات فيها إلى الشرطة وجنود الانتداب ... ولربما اتسع بعض هذه الاصطدامات وامتد ساعات ، بل واياما ، احيانا ، ولكنها لم تكن على اية حال ، سياسة ثابتة لدى المقاومين . وظلت هذه النظرة تحكم الحركة الوطنية حتى قيام حركة الشيخ عز الدين القسام ، في منتصف الثلاثينات ، حيث تغيرت من بعدها الامور . وقد يكمن تفسير هذا الاتجاه ، اولا ، في كون قادة الحركة الوطنية من طبقة « الافندية » فعلا ، وهذا النمط من المقاومة اكثر ملاءمة لاستعداداتهم . وثانيا ، في اعتبار بريطانيا ، حتى ذلك الوقت ، وكأنها حكم ، حقيقة ، بين العنصرين المتصارعين .. وقد عملت هي من جانبها ، وبخبث ماكر ، على تثبيت هذا الاعتقاد محكومة بنظرتين : نظرتها الى ارتباطها الحقيقي بالصهيونية وما تراه من تلاحم مصالحها معها،فعقدت النية الصادقة على تنفيذ اتفاقاتها ، ونظرتها الى العرب بكل الاستهانة والاستخفاف ، فعقدت النية على خيانة وعودهم لاعتبارها إياهم « قوما صحراويين لا قيمة لهم ، وانهم سوف يقنعون ببعض التوكيدات والضمانات التي تعطيها لهم،فان لم يقتنعوا ، فقد يقومون في البداية ببعض الشغب ولكن سرعان ما يعودون الى صوابهم ويخلدون للسكينة بعد ان يروا رأس العصا على غرار قبائل الحدود الشمالية الغربية في الهند[١٣] » .

وفي هذه الفترة المبكرة من الاحتلال ، لم نظفر من شعرائنا المشايخ بما ينبىء عن ادراك احد منهم لحقيقة الموقف وخطورته ، ولدور الشاعر فيه ، ولكن من اللافت للنظر حقا ، ان نحس بالتجاوب السريع لهذا الواقع في نفس الشاعر العربي وديع البستاني ، اللبناني المولد والعشيرة ، الفلسطيني الاقامة والتوطن والذي قضى اكثر من ثلاثين عاما في فلسطين ، ووضع ديوانا كاملا في قضيتها اسما، (الفلسطينيات) .

وصل وديع يافا في آخر اسبوع من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ ، وعمل مستشارا بمثابة كبير الموظفين بعد الكولونيل (بركر) فكان يرى غرفة ، في سراي يافا ، كتب على بابها « الجمعية اليهودية ـ الرئيس الملازم مكروري » فرأى في هذه الغرفة نواة الدولة اليهودية . وفي هذه الابيات التي سجلها في ١٩١٧/١١/٣٠ صورة لما ابداه ، في حينه ، من مشورة :

تريدونها جدا وجدا اقولها ... من اليوم سرا ان أردتمُ أو جهرا
فتحنا لكم صدرا مددنا لكم يدا ... واني لاخشى ان تديروا لنا ظهرا
عرفت طريق الهند من باب طارق ... الى عدن عبر القناة ولا نكرا
فان تحسبونا الجسر يبنيه عابر ... فلا تهدموه في الطريق لكم جسرا
ارى هوة تزداد عمقا سحيقة ... على عدوة انتم ونحن على الاخرى
ارى الوطن القوميَّ يعلو بناؤه ... ارى غرفة في القصر تحجبه قصرا
وذكرهم ذكر ولست مسيطرا ... مخافة يوم فيه لا تنفع الذكرى[١٤]

فالشاعر محام قانوني ، وضع كتابه « الانتداب الفلسطيني باطل ومحال » ، وهو من البداية ، بل من اول خطوة يقدر نهاية الطريق ، ويتحقق « ما وراء الاكمة » فيقدم استشارته خالصة ، وفي وقت مبكر ، محذرا ومذكرا قبل الا تنفع الذكرى . ونحن نستشف الاخلاص في دعوته كما نستشف قوة القانون وروحه في لغته ولهجته وهو في كليهما رصين صارم ، وقف بالمرصاد لكل حركات الصهاينة يكشفها ويفضح اطماع اصحابها ونواياهم الخبيثة المبيتة . ومنذ بداية الاحتلال برز غول الصهيونية وتجسدت اخطاره في عقر الدار ، وجاءت نذر هذه الاخطار مبكرة ، تمثلت في بعثة وايزمن في ابريل (نيسان) ١٩١٨ ، التي قدمت الى البلاد قبل اكمال احتلالها لدراسة اوضاعها وتهيئتها لحكمهم واطماعهم ولإسداء المشورة للحكم العسكري في ذلك ، وللعمل على تأليف بعض تشكيلات المسلحين لحماية مستعمراتهم ، الامر الذي استفز العرب وجعلهم يتبينون ما وراء تصريح بلفور . وكان وايزمن قد التقى في دار الحكومة بيافا مع اعيان العرب فيها وردد امامهم ، « على الناعم » ، اطماع الصهيونية في فلسطين كوطن قومي يعودون اليه بشوق عظيم . فقال البستاني قصيدته « الخطبة الخرساء » بتاريخ ١٩١٨/٥/٨ في وصف ذلك الاجتماع الرسمي ، وسميت بذلك « لأن الزعيم الصهيوني سكت ، واطرق ، ولم يفه بكلمة عندما سأله المؤلف : ما المراد باللفظتين الانكليزيتين ؟ (ترجمتهما الوطن القومي) تعريفا وتحديدا به ، وكان الزعيم قد اصر أن يكون المؤلف المترجم لبيانه ... » وفي ختام القصيدة يقول :

وخطبته الخرساء عندي جوابها ... وما هال قاضي المسلمين غشاشها
اذا هبت الانواء فالهطل هطلنا ... وليس ليروى الارض منكم رشاشها
متى حان للاقوام يوم حسابها ... يهولكمُ الهندي ان جاش جأشها
وعدوا النصارى مسلمين او اعكسوا ... وخط النجاشي ما محته حباشها
الى النار نار البيت والبيت بيتنا ... تريدونه عشواً وانتم فراشها[١٥]

وبعد انتهاء الحرب التي ظل الصهيونيون يعملون خلالها كالمناجذ تحت وجه الارض ، دخلت الحركة الصهيونية فترة الانتداب البريطاني مجهزة بالجهاز الاداري وبالقاعدة التربوية ، اذ انشأت المنظمة الصهيونية الدائرة التربوية للاشراف على المدارس اليهودية وتولي شؤونها ، والتزمت كلها بطابع موحد يهدف الى هدفين هما : شيوع الروح اليهودية في جميع الموضوعات ، والتركيز على الناحية العملية وتقدير العمل اليدوي واحترامه . واعتمدت المنظمة الصهيونية التعليم وسيلة فعالة لترسيخ قواعد الوطن القومي من الناحية الفكرية والثقافية والعلمية ، فعملت مؤسساتها التعليمية على نشر اللغة العبرية والثقافة اليهودية . ولقيت هذه المؤسسات ، منذ البداية ، كل اهتمامها وعنايتها ، وكان للجامعة العبرية في القدس ومعهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا ، دور أساسي في توطيد دعائم هذا الوطن وبناء قواعد الدولة من الناحيتين الفكرية والعلمية والعملية الصناعية . وفي يوم ١٩١٨/٧/٢٤ وضع الصهيونيون ، في احتفال كبير ، اثني عشر حجرا (عدد الاسباط) اساسا للجامعة العبرية في القدس ووضع كل من مطران الانجليز (مكنس) ومفتي القدس (الشيخ كامل الحسيني) حجرا ، مما أغاظ البستاني وأثار حفيظته ، فوجه سؤالاً جارحاً الى المفتي فيه فطنة وذكاء بمقدار ما فيه من اثارة وتوعية على حقيقة الخطر الذي ستشتعل ناره يوما لتحدق بالوطن كله ، يقول في سؤاله :

افتنـي بـالله بـالكـعبـة بـالحجـر الاسـود بـالـركـن الاغـر !
ان علـت في عـزّهـا شـامخـة فـوق رأس الطـور تلـهـو بـالـعبـر
وغـدت جـامـعـة عبـريـة ونـهـى الحـاخـام فيـهـا وأمر
ايقـول الشيـخ والقس اتئـد ان للمطـران والمفتـي حجـر [١٦]

ومن الغريب حقا ان يبدر مثل هذا التصرف من مفتي البلاد ، خصوصاً وان اخطار الصهيونية كانت قد ظهرت بوادرها منذ بدأت قوافل الرواد الصهاينة في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر ، تغزو البلاد بأموالها وتقيم فيها المستعمرات والمستوطنات للمهاجرين اليهود[١٧] ، ثم اصبحت نواياهم اكثر افتضاحا ، وخاصة لرجل في مقام المفتي ، بعد تصريح بلفور وبعثة وايزمن . والأنكى من ذلك انه ، في هذه الفترة ، بدأت تتجسم اطماع الصهيونية في مكان المسجد الاقصى ، وروجوا لذلك بما راحوا ينشرونه من صور للمسجد يعلوه العلم الصهيوني والكتابات العبرية ومن صور لهيكل سليمان مكانه ، وكذلك بما يعرضون من اسعار مغرية لشراء الاراضي ، مما اثار هواجس الاهالي ومخاوفهم ، فنقرأ احتجاجاً مقدماً من عرب حيفا ضد سياسة الوطن القومي اليهودي مؤرخاً في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، فيه اشارة الى ما نشرته جرائد الاتراك ، قبيل الاحتلال ، عن مستقبل فلسطين ووعد بريطانيا لليهود بتأسيس مملكة يهودية فيها ، غير أننا نتبين فيه ، كذلك ، حسن النية البلهاء ، اذ يقول : « ان الدول المتحالفة لم تخض غمار هذه الحرب الا لتحرير الشعوب والمحافظة على حقوق الضعيف ، ونحن نعترف ان لها اليد البيضاء بمساعدة العرب على انقاذهم من مظالم الاتراك ومنحهم الحرية والاستقلال ..... ولاعتقادنا ان الحلفاء الذين حررونا من رق الاتراك ، لا يمنحونا الحرية والاستقلال بيمينهم ويناولون بشمالهم السم الزعاف الذي يقضي على كياننا ويقتل قوميتنا وينزع منا بلادنا الموروثة بدماء الاجداد » [١٨].

وقد ظل هذا التفكير القصير النظر يسم فكر هذه الطبقة من الوجهاء ويوجه سياستها طوال فترة العشرينات تقريبا ؛ وقد برز ذلك في مقررات جميع المؤتمرات الوطنية التي عقدتها من ١٩١٩ حتى ١٩٢٨ التي ، وان ظلت تلح فيها على فكرة الاستقلال والوحدة العربية والحياة النيابية واستنكار تصريح بلفور ورفض الانتداب وفكرة الوطن القومي اليهودي ، فانها ظلت كذلك تقيم علاقاتها بسلطات الانتداب على اساس الاعتقاد بمبادىء بريطانيا السامية التي ترغب في تطبيقها في العراق وشرق الاردن ، وعلى اساس تأييد المودة المتأصلة بين بريطانيا والأمة العربية اللتين تربطهما مصالح عظيمة . وبذلك تحولت قضية الاستعمار البريطاني ، في نظر الحركة الوطنية ، الى قضية شرف « بدلا من ان تكون قضية مفهوم اقتصادي ـ سياسي تشكل الصهيونية احدى « ظواهره » فالصهيونية هي توطين فئات أوروبية في الارض العربية ضماناً لمصالح الاستعمار في المنطقة وخوفا من نمو الوعي القومي الاجتماعي لدى الجماهير العربية الذي قد يطيح مستقبلا بمركزها[١٩] . ولربما كانت البرجوازية تتحاشى الموقف القائم على هذا المفهوم الثوري لاحساسها بانه يضر بمصالحها المرتبطة بمصالح الاستعمار ، والقائمة على تبادل المنفعة معها ، في اطار نظام اقتصاد الخدمات الذي خلقه الاستعمار في البلاد ، باحالتها الى سوق استهلاكية لمنتوجاته ومصنوعاته . ولم يكن اقدر من الفلاح الفلسطيني على ادراك هذا المفهوم بابسط اشكاله ، فقد ادرك في اعقاب الحرب انه الضحية الاولى للاستيطان الاستعماري

الصهيوني الذي رآه يطرده من ارضه التي تحمل جور العثمانيين ورضخ لمظالمهم في سبيل الاحتفاظ بها عن آبائه واجداده ، فهي عائله الوحيد ، ومن خلالها يرى مستقبله ومستقبل احفاده . ولذلك لم يكن غريبا ان يظهر تمسكه بها ، فيقاوم اعتداءات الصهيونية ومحاولات طرده من الارض التي باعها كبار الملاك والاقطاعيين ، فكان الفلاحون يرفضون اوامر الحكومة بطردهم من تلك الاراضي ، وقام بعضهم بتأليف بعض العصابات والحركات المسلحة وراحوا يهاجمون بعض المستعمرات الصهيونية وقدموا في سبيل ذلك مئـات الشهداء والضحايا .

وكان مما يثير الحماسة ، في هذه الفترة ، دخول الجيوش العربية دمشق سنة ١٩٢٠ ، واعلان الدولة العربية فيها لفترة قصيرة ، وفي ظل هذا التفكير اصبحت سنة ١٩٢٠ سنة اختناق بالنسبة للحركة الوطنية في فلسطين ، بعد انهيار الحكم العربي الفيصلي في دمشق وظهور المملكة العراقية وامارة شرق الاردن ، فبرزت سياسة فلسطين محددة ومنفصلة ، اذ بدأ الشعب العربي الفلسطيني ، بعد ذلك مكرهاً ، بالمطالبة بالحكم الذاتي في فلسطين وبتأسيس حكومة وطنية تكون مسؤولة امام مجلس نيابي . فقد كان عرب فلسطين يشعرون منذ ابتداء الحكم العسكري ، وبتهيب ، بخطر الانفصال عن الوطن الام ، سوريا ، وكان يؤلمهم شعورهم بمجابهة المصائب التي تبدو لهم في الافق ، وقد اختصوا بها ، وحدهم ، ثم بدأت نوايا الاستعمار البريطاني تتكشف ، اكثر فاكثر ، فنسمع وزير الخارجية البريطانية اللورد كيرزون يعلن في مجلس اللوردات « ان من الخطأ ان نفترض ان الانتداب تفويض من عصبة الامم لبعض الدول بادارة شؤون بعض المناطق لفترة محدودة ، اذ انه في الواقع أمر يدخل في نطاق اختصاص الدول التي غزت هذه البلاد والتي لها وحدها حق اقتسامها » .[٢٠] ثم اعلنت الحكومة في ٢٠ شباط (فبراير) ، من هذا العام ، قرار مجلس الحلفاء بانتداب بريطانيا ودمج تصريح بلفور الذي اعلنته آنئذ رسميا في معاهدة الصلح مع تركيا ، وفي صك الانتداب . وفي مطلع الصيف جولت الاحتلال العسكري المؤقت الى احتلال مدني دائم ، في سبيل اتخاذ التدابير لتأسيس وطن قومي للشعب اليهودي ، على مراحل ، وعُينٍ يهودي صهيوني ، معروف بنشاطاته الواسعة في سبيل انشاء هذا الوطن هو : (هربرت صموئيل) ، اول مندوب سام في فلسطين . وكان اول تصريح له ، امام كبار موظفي الحكومة من الانجليز «ان سياسة حكومة جلالته التي جاء لتطبيقها هي تشجيع اليهود على ان تصبح السيطرة لهم على البلاد ، ويمكن انشاء حكومة يهودية »[٢١] .

وبدأت الادارة الجديدة فعلا بتقديم خدماتها للصهيونيين بتسهيل بيع الاراضي لهم والضغط على الفلاح العربي في سبيل ذلك ، وفتح ابواب الهجرة والتجنس امام اليهود ، وبتعيين كبار الموظفين منهم ، خصوصا ، في المناصب الحساسة ، وباعتبار اللغة العبرية لغة رسمية في البلاد وكتابتها على المسكوكات ، وبمنح اليهود الامتيازات الصناعية الضخمة ، وتشجيع صناعاتهم مع محاربة المصنوعات العربية . واعترفت الادارة كذلك باللجنة الصهيونية وبالوكالة اليهودية كمؤسستين رسميتين كأنهما حكومتان اضافيتان في دولة واحدة .

وعلى هذا النمط ، بدأت سلطات الانتداب تطبق سياسة حكومتها في لندن ، فكانت تحرم العرب من انشاء اية سلطة او جهاز اداري نيابي يمثل الشعب تمثيلا حقيقيا ، او يقوم بدور نافع

يدربهم على حكم انفسهم بانفسهم في المستقبل ، في الوقت الذي راحت فيه تعطي كل الصلاحيات الى السلطات الصهيونية واجهزتها المختلفة اعدادا لمستقبل الدولة المرتقبة . واقتصرت في تعاملها مع العرب على تلهيتهم بالمجالس البلدية ولعبة انتخاباتها ، واطلقت عليها وعلى المجالس المحلية تسمية (الحكم الذاتي) مبالغة في رفع قيمتها في اعين الناس . وليتها منحتها الحرية والعدالة ، فبينما نراها تعتني بالمجالس البلدية اليهودية وتهتم بشؤونها ، نراها تهمل المجالس البلدية العربية وتميل بثقلها مع اليهود في مجالس البلديات المشتركة دون ان تقيم وزنا للاكثرية العربية ولا للحقوق الانتخابية ، كما ففعلت بالمجلس البلدي بحيفا ويقول البستاني منبها الناس الى ذلك كأنه يحرك في انفسهم جذوة نار الحق وإرادة الفعل :

منك الفعالُ ومنا القول والهذرُ ... فافعل وفعلك لا يبقي ولا يذر
ما ضر قومي وقد ماتت قلوبُهُمُ ... وها القيامة قد قامت اذا قبروا
الله اكبر ما اغنت ولا درأت ... شرا ولا السمع اغناهم ولا البصر
ان رحت تسلبهم حقاً وقد قدروا ... ان يخسروه فلم تسلب ولا خسروا
ما الاكثرية الا فعلها واذا ... ما قلَّ قلَّت فلا شأن ولا خطر(٢٢)

ولعله لا بأس في اعتمادنا على شعر البستاني في هذه الفترة التي عز فيها الحصول على شعر غيره ، وامامنا ديوانه ـ الفلسطينيات ـ يشبه ان يكون سجلا لكبريات الحوادث او لما له منها دلالة خاصة ، ولأهم التطورات الفكرية في فلسطين . فمن يتتبع التواريخ المثبتة تجاه العناوين في قصائده الفلسطينيات يتبين مدى التحام شعره بقضية فلسطين العربية الدامية ، منذ تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، اذ كان انصرافه لها انصرافا تدل عليه هذه الفلسطينيات ماهية ومدى . والحق انه شاعر خصيب الوجدان ، يقظ العقل ، واعي الضمير ، اتصل بحياة فلسطين السياسية اتصالا وثيقا ، فجاء ديوانه سجلا واضحا يبدو فيه تجاوب الشعر في فلسطين مع احداثها القومية ، وقد خبر خفاياها فلم يبخل على اهلها بالتوعية والتحذير . ومن امثلة ذلك قصيدته في « الرد على الرصافي » ولها قصة نوجزها فيما يلي :

كان رئيس بلدية القدس قد دعا في أواخر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٠ الى احتفال حضره المندوب السامي ، وقد القى أحد اليهود (الاستاذ يهودا) كلمة اتى فيها الى ذكر بعض مآثر العرب وافضالهم ، وثنّى المندوب السامي على ذلك « فصدق ما للعرب من تالد العلى ، وما لهم في العلم من خالد الذكر » . فقام معروف الرصافي ، على عادة الشعراء التقليديين ، يكيل المديح والاعجاب بالخطبتين ، فجعل من المندوب بدرا يحف به الحفل في ليلة محاق كادت تكون ، على علاتها ، ليلة القدر . وراح ، وقد اخطأ وضل ، ونسي او تناسى ظروف فلسطين السياسية يدفع عن العرب تهمة معاداة بني اسرائيل :

وكيف وهم اعمامنا واليهمُ ... يمت باسماعيل ، قدما ، بنوفهر
واني ارى العربي للعرب ينتمي ... قريبا من العبري ينمى الى العبر

فتلقفت دار الحكومة قصيدة الشاعر واخذت موافقته على نشرها في الجرائد المحلية ووجهت نسخة من القصيدة مع خطاب مؤرخ في ١٩٢٠/١٢/٢٩ الى صاحب جريدة (الكرمل) بحيفا تطلب نشر القصيدة في جريدته . وابى السيد نجيب نصار ، صاحب الكرمل ، ان ينشر

قصيدة الرصافي ، إلا مردفة برد شاف . فكتب وديع قصيدته التي مطلعها :

خطاب « يهودا » ام عجاب من السحر وقول الرصافي ام كذاب من الشعر

فآثر صاحب الكرمل ان يلام على تخلفه عن نشر بلاغ الحكومة على ان يؤاخذ على نشر الرد . فظفر بالبلاغ وبالرد مراسل جريدة « الف باء » الدمشقية فارسلهما الى جريدته . ولما علم السيد هواري (ابن هراري باشا من كبار يهود مصر) بذلك ، رغب الى البستاني ان يحول دون نشره ، وكان هراري المستشار الاقتصادي لحكومة فلسطين ، وبينه وبين الشاعر (وهو يومذاك سكرتير لغرفة التجارة) شأن خطير . فابرق البستاني الى صاحب « الف باء » يرجو اليه عدم النشر ، ولكن صاحب الجريدة احترم الصداقة شهراً آثر بعده ان يحترم حرية الصحافة ، فنشر ... وكشف ما استتر . وكانت النتيجة ان فارق شاعر العراق وفلسطين مضطرا مختارا وذلك ان شبان فلسطين قاموا يهجونه على صفحات جرائد فلسطين ، ولم تكن ردودهم محدودة بحد . ويقول البستاني في رده على الرصافي :

اجل عابر الاردنّ كان ابن عمنا ولكننا نرتاب في عابر البحر
ايهجر اوربا ليبنيَ (بيته على قبة ما بين مهدي والقبر
اصليت في الاقصى صباحا وفي المسا عشوت مع العاشين للرسم والذكر

وبعد ان يأتي على ذكر بلاء العرب في الحرب وخيانة الحلفاء بتقسيم بلادهم وتقطيع اوصالها يقول :

وقِفْ بي على الاردن وقفة تائهٍ فتهديك اقوال الضفادع في النهر
تنَق : بغَرْب الماء مُلكٌ وشرقه ممالك ، بئس الكبر من ذلك الصغر
وقِفْ بي على الطور المقدس وقفة نجاوز فيها عالم البحر والبر
هنالك للقبر الكريم كنيسةٌ تذكرنا صلب المسيح مدى الدهر
هنالك للاسلام اول قبلة هنالك سر والحقيقة بالجهر
فهيكلكم يا للكرامة مسجد وفيه نصلي في العشية والفجر
فما بالكم تبكون خلف جداره وتذرون هاتيك الدموع على الصخر !

ثم يخاطب هربرت صموئيل :

انؤمن في بلفور بعد محمد وعيسى وموسى والوزير من الوزر
وربك : لا : فالوحي في الذكر صادق يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر
فما بالهم تاهوا وضلوا وضللوا ولم يفقهوا ما جاء في حكمة السفر
« اورشليم » دار الحشر والنشر : حولها تقومون في يوم القيامة والحشر (٢٣)

وهكذا كان وديع يمثل بشعره تيارا وطنيا يقظا راح يغسل به ادران النفوس وينبت فيها بذور الوعي على احوال البلاد ومواقف الاستعمار من العرب وجلبه الخطر الصهيوني الى عقر دارهم . فهو في سخرية واعية هادفة ، يعلن ارتيابه من عابري البحر من المتاجرين الصهيونيين

القادمين ، ليبنوا وطنا قوميا على انقاض المسجد الاقصى وكنيستي المهد والقيامة بمعاونة الحكومة البريطانية اعتمادا على تصريحها بلسان بلفور ... وبذلك يجمع عرب البلاد مسلميهم ومسيحييهم للدفاع عن مقدساتهم وتراثهم في الاراضي المقدسة . وقد شارك الشاعر منذ سنة ١٩١٩ في اظهار احتفالات المولد النبوي بمظهر قومي في حيفا وسائر مدن فلسطين ، حتى اصبح العيد شعبيا ، تسير فيه المواكب عربية صرفا ، يحضرها الرؤساء الروحيون فضلا عن اعيان النصارى دون ان يحضرها احد من اليهود[٢٤] .

ولا بد لنا من ان نكبر الدور الذي قام به الشاعر بوعي واستنارة منذ وقت مبكر ، حتى لنراه مرفوعا على اكتاف المتظاهرين يوم ١٩٢١/٣/٢٨ احتجاجا على تصريح بلفور في وجه المستر تشرشل ، وزير المستعمرات آنئذ ، وكانت الجماهير تردد وراء شاعرنا نشيده الحماسي المثير الذي نحس فيه بأثر الروح الشعبية الصلبة ، وبالحماسة الوطنية ، وبالدعوة الدينية الموحدة الجامعة بين المسلمين والمسيحيين في الاراضي المقدسة . وقد خضع فيه لمعطيات الموقف فجاء نشيده الطويل مجزّأً في وحدات صغيرة لكل منها قافية موحدة ، ليناسب مخاطبة الجماهير وترديدها له وراء الشاعر ، قائد المظاهرة ، ومنه :

يا للنصارى والمسلمين ... لمن تركتم فلسطين
نمتم فقوموا باسم الدين
هذي بلادي ام البلاد ... مثوى اجدادي والاحفاد
ما للاعادي فيها زاد
قدست ارضا روحي فداها ... ولست ارضى لي سواها
اموت فرضا في هواها
ربي موحد دين صحيح ... والارض معبد للتسبيح
يا قوم احمد والمسيح
الله الله الله الله ... الله الله الله [٢٥]

ونحن ندرك ان الناس بدأوا يتنبهون الى خطر الانتداب البريطاني ورعايته اهداف الصهيونية وحمايته لها ، وموقفه ضد العرب ، وان بدا في دور حامي الامن والسلام ، خصوصا ، بعد اضطرابات القدس في نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠ واضطرابات يافا في اول ايار (مايو) سنة ١٩٢١ .

ففي هذا الوقت ، نرى اسكندر الخوري البيتجالي يتململ فيه حس الوعي على الواقع الظالم الذي قام بقدوم بريطانيا وانتدابها ، فيبدو ، في هذه الفترة ، حائرا مرتبكا ، كانه لا يريد ان يصدق دور « الحليف » الذي بدأ يستشعره امام بصره وفي بصيرته من خلال مرارة الواقع المشاهد ، الامر الذي صدم فكره وآماله واحاسيسه ؛ فهو في صيدة « عيد الزهور » التي نظمها اثر الاضطرابات ، وقد صادف وقوعها يوم عيد الزهور اول ايار (مايو) ، يقول ، مدفوعا بنية طيبة وبروح ساذجة :

في فلسطين كان عيدا ولكن ... عيد قتلٍ وفتنة وشرور
واضطراب وضجة وعويل ... بدل الرقص والهنا والحبور

ألـهـذا عيـد الـزهـور اقمتـم ألـهـذا أُقيـم عيـد الـزهـور ؟
نحـن قبـلا عشنـا جميـعـا بـرغـدٍ واتفـاق لـم نـدر مـعنـى النفـور
عـاش حـاخـامهم وعـاشـت شيـوخ بسـلام كـذاك عـاش الخـوري
فلمـاذا هـذا النفـور ؟ ولـم لـم يتـأنّ في وعـده (بلفـوري)

فهو يحس بالتغيير الذي لف البلاد ، ولكنه يخشى أن يضع يده على موضع الالم ، فلا يقدر على التعمق في معرفة أسباب الأوجاع ، اذ يقصر حسه عن سبر اغوارها ، كأنه لا يزال يعتقد أن في الامكان أن تتراجع بريطانيا عن مخططاتها ، بمجرد مشاهدة بعض مظاهر الشرور وبقع الدماء تسيل على ارض الشارع ، فيقول مخاطبا أهل السلطة :

أيها السادة الألى يحكمونا وبـأيـديـهُـم زمـام الامـور
حسبنا ما نرى وما سنراه في فلسطين من ضروب الشرور

وبطبيعة الحال ، فنحن لا نرى أن هذا الشعر ، يرقى الى مستوى المقاومة ، سواء في مضمونه أم في بنائه وشكله الفني . ويكفينا أن نرى فيه تحركا من الشاعر ، في فترة نحس بتجمد الشعر وأصحابه خلالها ، فنستشف منه موقفا في هذه الفترة المبكرة من عهد الانتداب البريطاني التي هي أشبه ما تكون بفترة انتقال سياسي تتدرج معالمها في الاتضاح مع الأيام وتطور الأحداث . فالشاعر ، بالرغم من « تخوفه من الموت غما ان لم يبح بهذه النفثة » ، لا يجعلنا نحس بتجربة عميقة لديه في هذا الموقف ، وإنما كل ما يتبدى على السطح عواطف باردة واحساس عقلي متبلد حجر عليه صاحبه في اطار التفكير المجرد والمطلق في شرور الحرب العامة وويلاتها ، ثم في قفص الآمال التي لا تزال تراوده في دعوة الحلفاء الى الحرية وحقوق الغير ، دون أن يقف على خصوصية واحدة من خصوصيات الأحداث الدامية التي شهدتها يافاوقراهـا المسالمة ضمن الاراضي المقدسة ، وأثر مثل هذه الخصوصية في نفسه ووقعها في بيئته وعلى الناس من حوله ، بل على العكس فلربما بدا اهتمامه باحوال « سائرالمعمور » ومآسيها أقوى من اهتمامه بأحوال يافا ومأساة أهلها :

أفبعد الحرب الكبيرة حرب وقتال أيا رجال النور ؟
أو لم يكف ما مضى من حروب لم يثرها سوى سبيل الغرور ؟
أو لم تشرعوا السيوف دفاعا عن حقوق المظلوم والمغدور ؟
أو لم تسمعوا انين الثكالى أو لم تنظروا دموع الفقير ؟
فلم المذبحات في كل يوم عندنا بل بسـائـر المعمور ؟

ثم هو ، وبدلا من أن يكون داعية في بني قومه الى الاهتمام بظروفهم والاشتغال في سياسة بلدهم والتنبه لما يحاك لها من دسائس ومخططات استعمارية ، نراه يتبنى دعوة الاستعمار والرجعية والزعامة التقليدية بالتفرغ للأعمال المعيشية والابتعاد عن الاهتمام بالسياسة ، هذه الدعوة التي قد تصلح في مجتمع راق متحضر ، ترسخت فيه جذور الحرية والديمقراطية ، ونمت اشجار الثقة بين الحاكم والمحكوم ، فهو يقول نافضا يده من تبعات (مغامرته) في الحديث عن موضوعه :

لست يا قوم للسياسة اهلا إنما تلك نفثة المصدور
انا لو لم ابح بها مت غما لا رعى الله يوم عيد الزهور[٢٦]

ولكن الشاعر لا يستطيع ، هو نفسه ، أن يطبق دعوته هذه في بلد المقدسات ، وقد اخذ الاستعمار يحرق اطرافها، وراح يحوك حوله حبائله التي جهد في أن يعطيها الشرعية في موتمر سان ريمو (١٩٢٠) وفي معاهدة سيفر (١٩٢٢)، بالموافقة على انتداب بريطانيا على فلسطين واقرار تصريح بلفور وتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي، وبذلك تقدمت فكرة العمل بإنشاء هذا الوطن، خطوة جديدة الى الامام باضفاء شرعية دولية عليه. فاثر توقيع المعاهدة، وجد شاعرنا نفسه في خضم احداث جديدة وضعته، وجهاً لوجه، امام مسؤوليات وطنية لا يمكنه التهرب من تحمل اعبائها، فنظم قصيدته «ذهب اللهو » دون ان يستطيع التخلص فيها من روح المحافظة الفنية، اذ سار على النمط التقليدي في تجريده (هنداً) يخاطبها،فيعيد على اسماعها اخبار ايام الصفو والهناء التي حل بدلاً منها تحكم الاجانب فبخسوا الشرق حقه، اذ رموه بدواهي السياسة وطغيان الزمان، ثم يطلب اليها التنبه الى الغرب وعهوده البالية، ويذكر بأيام عز العرب ايام كان الغربي غرا جهولا، ويتساءل مستغرباً-:

فعلام اليوم الغزاة استبدوا او ما كنا دولة غازية

ويشير الى دور العرب في الحرب ضد سلطانهم ودول المحور ، ويرى أن الزمان قد أصبح خبيثاً ، اذ سادت فيه وحوشه الضارية ، ويدعو الى سياسة الدهاء والقوة والفداء التي لا بد للعرب من انتهاجها في سبيل حياة كريمة ، فيخاطب فتاته :

أبلغي العرب أنهم لن ينالوا الحق الا ما بعزمة ماضيه
أبلغيهم أن لا احترام لقوم ليس فيهم شبيبة فاديه[٢٧]

وينصرف شاعرنا في هذه الآونة الى وضع ثلاثة أناشيد[٢٨] وطنية لبعض أنديه القدس ، فيبث في هذه الأناشيد روح القوة وحب الوطن وافتداء الأرض ، أرض الديانات السماوية ، ويحث على الوحدة الوطنية ، بين المسلمين والمسيحيين ، ليقف الجميع أمام أطماع الأغداء ، وليعيدوا تاريخ العروبة وأمجادها في هذه البلاد . ويلاحظ أنه يركز في نشيدين منها على الاتحاد وعلى تعليم المرأة ، لترقية الوطن والشرق بعامة . ونشيد « بلادي ما احيلاها » أفضل هذه الأناشيد وأخفها على السمع ، فيه حركة وفيه انسجام وتسلسل وتناسق . وتتسم الأناشيد ، بمجموعها ، بروح وطنية صادقة اضفت عليها شيئا من عاطفة الشاعر التي نفتقدها كثيرا في قصائده .

وفي هذه السنة ، وبعد اعلان الانتداب البريطاني ، طفقت حكومة الانتداب تعمل على ترسيخ جذور « الوطن القومي » في البلاد ، فأصدرت الكتاب الابيض مفسرا لتصريح بلفور ومتضمنا معنى ترقية الوطن القومي اليهودي وسياسة تطبيقه « زيادة في الطائفة اليهودية » بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم حتى تصبح (فلسطين) مركزا يكون فيه

للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية ، ولكن كي يكون للطائفة اليهودية امل وطيد في تقدمها الحر ، ويُفسح للشعب اليهودي مجال واف يظهرُ فيه مقدرته ، كان من الضروري ان يعلم أن وجوده في فلسطين هو « كحق وليس كمنة » . وذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي ضمانا دوليا والاعتراف رسميا بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة [٢٩] . وفي هذه السنة ايضا صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في ١٤ آب (اغسطس) ، مرسوم دستور فلسطين ، فكان « قانونا قاسيا للعقوبات ، وكان لائحة ممتدة من صك الانتداب لتنظيم عملية التهويد ، وكان اطلاقا لليد الحمراء الرسمية تعمل كل ما يبدو لها من اجرام في سبيل التهويد دون رادع من دستور او خوف من قانون ، بل في حماية دستور لا يلتزم بالعدالة في معناها المتوارث » [٣٠] . وعلى هذا درجت حكومة جلالته ، فلم تعر مطالب العرب الدائمة ، بتشكيل مؤسسات الحكم الذاتي المنصوص عنها في الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من صك عصبة الامم ، والمادة الثالثة من صك الانتداب ، أيَّ اهتمام ، فقد ادارت البلاد كاحدى مستعمراتها، اذ مارست السلطتين التشريعية والتنفيذية بوساطة المندوب السامي وضباط ادارته ، بعد ان فشلت كل مشروعاتها التي عرضتها في سبيل تطوير وهمي للحكم الذاتي ، وشغلت بها الحركة الوطنية في بداية العشرينات ؛ وكانت قد عرضت على العرب فكرة المجلس التشريعي عام ١٩٢٢ ، ثم فكرة المجلس الاستشاري واخيرا فكرة « الوكالة العربية » [٣١] في مقابل الوكالة اليهودية ، ولكن بفارق ، تجريد العرب من حقوق الأكثرية ومزاياها الطبيعية المشروعة ، ودون ان يكون لكل هذه المشروعات أية سلطة حقيقية ، ولذلك كانت محل معارضة العرب الذين زاد في نقمتهم احساسهم بتعاظم خطر الهجرة اليهودية وازدياد حجم الاراضي التي تتسرب الى اليهود بتسهيل الحكومة ، فسادت موجة من خيبة الامل غمرت مشاعر الناس وانفسهم حتى انهم راحوا يستعيدون ايام الاتراك ويتندمون عليها [٣٢] . وتحت تأثير هذه الحال نظم وديع البستاني في تشرين الثاني قصيدته « إنه اللّه ـ يحب العربا » ، ومطلعها :

وجب الحب وقلبي وجبا ... يا بلادي ، وقضى ما وجبا

ومنها :

يا بلادي انت لي كل المنى ... وبموتي فيك اقضي الاربا
يشتكي قوميَ من يوم اتى ... بعد امس طاب لما ذهبا
انكروا السيد فيهم حاكما ... فاتاهم حاكما منتدبا
فمتى يخرج فيهم مصطفى ... يرغم الدهر اذا الدهر ابى
ليس يستجدي الليالي حقه ... انما يسلبها ما سلبا

وهذه نبرة جديدة على الشعر في عهد الانتداب ، فيها دعوة الى القوة ، وفيها بيان للناس في حب الاوطان والفداء في سبيلها . ويبلغ عنايته في دعوته الجديدة المثيرة عندما يقول :

واذا ما غصب الدهر فلا ... تلتمس من كفه ما غضبا
قم الى سيفك واضربه ولُمْ ... ضعف يمناك اذا السيف نبا

وهو ، وان نحا في مطلع قصيدته منحى تقليديا ، حاكى فيه القدماء ، فلعب بالألفاظ ، وذكر ، كالمجنون ، ليلاه ، وختم القصيدة بذلك ، الا انه ظل واقعيا واعيا موقفه فلم يطغ التقليد على روح الشاعر وخصوصية الموقف ، بل على العكس ، اذ انه استخدم ، بوعي ، سمة التقليد هذه وسخرها لخدمة موقفه وفنه :

واذا غنيت ليلى في النوى بعدما غيرك ليلاك سبى
فعلى رسلك يا مجنونها انما انت تغني كذبا (٣٣)

والحق أن الحركة الوطنية في فلسطين ظلت ، منذ الاحتلال ، تتوجه مباشرة ، في صلب نضالها نحو الحركة الصهيونية ومقاومة تصريح بلفور وسياسة الوطن القومي اليهودي ، متخذة من مقاومة اخطار الصهيونية محور عملها وذلك بسبب ما احسه الاهالي من هذه الاخطار المباشرة ، وفي وقت مبكر ، منذ بدء عمليات الاستيطان وتملك الاراضي وغمر الهجرة اليهودية التي كانت ترد قوافلها على البلاد ؛ وبسبب اساليب الاستعمار البارعة في توجيه حركة هذا الاتجاه بتخويف الطرفين كل من الاخر ، والتظاهر بالقيام بدور المحامي العادل الذي لا يستغنى عنه في هذه المعادلة بين الشعبين على وطن واحد ، وساعد على ذلك رواسب المجتمع المتخلف وضعف الحركة الوطنية ، خصوصا ، بعد القضاء على الدولة العربية في دمشق واحتلال جيوش الحلفاء لكل من سوريا والعراق وانشغال كل منهما منفرداً بمقارعة الاستعمار وجيوشه المحتلة . وكان هذا صحيحا في عمومه ، ولكننا مع ذلك نرى بدايات تنبه الحركة الوطنية على موقف الاستعمار الحقيقي ، وبدايات التململ من تحت ضغوطه وتوجيهه ، فيخرج المؤتمر الوطني الفلسطيني السادس المنعقد في يافا عام ١٩٢٣ بقرارات ، من جملتها وجوب الامتناع عن دفع الضرائب ، مما كان له اثر كبير في شل حركة السلطة ، ورأى الانجليز في ذلك ، حتى من كان منهم يشجع العرب على مصاولة اليهود ، احتمالات بعيدة المدى ضد السياسة والمصالح الانجليزية مباشرة . وربما كان موقف الحركة الوطنية هذا بمثابة الجنين في هذه الفترة ، لكننا نرى الشعر سابقا على الحركة الوطنية فيه ، فمن خلال ما عرضنا من شعر نحس ببدايات لمس الشعراء فيها وتر الاستعمار والانتداب ونبهوا الى ضرورة الحذر من اخطارهما ودعوا الى مقاومة هذه الاخطار . ويمكننا ان نقع على هذا الموقف بشكل اكثر صراحة في قصيدة (لا وصاية ولا انتداب ولا انتخاب) لوديع البستاني ، وكانت البلاد قد قاطعت الانتخاب للمجلس التشريعي الابتر والاعرج الذي عرض فيما سمي الدستور (لسنة ١٩٢٢) ، وما هو الا « أمر الملك بمجلسه الخاص » القائم على الانتداب ، القائم على الوطن القومي اليهودي . وهي القصيدة التي مطلعها :

ارى حربا ولست ارى حِرابا وحبل السلم يضطرب اضطرابا

ومنها في مجابهة اصحاب الانتداب وانكار وصايتهم واغتصابهم :

وقد قلبوا المجنّ لنا وباتوا وقد غلظوا فاغلظنا الجوابا
وانكرنا وصايتهم علينا وقد جعلوا بوادرها اغتصابا
ولم نندبهم للامر فينا وقد حكموا وسموه انتدابا

ومنـوا انـهـم قـد حـررونـا اذا ملكـوا المـرافق والـرقـابـا
اتـونـا يحملـون لـهـم وطـابـا ولكن بئس مـا مـلأوا الـوطـابـا

وفي معارضة طبخة الدستور وما تقرر فيها من انتخابات شكلية ، وفي آثار الانتداب المدمرة يقول :

ودسـوا السم في الدستـور دسـاً فمـا ذقنـا الطعـام ولا الشـرابـا
ارادوا الانتخـاب ولـم نـرده فقـاطـعنـاه وانقطـع انتخـابـا
وحسبـهـم مـن السنـوات خمس سلخنـاهـا بصحبتهم صـعـابـا
ولا سلـم ولا حـرب ولكـن عمـار قلوبنـا امسى خرابـا [٣٤]

ومن الطبيعي الا يسمح الاستعمار لهذا الجنين بالنمو ، وهو المتنبه لتطور الحركة الوطنية ، يرقبها بكل انتباه وحذر ، فسرعان ما أحاطه بجو مسمم فاسد يقتل فيه كل امل في الحياة والتطور ، اذ عمد الى بث روح التناحر والهاب نيران الشقاق والفتنة بين الزعامات العربية ، وهي مهيأة سلفا لمثل هذا الدور ، لتأصل العصبية القلبية التي تقوم في فلسطين على اساس النزاع العربي بين القيسية واليمنية [٣٥] ، وتعكس تقاليد هذا النزاع البالية حياة الوجاهة الاقطاعية في فلسطين ، التي وجدت في البلديات والمجلس الاسلامي الاعلى وفي الاحزاب مجال التناحر والتطاحن الذي لا طائل من ورائه للوطن ، حيث لا نكاد نرى شيئا يشغل اهل البلاد منذ عام ١٩٢٤ اكثر من خلافاتهم المحلية وتناحرهم الحزبي ، وكلاهما كان صراعا شخصيا وعائليا على كراسي الزعامة والوجاهة اكثر منه خلافا على وجهة نظر وطنية ، اذ يكاد العمل الوطني يكون نسياً منسيا في خضم الخلافات والتكتلات الأسرية ، مما اتاح الفرصة امام دعاة التعاون مع سلطات الانتداب الى الاعلان عن انفسهم وكشف وجوههم علنا حتى في بناء علاقات لهم مع الصهاينة ، وكان الانجليز قد فطنوا الى لعبة الكراسي ، لدى الزعامات العربية ، وخططوا لها منذ وقت مبكر ، فعند الاحتلال ، ابقى الجنرال اللنبي (موسى كاظم الحسيني) رئيسا لبلدية القدس ، ولكنه نحاه عن هذا المركز عام ١٩٢٠ بسبب اشتراكه في مظاهرات القدس ، في هذا العام ، وخطابته في الجماهير ، وعين بدلا منه (راغب النشا شيبي) ، مستغلا في ذلك التنافس العائلي القديم بين الأسرتين منذ ايام العثمانيين . وفي سبيل خلق وضع متوازن بين احلاس السلطة الذين اعمتهم منازعاتهم في لعبة الكراسي هذه ، عين المندوب السامي عام ١٩٢١ (الحاج امين الحسيني) مفتياً لفلسطين ، مراضاة لأسرته ، وصقلا لقيد الوظيفة ، وتنفيسا لغضب الشعب بعد اضطرابات يافا في أيار (مايو) من هذا العام .

ومنذ بداية العشرينات ، خرجت سلطات الانتداب ببعض صنائعها ، على شكل احزاب موالية لها ، عملا على تفتيت الوحدة الوطنية وضرب حركتها . ففي عام ١٩٢١ ، شكلت الجمعيات الاسلامية الوطنية ، في حيفا ويافا والقدس ، مقابل الجمعيات الاسلامية المسيحية ، واعلن القائمون عليها موافقتهم على الانتداب وكان لها صلة ببعض الصهاينة في فلسطين [٣٦] . وعام ١٩٢٣ تشكل الحزب الوطني ، وعقد اجتماعاته الاولى تحت حراسة سيارات الانتداب المصفحة ، وكان رئيسه الظاهر سليمان التاجي الفاروقي والمستتر راغب النشا شيبي ، وكان الحزب تجمعا عائلياً من طبقة اصحاب المصالح ، اكثر منه حزبا بالمعنى المفهوم ، وقد اعلن

سياسته على اساس (خذ وطالب) . ثم تشكلت عام ١٩٢٤ الاحزاب القروية او الاحزاب الزراعية التي سلكت سبيل التوجيه الاجتماعي ، في الوقت الذي ايدت فيه الانتداب ، ودعت الى التعاون العربي الصهيوني . ثم انشىء في اواخر نيسان (ابريل) عام ١٩٢٥ ، حزب الاهالي ، مظهرا جديدا من مظاهر العائلية في نابلس ، وكان هذا الحزب ، مثل غيره من الاحزاب ، مؤيداً لنفوذ القائمين عليه ولمصالحهم اكثر منه معضِّدا للحركة الوطنية [٣٧] . ونشط ، كذلك ، في هذه الفترة سماسرة بيع الاراضي ، فراحوا يعقدون الصفقات دونما خوف ، اذ خمدت الروح الوطنية . وتميز عام ١٩٢٤ عن سابقيه بالاستقرار الثابت والسلام العام ، الا ما كان من اصطراع الحركة الوطنية في داخلها ، حتى لم تعد قادرة على عقد مؤتمرها السابع الذي كان مفروضا ان يعقد في هذا العام ، وظل أمره معلقا حتى عام ١٩٢٨ . وكان طبيعيا ان يظهر بين الناس تيار الدعوة الى التصافي والتعاون بين الزعامات والقيادات ، تفانيا في سبيل القضية الوطنية . وكان هذا التيار قائما في معظمه على نوايا طيبة لدى المواطنين العاديين الذين لم يكونوا يدركون طبيعة زعاماتهم ونفسياتها ، وظنوا ان المسألة مجرد مسألة هداية ، وليست مسألة تكوين وبناء ثقافي ونفسي ، وان الوعظ والضغط قد يفيدان في رأب الصدع ، وتكتيل القيادات . ولن نعدم صوت الشعر ، من على هذه المنابر الوعظية ، اذ نراه يأخذ دوره ، فيضع شاعرنا الشيخ سليم ابو الاقبال اليعقوبي [٣٨] (حسان فلسطين) ، يده على موطن الداء ويشخص دور الانجليز في تأريث نار الفتنة وبناء « سياسة التفريق والتمزيق » ، وفي ابتلاء فلسطين بالصهيونية وغزوها بالبلشفيك من اليهود الروس :

عملت سياستهم على التفريق ... عمل ابن صهيون ، على التضييق
هم مزقوها اليوم ، كل ممزق ... والشر كل الشر في التمزيق
لا يربأون بامة عربية ... كانت تمدهم بألف صديق
غدروا بها غدر الزمان بشاعر ... حرٍ ، وغدر البؤس بالمنطيق
قالوا نحب العرب من عهد مضى ... حب الاديب لشعره المنسوق
كذبوا ، فدعوى الحب فرية كاذبٍ ... ما للعدى في حبنا من سوق
لو كان بين الغادرين وبينهم ... حب ، وان الحب خير رحيق
ما حكّموا في العرب اشقى امة ... خلقت ، وما خلقت لرتق فتوق
ففرت فلسطين البغاة ، بمدية ... ما كان اجدرها بفري النوق
والبعض منا غير مكترث بما ... يجري ، كأن الخطب غير حقيق
أو أنه - والمال ملء وفاضه ... منها - يرى بلفور رب حقوق
تا للّه ، ما بلفور ، والقوم الألى ... مرقوا من الانصاف شر مروق
الا كداء السل لا يبقى على ... مثر ، اذا ما جاءه ، ورموق [٣٩]

ونلمس بوضوح ، في هذا النظم ، أثر روح الجمود الفني ، والتقليد الباهت الذي يعبر عن وهن الموقف السياسي الباهت ، فهو ، وإن أثاره واقع الحال المرير فتناول بنظمه موضوع الساعة الوطني آنئذ ، فقد جال فيه بروح التقليد ، وبنظرة ابن العهد الماضي ، ولذلك جاءت افكاره الجزئية وكأنها اشلاء جامدة ولا حركة فيها ولا نفس ، وان جمعها اطار الموضوع الحي ،

وكذلك جاءت تشبيهاته وصوره باهتة لا حيوية فيها ولا ايحاء ، بل على العكس ، فهي تلحق بقارئها عدوى الفتور ، وان حسنت نوايا صاحبها ، فنظم قصيدة يحض فيها ، على نبذ الاحقاد والتنابذ والشقاق ويدعو الى الوحدة الوطنية ، حيث :

ان التحـاقـد والتنـا بذ والتشاقق لا يفيد [٤٠]

ويبدو ان الحال بلغت حدا من الهوان والضعف ابكت شاعرنا ، اسكندر الخوري ، فاستوحى من اوضاع عام ١٩٢٤ السيئة صورة حزينة باكية ، ولكنها مؤثرة وفاعلة في النفس من خلال عاطفة قوية تتبدى في انفعال فني صادق واحساس عميق بفداحة الخطب ، ومن خلال صحوة فكرية واعية ، وتنسيق فني موفق في تنظيم مقطوعات القصيدة وبث موسيقاها وتوزيعها على هذه المقطوعات واتساقها في سهولة مع الفاظ القصيدة البسيطة واساليبها التعبيرية المتنوعة الموزعة بين الإخبار والسؤال والخطاب ، الممزوج بينها كلها في فنية وبراعة ، قادت في النهاية الى باب الامل السعيد والغد المرجو . ولربما كانت هذه الدرجة من الفنية التي يبدو فيها شاعرنا غريبة عليه ، وقد خبرنا دواوين شعره . ولا يطول استغرابنا اذا عرفنا انه في قصيدته هذه (فعودي يا سما سلمى) انما يقلد ميخائيل نعيمة في قصيدته المؤثرة « اخي »[٤١] التي قالها في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وقد جاراه وزناً وتشكيلاً وتنسيقاً ، واستغل ذلك كله استغلالا جيدا في موضوعه ، يقول :

بكيت ولم ازل ابكي عـلى الدنيـا ومن فيهـا
فهـل تبكي هي سلمى على الـدنيـا واهليهـا
فقد بتنا كـوحش الغا ب يـأكل بعضنـا بعضا
وضاع الحق في الدنيـا وبات الغـالب الاقوى
نعم فلنبك يا سلمى
لقـد جفت ينـابيـع الـ ـوفـا واستفحـل الشـر
فكم جـان عـلى الاوط ـان غـر طبعـه الغـدر
وقد خلع العذار ولم يصن عهـدا ولا عرضـا
لقـد صمت بنا الـدنيا الا فلنبـك يـا سلمى
نعلم فلنبك يا سلمى
لقـد نمنـا فـلا عجب اذا جعنـا اذا متنـا
اذا الغـربي ارهقنـا فـلا عجب فقـد نمنـا
اذا بتنـا بـلا وطـن فـذاك لاننـا مـرضى
اذا لم تشف اخـلاق لنـا مـرضى نـوالهفي
على الاوطان يا سلمى [٤٢]

وهكذا تورط الناس في جو من المهاترات وانواع الصراع ، وجاءت انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى في عام ١٩٢٥ لتحـقق هذا الانقسام وتزيد في حدته ، وتقوي اندماج الناس فيه « بتأثير ما اعتادته فلسطين وما لم تنطقع صلتها به من حزبية القيسية واليمنية » ، وانقسموا الى مجلسية ومعارضة ، ونسوا او كادوا ينسون الحركة الوطنية .

«وهكذا كان في فلسطين عام ١٩٢٥ منظر كريه بائس ومحزن ومؤسف معا اختلط فيه الحابل بالنابل » ، وتساند فيه المخلص مع المغموز وفسدت فيه المقاييس وانحطت الاذواق والاخلاق وضاع المنطق والاذعان ، وتوطدت اكثر من اي وقت الحزبية الشخصية والمحلية العمياء حتى صارت هي الناظمة لصلات الناس ، ولم يظفر في هذه المعركة غير السلطات لانها حطمت الخطة الوطنية الثنائية او الخنثوية ، كما يسميها احد مؤرخي هذه الفترة ، اي فكرة التعاون مع الانجليز ، في الوظائف واللجان الرسمية وشبه الرسمية ، والمأجورة والفخرية . وعقد الصداقات والترويج لمطالبهم ومداراتهم مع معارضة الحركة الصهيونية (٤٣) . ولهذا كانت البلاد خلال عام ١٩٢٥ هادئة بدرجة غير عادية ، اذ تقوضت الحركة الوطنية او كادت ، حتى ان سكرتير اللجنة التنفيذية (٤٤) تقدم بمذكرة الى المندوب السامي مؤرخة في ١٩٢٥/٨/٣ يطلب فيها وضع دائرة الهجرة في يد نزيهة ومحايدة ، وكف يد الصهيونية عنها، وبذلك يكون قد اعترف بمبدأ الهجرة اليهودية الى فلسطين . ولربما كان من اسباب هذا الهدوء ، هدوء احوال الاقطار العربية المجاورة في هذه الفترة باستثناء سوريا وثورتها عام ١٩٢٥ ، وان ادت الى تدعيم الادارة في فلسطين ، لمحاولات فرنسا كبح جماح الثورة بزيادة اليقظة على الحدود ومنع لجوء الوطنيين الى فلسطين وشرق الاردن . وكان من اسباب هذا الهدوء ايضا « هبوط حدة الخوف العربي من الوطن القومي اليهودي بسبب الازمة التي انتابته ... ففي هذه الفترة بالذات ، اجتاحت اوروبا الشرقية ازمة اقتصادية انعكست في وقف نمو الوطن القومي اليهودي فتضاءلت الهجرة وتضخمت البطالة وزاد عدد المهاجرين من البلاد على عدد المهاجرين اليها (٤٥) . وقد عبر اسكندر الخوري عن هذه الفترة القلقة من تاريخ البلاد ، وعن تلك السلبية التي انتابت الحركة الوطنية ، في منتصف العشرينات بقصيدته ، « او بعد هذا من خلاف » ، فصور الصراعات الشخصية في سبيل الجاه والثراء ، في الوقت الذي كان فيه الاجانب يتحكمون باقتصاديات البلاد والوظائف فيها ، وأبناء البلاد يعيشون في حال من العدم والفقر ، متنكرين في اوطانهم ... ومنها :

كل يسير الى الامام ... م ونحن نمشي القهقري
لا عيشنا عيش ولا ... شبه لنا بين الورى
هُنّا فاصبحنا كأنعا ... م تباع وتشترى
في ذمة الماضي لنا ... مجد تركناه ورا
نبغي اعادته ونحن ... مشتتين* كما ترى
فلذاك لا عجب اذا ... فينا البغات تنسرا
متحكما في ارضنا ... متنفذا مستكبرا
بمهاجرين اخالهم ... جاؤا الينا عسكرا
وابن البلد يسير في ... اوطانه متنكرا (٤٦)

وبعد ان كنا رأينا الشاعر في قصيدته (ذهب اللهو) ، يحاول التمرد على واقع الانتداب ويدعو الى بناء « الشبيبة الفادية » وتوفيرهم للوطن طلابا للعز ، وتصورنا انه ناهج منهج ابن

* « مشتتين » وردت هكذا .

حجر في وداعه اللهو ، فاننا نرى ان اوضاع البلاد التي آلت اليها من الضعف والهوان ، قد ارتدت به الى الوراء فنكص على عقبيه كأنه عاد الى سابق انتكاسته بثقته في الانجليز وانخداعه بهم ، ففي هذا الجو الاستسلامي الذي عاشته فلسطين في هذه الفترة نتيجة هوان الزعامة فيها وتناحرها ، نسمع صوت شاعرنا بمناسبة قدوم اللورد بلفور الى فلسطين عام ١٩٢٥ ، كأنه يخيل اليه ان الانجليز انما خدعوا اليهود في تصريح بلفور ، فهو لا يزال يحمل بين ضلوعه ثقة لهم في غير محلها ، يقول :

وعد وما هو كالوعود ... خدعوا به امم اليهود
ام تنوّم طفلها ... والطفل يخدع بالنشيد
كالمغرم المفتون يقنع بالتعلل بالوعود
والختل شرع في السياسة ... ليس بالامر الجديد[٤٧]

وفي هذا الجو ، الذي تمكنت الحكومة البريطانية من خلقه في البلاد توفيرا للظروف التي تبتغيها في سبيل اهدافها المشتركة مع الصهيونية ، لم يكن غريبا ان يقول مثلها في احدى مناقشات عصبة الامم بجنيف عام ١٩٢٥ ، حول تأسيس مجلس تشريعي بفلسطين ، « لا يمكن انشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين بحسب عددهم ، لأن ذلك يحول بين الحكومة وتنفيذ الواجبات المفروضة عليها بانشاء الوطن القومي اليهودي [٤٨] . وكذلك لم يكن غريبا ان يصدر المندوب السامي ، في اواخر هذا العام ، بيانا رسميا يشكر فيه حسن التلبية لندائه باعتبار اليوم الحادي عشر من تشرين الاول (نوفمبر) تذكارا للهدنة وتكريما للسلام ، كما يطلب فيه من الشعب ، استهانة واستخفافا ، ان يؤموا المعابد في اليوم التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ، شكرا وحمدا ، من اجل تحرير القدس ، ذلك والثورة السورية ، في الشمال ، في ابانها .... ولكننا مع ذلك لا نعدم صوت الشعر يأتي الى المندوب السامي ليسمعه صوت الشعب الحقيقي ، ويزيل الوقر من اذنيه . وكان ذلك الصوت من على قلم شاعرنا المناضل البستاني فقد نشر قصيدته « صوت الشعب » بهذه المناسبة في جريدة « صوت الشعب » التلحمية في ١٩٢٥/١٢/٩ ، وفيها يخاطب المندوب المارشال اللورد بلومر بقوله :

فديتك أيهذا المارشال ... اهذا القول اولى ما يقال
انحمد هدنة كذبا وزورا ... وتلك الحرب قائمة سجال
قتال في الشمال ونحن منه ... جنوبٌ والشمال لنا شمال
فما اهلوه الا الاهل انا ... ـ تقول عروقنا ـ عم : وخال

وحول دعوى المندوب في تحرير القدس ، يسائله الشاعر عمن حررها وما معنى تحريرها وسيف ارهابه مسلط فوق رقاب اهلها واهل باقي فلسطين ، ثم يتوعده بمبادأة النضال يوما ، كما يناضل اخوانه العرب في سوريا في الشمال ، يقول :

اتحرير وسيفك فوق رأسي ... لعمرك انه القول المحال
لئن سبق الشمال الى نضال ... ففي هذا الجنوب غدا نضال [٤٩]

ويأتي هذا الصوت ايضا من على قلم خليل السكاكيني [٥٠] ، في صورة انشودة نظمها ، عام ١٩٢٥ ، وفيها نحس شيخوخة العزة والأنفة العربيتين ، اذ بدا فيها لهاث الفترة ، لضعف الحركة الوطنية ، رغما عن الشاعر الذي لم يكن يرغب الا في ان يعكس روح القـ وعزم الشباب . ولربما طغى عليه الشعور الحقيقي في اللا وعي حول اوضاع البلاد ، فانحس من خلال سماحة وبساطة النظم الذي ، وان حمل شعور المكابرة ، فقد نقل مشاعر الاسقاط الدال على الوهن في كلمات (العجز والتأني والتهوين والحلم والتوهين) :

نحن قوم ابيونا ... لا نقر الاذى فينا
لا نبالي منايانا ... في سبيل امانينا
يا بلاداً ورثناها ... عن جدود ميامينا
ان يهاجمك زرزور ... يلق منا شواهينا
يا بلاداً هويناها ... واتخذنا الهوى دينا
ستظلين في عز ... وامان بأيدينا
لا يغُرَّ العدى منا ... مذ تمادوا تأنينا
ليس عجزاً تأنينا ... انما كان تهوينا
نلزم الحلم ما دمنا ... لا نرى الحلم توهينا
ان ظلمنا تجد انا ... قد غدونا مجانينا[٥١] .

---

(١) انيس المقدسي ، « **العوامل الفعالة في الادب الحديث** » ، الحلقة الاولى ، ص ٨٥ .

(٢) انظر الى بعض نتائج الثورة العربية الكبرى : عبد الرحمن الشهبندر وآخرون ، « وجهات نظر في الثورة العربية » ، « **دراسات عربية** » ، بيروت ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٦٦ ، ص ١٣ + ناجي علوش ، « نماذج من معالجات الشيوعيين للقضايا العربية » ، **المصدر نفسه** ، العدد السادس ، ص ٦٠ .

(٣) خليل السكاكيني ، « **كذا انا يا دنيا** » القدس ، المطبعة التجارية ، ١٩٥٥ ، مذكرات السبت في ١٧ / ١١ / ١٩١٧ .

(٤) راجع في احوال البلاد تحت الحكم العثماني ، اسكندر الخوري البتجالي ، « **ديوان مشاهدة الحياة** » ، القدس ، مطبعة بيت المقدس ، عام ١٩٢٧ ، الجزء الاول ، قصيدة « الجندي الفار » ، صفحة ٩٤ ، وقصيدة « فلسطين » و « المنقذون » ، ص ١٠٧ .

(٥) « **الزفرات** » ، بيت المقدس ، الطبعة الاولى ، عام ١٩١٩ ، ص ٩٣ ـ ١٠٠ (ووردت القصيدة في ديوانه « **مشاهد الحياة** » ، صفحة ١٠٠ ـ ١٠٦ وقد حذف بعض التخميسات في مدح القائد الانجليزي اللنبي ، واجرى تغييرا على بعضها الآخر ، فوردت التخميسة « بني التاميز ... » هكذا :

بني التامز قد فزتم ... وبالارواح قد جدتم
وبالانقاذ قد جئتم ... فهل انتم كما كنتم
رجالا عدلهم يسطع ؟

فقد تأخر الشاعر المسكين حتى عرف ان (بني التاميز) كانوا قد اصبحوا (رجالا ظلمهم يسطع !) . وبافتضاح امرهم مع الزمن حذف ما حذف وغير ما غير من تخميسات قصيدته .

كذلك انظر قصيدته « اسعد الله مساكم » التي تليت في احد الاندية التمثيلية الادبية بالقدس على اثر انهزام الاتراك . وفيها يرحب بالانجليز الذين شملوا اهل القطر بنعمتهم وعدل دولتهم ، اذ اظفروهم بمناهم وخلصوهم من رجال تمادوا في إشقائهم .. « **الزفرات** » ص ١١٠ ـ ١١٢ ، و « **مشاهد الحياة** » ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، وفيه حذف بعض الابيات التي مدح فيها اللنبي والانجليز .

(٦) ولد في القدس عام ١٨٦٠ . درس في الازهر ، ثم عمل في تدريس الفقه والعربية في مدرسة المعارف

بالقدس . واشتغل بالصحافة فكان محررا للقسم العربي بجريدة القدس الشريف ،الرسمية ، وحرر جريدة « **النجاح** » مدة عامين . شاعر مجيد ، علت شهرته قبيل الحرب العالمية الاولى وفي خلالها . توفي في القدس عام ١٩١٩ .

خير الدين الزركلي ، « **الاعلام** » ، المجلد الخامس ، ص ١٧٢ .

د . ناصر الدين الاسد ، « **الشعر العربي الحديث في فلسطين والاردن** » ص ٢١ .

يعقوب العودات ، « **من اعلام الفكر والادب في فلسطين** » ، ص ٢٢١ .

(٧) في اخباره مع افراد البعثة الآخرين انظر : محمد كرد علي ورفاقه ، « **البعثة التعليمية الى دار الخلافة الاسلامية** » ، بيروت ، ١٩١٦ .

(٨) « **جريدة فلسطين** » ، العدد ١٠ ، السنة ١ (١٣ حزيران ١٩١٨) ، ص ٣ .

(٩) خليل السكاكيني ، « **فلسطين بعد الحرب الكبرى** » ، القدس ، عام ١٩٢٥ ، الجزء الأول ، ص ٦ ـ ٨ .

(١٠) وديع البستاني ، « الفلسطينيات » ص ٩٨ ، تاريخ ١٩٢٠/٧/٢٥، وليس المراد ترك فلسطين لليهود الا بقدر التشمير للصعود . وهو يعكس في ذلك شعور التهكم والامتعاض والنقمة البالغ حد الاشباع ، وفيه إثارة للقصد الذي هو عكس القول .

ولد الشاعر في الدبية بلبنان ، عام ١٨٨٦ ، وتخرج من الجامعة الاميريكية عام ١٩٠٧ ، ودرس فيها العربية والفرنسية لمدة عامين . ثم تولى امانة الترجمة للقنصلية البريطانية . وفي عام ١٩١٧ ، عين مساعدا مدنيا للكولونيل باركر . وكان اول واكبر موظف مدني في حكومة فلسطين ، وانتهت خدماته عام ١٩٣٠ بعد صراع طويل في مقاومة الصهيونية .

واكب وديع القضية الفلسطينية بعمله وشعره . ويشبه ديوانه ان يكون سجلا لكبريات الحوادث واهم التطورات الفكرية في فلسطين . وقد ارخ قصائده باليوم والشهر والسنة ، وأورد مناسبة كل قصيدة ، وذيّل الأبيات باشارات توضح الاحداث السياسية والاجتماعية . وبقي في فلسطين بعد النكبة حتى عام ١٩٥٢ ، حيث غادرها الى لبنان حسب رغبة اهله . وتوفي عام ١٩٥٣ .

« **حياة الادب الفلسطيني الحديث** » ، ص ١٧٤ .

« **الاديب** » ، العدد ٢ ، شباط (فبراير) عام ١٩٥٣ ، ص ٧٧ .

يعقوب العودات ، « **من اعلام الفكر والادب في فلسطين** » ، ص ٤٤ .

(١١) يهوشع بؤرات ، الحركة العربية الفلسطينية في سنوات العشرين (رسالة دكتوراه) ، مجلة « **المرصاد** » ، تل ـ أبيب ، العدد ٩٨٥ ، السنة ١٩ ، ١/١/ ١٩٧٠، ٢٥ شوال ١٣٨٩ ، ص ١٢ .

(١٢) انظر خليل السكاكيني ، « **كذا انا يا دنيا** » ، مذكرات الست ١٩١٩/٥/٣) ص ١٨٠ ، حيث يبين الروح الطائفية في تشكيل الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس ، وفقدان النظام والفعالية في عملها . وانظر ايضا عادل غنيم « **الحركة الوطنية في فلسطين ١٩١٧ـ ١٩٣٦** » رسالة ماجستير مخطوطة في مكتبة جامعة القاهرة رقم ٨٥١ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ . حيث يتحدث عن تصريح الادارة العسكرية في تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩١٨ بتأسيس ما يسمى « الحزب العربي » الموالي لبريطانيا ، وهو يدعو الى تثقيف الناس وصرفهم عن السياسة . ثم انقلب بعد ثلاثة اشهر من تأسيسه الى فرع الجمعية الاسلامية ـ المسيحية في محاولة للسيطرة عليها وتوجيهها .

(١٣) د. عبد القادر يوسف ، « **مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية** » ، القاهرة، ١٩٦٢ ، ص ٩٨ . عن :وديع البستاني Bowman, H.E. Midle east Window, Longmans, 1942, 387

(١٤) « **الفلسطينيات** » ، بيروت، ١٩٤٦، ص ٨٢ ـ قصيدة « الدولة الرضيع » .

(١٥) **المصدر نفسه** ، ص ٨٣ .

(١٦) **المصدر نفسه** ، قصيدة الفتوى ،ص٨٧ . انظر ايضا ما قاله في مفتي يافا الذي كان قد صحب المندوب السامي الى مصنع الخمور اليهودي الكبير في عيون قاره (ريشون لاسيون) حيث القى بعده سلة من العنب في المعصرة ديوانه ص ٩٩ .

(١٧) محمد رفيق بك وزميله ، « **ولاية بيروت** » ، قسم ١ ، ص ٣٠ وما بعدها و١٩٦ وما بعدها .

(١٨) عادل غنيم ، « **الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٧ ـ ١٩٣٦** » ، الملاحق ص ٦ عن الكراسة الثانية في مكتب الهيئة العربية العليا ، صورة عن الاحتجاج الاصلي .

(١٩) نبيل ايوب بدران ، « **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني** » ، مركز

الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٦٣ ، آب ١٩٦٩ ، الجزء الأول ، عهد الانتداب ، ص ٣٣٦ .

(٢٠) د. عبد الرحمن ايوب (مُترجم) ، « **الشرق الأدنى ـ مجتمعه وثقافته** » ، القاهرة ، دار النشر المحدودة ، سلسلة الألف كتاب رقم ١١٦ ، ص ٣١٨ .

قسطنطين . ك. زريق ، العلاقات الداخلية والدولية للبلاد العربية (بحث) عن .

George E. Kirk A short history of the middle east, London, 1948, P. 130

(٢١) « **الهجرة اليهودية الى فلسطين** » ، الامانة العامة لجامعة الدول العربية ادارة فلسطين ، الشعبة السياسية ، ص ١٥ .

(٢٢) وديع البستاني ، « **الفلسطينيات** » ، مقطوعة الحكم الذاتي ١٩٢٠/٧/٢٥ ، ص ١٠٠ .

(٢٣) انظر قصيدة الرصافي والرد عليها ، وقصة النشر في ديوان « **الفلسطينيات** » ، ص ١٠٤ ـ ١١٠ . اظن ان العجز « وتذرون هاتيك الدموع على الصخر » ورد في الديوان وقد سقطت كلمة (الدموع) .

(٢٤) انظر مولدياته الخمس في ديوانه على الصفحات ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠ .

(٢٥) انظر النشيد كاملا وضبط التحقيق الاداري الذي قام به النائب العام مع الشعر في ديوانه ص ١١٣ ـ ١١٤ .

(٢٦) « **دقات القلب** » ، القدس ، مطبعة بيت المقدس ، الطبعة الاولى ، حزيران ١٩٢٣، شوال ١٣٤١ ، ص ٣٢ ـ ٣٤ . والقصيدة في ديوان « **مشاهد الحياة** » ، ص ١٥٧ ـ ١٥٩ .

انظر كذلك قصيدته « حمى السياسة » في « **دقات القلب** » ، ص ٢٧ ـ ٢٩ .

(٢٧) « **مشاهد الحياة** » ، ص ١٦٢ ـ ١٦٤ . وردت في ديوانه « **العنقود**»، مطبعة بيت المقدس ، دون تاريخ ، بعنوان « على اثر المعاهدة » ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٢٨) انظر هذه الاناشيد في ديوانه « **دقات القلب** » : « نشيد الموت في حب الوطن » ص ٧٢ . ونشيد « بلادي ما احيلاها » ص ٧٥ . « ونشيد الإخاء » ص ٧٩

(٢٩) علي محمد علي ، « **ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية** » ، القاهرة ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، الهيئة العامة للاستعلامات ، الجزء الاول ، موسوعة القضية الفلسطينية (مكتبة فلسطين) وثيقة ١١٠ ، ص ٤٢٦ ـ ٤٣١ .

(٣٠) صالح بويصير ، « **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** » ، ص ١١٨ .

(٣١) علي محمد علي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٤٠ ، ٤٥٥ ، ٤٧٦ .

(٣٢) انظر في **المصدر نفسه** برقية الفلسطينيين لمصطفى كمال حول طلب الاستقلال التام لفلسطين تحت انتداب الحكومة التركية سنة ١٩٢٢ ، ص ٤٥٩ .

(٣٣) وديع البستاني « **الفلسطينيات** » ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ . نشرت هذه القصيدة في مجلة « **الزهرة** » بحيفا .

(٣٤) **المصدر نفسه** ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ . كان عنوان القصيدة « **طبخة الدستور** » عندما نشرت ، في حينه ، في مجلة « **الزهرة** » العدد (٢٩ ، السنة الثالثة ، أيار ١٩٢٣ .

(٣٥) يسرى عرنيطة ، « **الفنون الشعبية في فلسطين** » ، مركز الابحاث ، سلسلة كتب فلسطينية ١٩٦٨/١/٤ ، ص ١٢٨ ، ١٥٢ ؛ خليل السكاكيني ، « **كذا انا يا دنيا** » مذكرات الاحد ١٩١٩/١/٢٦ ، ص ١٦٦ .

(٣٦) عادل غنيم ، « **الحركة الوطنية الفلسطينية** » ، ص ١٦٥ ـ ١٦٨ وص ٢٣٤ وما بعدها .

(٣٧) **المصدر نفسه** .

(٣٨) الشيخ سليم حسن اليعقوبي ، ولد في مدينة اللد عام ١٨٨٠ ودرس فيها ثم درس في الازهر وعاد الى يافا مدرسا للعلوم الشرعية فمفتيا لها . ولقب بحسان فلسطين ، وتوفي في مكة حاجاً عام ١٩٤٦ .له بضعة كتب منها ديوان (حسنات اليراع) ويمتاز أغلب شعره فيه بقوة العبارة واحكام النسج ، وله كذلك موشح طويل « النظرات السبع » وشعره فيه مختلف . فقد جاء ضعيف النسج مفكك الاوصال ، هزيل المعاني . « **الشعر الحديث في فلسطين والاردن** » ص ٥٤ ؛ مقدمة « **المجموعة من ادب ابناء العروبة** » ، نابلس ، مطبعة النصر التجارية ، عام ١٩٦١ ؛ يعقوب العودات ، « **من اعلام الفكر والادب في فلسطين** » ، ص ٦٧٢ .

(٣٩) جريدة « **الجزيرة** » ، العدد ٤١ ، يافا ، ٢٢ حزيران ١٩٣٤ ، ٢٠ ذو القعدة عام ١٣٤٢ .

(٤٠) مجلة « **الزهرة** » « نظرة في فلسطين

اليوم » ، أو عظة وذكرى العدد ٤ ، السنة الرابعة ، آب ١٩٢٤ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢ .

(٤١) انظر القصيدة في ، د. محمد مندور ، « **في الميزان الجديد** » ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ، ص ٧٠ .

(٤٢) مجلة « **الزهرة** » ، العدد الاول، السنة الرابعة ، آذار ١٩٢٤ ، حيفا ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ؛ اسكندر الخوري ، « **مشاهد الحياة** » ص ٢١٠ ـ ٢١٢ .

انظر له ايضا في الديوان نفسه ، قصائد : « أنَّه شاعر » ، ص ٢٣ ، « ما بين حانا ومانا » ص ٢٥٧ ، « على الحالين مركوب » ص ٢٥٥ . وفي هذه القصيدة ينعي التحزب لهذه الدولة او تلك ويحث على الوحدة الوطنية .

وانظر في هذا الموضوع قصيدة وديع البستاني « يا رب اصلح » ، وفيها صور احوال البلاد بانها « اهوال سبعة والذئب راعينا ، وان حاكمها لكالاسي الذي يرى ان (الموت اصدق طب) وقد نشرت في مجلة « **الزهرة** » عدد ٣ ، السنة الرابعة ، تموز ١٩٢٤ ، ص ١٥٨ـ ١٥٩، ديوانه ص ١٥٧ـ ١٥٩.

(٤٣) محمد عزة ، دروزة ، « **الحركة العربية الحديثة** » ، الجزء الثالث ، ص ٥٠ ـ ٥٢ .

(٤٤) اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد عام ١٩٢٣ . وكان المؤتمر ينتخب لجنة تنفيذية في كل دورة من دورات انعقاده .

(٤٥) اميل توما ، دراسات في القضية الفلسطينية ، مجلة « **الجديد** » ، حيفا ، العددان ٩ و ١٠ ، ايلول وتشرين الاول عام ١٩٦٩ ، ص ٥ ، بحث عن هاري ساخر « **اسرائيل اقامة دولة** » ص ١٠ .

(٤٦) انظر القصيدة كاملة في ديوانه « **مشاهد الحياة** » ، الجزء الاول ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦ . وكانت قد نشرت في جريدة « **فلسطين** » العدد ٧٤٧ ، بتوقيع المجهول المعلوم، ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٢٥ .

(٤٧) انظر القصيدة كاملة في ديوانه : « **مشاهد الحياة** » ، الجز ء الاول ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨ .

(٤٨) صالح بويصير ، « **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** » ، ص ٤٩٧ .

(٤٩) وديع البستاني ، « **الديوان** » ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٥٠) خليل السكاكيني : ولد في القدس سنة ١٨٧٨ ودرس في مدارسها وتخرج من الكلية الانجليزية . عمل في حقل التعليم في فلسطين وفي مصر ، وانتخب عضوا في المجمع اللغوي المصري . كان من حملة الفكرة العربية قبيل الحرب العالمية الاولى . عاش بعد النكبة في مصر ، وتوفي فيها عام ١٩٥٣ . له مجموعة من المؤلفات والآثار الادبية والتربوية .

(٥١) الزركلي ، « **الاعلام** » ، الجزء الثاني ، ص ٣٦٩ : عمر رضا كحالة ، « **معجم المؤلفين** » ، دمشق، مطبعة الترقي ، الجزء الرابع ؛ يوسف داغر ، « **مصادر الدراسة الادبية** » ، منشورات جمعية اهل القلم في لبنان، الجزء الثاني ص ٤٥٨؛ يعقوب العودات ، « **من اعلام الفكر والادب في فلسطين** » ، ص ٢٧٢ .

القدس أمام مجلس الأمن

عقد مجلس الامن الدولي يوم ٢٣ حزيران الماضي اجتماعا طارئا بحث فيه وضع القدس . وقد جرت المساعي لعقد هذه الجلسة بناء على طلب المؤتمر الاسلامي وتنفيذا لقرار اتخذه بهذا الشأن في اجتماعه الاخير في ايار (مايو) الماضي في اسلام اباد .

وكانت منظمة التحرير الفلسطينية قد اثارت ، في ذلك المؤتمر ، قضية القدس والاجراءات الاسرائيلية الرامية الى ضمها . وصدر عن المؤتمر ، في ذلك الوقت ، قرار يتعلق بالقدس ، ينص على دعوة مجلس الامن للنظر في هذه الاجراءات ، ويُحمِّل الولايات المتحدة الامريكية مسؤولية تشجيع اسرائيل على القيام بها ، ويطالب الدول الاسلامية باتخاذ اجراءات عملية تجاهها . وكانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد بحثت في كيفية عرض القضية على مجلس الامن ، واتخذت قراراً بذلك واوفدت الاخ الدكتور احمد صدقي الدجاني عضو اللجنة التنفيذية ليرأس وفد المنظمة اثناء عرضها .

وقد تحرك وفد المنظمة في الامم المتحدة على عدة صعد ، منها صعيد المجموعة العربية وصعيد المجموعة الاسلامية وصعيد دول عدم الانحياز ، وخلال هذه التحركات ، عرض رئيس الوفد الفلسطيني رؤية المنظمة للاحداث الراهنة ، وأوضح ان احد اهداف انعقاد المجلس هو كشف مواقع جميع الاطراف المعنية وتحميل الدول مسؤولياتها تجاه ما يجري في القدس . كما اوضح ان المنظمة ، ومعها الدول الاسلامية ، لا تخشى الفيتو الامريكي وانها تتجه ، منذ شهر اذار الماضي، الى عدم اخذه بعين الاعتبار في عرضها لمشروع القرار على مجلس الامن ، وذلك بعد ان اتاحت الفرصة الكافية للولايات المتحدة كي تراجع موقفها .

افتتح المجلس اعماله بمشاورات غير رسمية يوم الاثنين ٢٣ حزيران ، كما اشرنا ، وباشر الاستماع الى الكلمات صباح يوم الثلاثاء ٢٤ حزيران وصوت بالموافقة على دعوة ممثل المنظمة لالقاء كلمته مع تحفظ الولايات المتحدة الامريكية وبعض الدول الاوروبية لاسباب شكلية على هذه الدعوة .

وكانت الكلمة الاولى للسيد آغا شاهي ، وزير الخارجية الباكستاني ، الذي رأس المؤتمر الاسلامي في اسلام اباد ، ومما جاء فيها انه ليس لدى المسلمين اي خيار سوى ان يطالبوا بفرض عقوبات اذا سارت اسرائيل قدماً بقرارها بنقل مكاتب رئيس وزرائها ، مناحيم بيغن ، الى القدس الشرقية وجعل المدينة عاصمة لها (« **السفير** » ، ٢٥ / ٦ / ١٩٨٠) .

وابلغ شاهي المجلس قوله ، على المجلس ان يتخذ جميع التدابير الضرورية لضمان المحافظة على وضع مدينة القدس المقدسة .

واضاف ان على المجلس ، في حال اصرار اسرائيل على مخططاتها الرامية لضم المدينة المقدسة واعلانها عاصمة لها ، ان يعمد فوراً الى فرض العقوبات المنصوص عليها في الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة .

واكد شاهي التزام جميع الدول الاسلامية ، وفق ما أُعْلِن في مؤتمر اسلام اباد ، بقطع علاقاتها مع اية دولة تؤيد قرار اسرائيل بضم القدس الشرقية ، او تعترف بها عاصمة لاسرائيل (**المصدر نفسه**) .

ثم تحدث مندوب المغرب السيد عز الدين العراقي فطلب بدوره من مجلس الامن ألّا يألو جهداً في سعيه من اجل ان تستعيد مدينة القدس المقدسة السلام ، وتحتفظ به كي يستعيد الشعب الفلسطيني وطنه ويقيم عليه دولة وطنية ذات سيادة ومكانة . وقال يجب انقاذ القدس ورفع يد المحتل الاسرائيلي المخربة ، وتحرير الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية واليهودية من قبضة العنف المتعصبة ، ومن القمع الذي يسعى الى الاستيلاء عليها بشكل غير مشروع من اجل زيادة عزلتها وتغيير طابعها ، ومن المحتمل جداً تدميرها نهائياً . وذكر أنه امام التحدي الذي وجهته اسرائيل الى المجتمع العالمي منذ عشرات السنين فان مجلس الامن سيكون في مقدوره ، إن استلزم الامر ، اتخاذ الاجراءات الملائمة طبقاً للميثاق لوضع حد لهذا التهديد (« **اللواء** » ، ٢٦ / ٦ / ١٩٨٠) .

ثم تحدث د . احمد صدقي الدجاني ، رئيس وفد المنظمة ، وقال : ان الطبيعة المقدسة للقدس شُوِّهت نتيجة لانشاءات عسكرية مبنية بالاسمنت المسلح ، ودنست قدسيتها باساليب من الحياة بعيدة عن القيم الروحية ومخالفة للمقدسات (« **المصدر نفسه** »).واضاف : ان معاناة القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي هي نتيجة مباشرة للغزوة الصهيونية لوطننا فلسطين . لقد ارادت الحركة الصهيونية ان تكرر ما قام به الفرنجة ، الذين حملوا اسم الصليبيين ، قبل تسعة قرون ... ان المعاناة من الاحتلال الاسرائيلي للقدس والقلق من جراء الاجراءات الاسرائيلية على مصيرها يتجاوزان دائرة العالم الاسلامي ليشملا العالم المسيحي وقطاعات من التجمعات اليهودية في عالمنا والعالم اجمع .

ومضى قائلاً : ان مفهوم الصهيونية للأمن يقوم على احتلال مزيد من الاراضي واضطهاد اصحابها والتعدي على حقوقهم وافساد مواردهم الطبيعية ، اما مفهومنا المقابل للامن القومي ، فيقوم على العدل والسلام . وان ممارسة الارهاب تولد مقاومة الشعوب التي تناضل من اجل الحرية والكرامة . ان الامن لا يمكن ان يقام على حساب العدل وحقوق الاخرين ، والتاريخ مليء بالدروس لاولئك الذين يريدون ان يتعلموا (نص الخطاب من محفوظات الدائرة السياسية لـ م. ت. ف .) .

ومضى د. الدجاني يقول : « ان مقاومة الاحتلال حق كفلته المواثيق الدولية ، واننا نفخر بمقاومة شعبنا العظيمة للاحتلال الاسرائيلي وسنصعد هذه المقاومة ونحن نسعى للسلام العادل . ان منظمة التحرير الفلسطينية ملتزمة بالسعي الى بلوغ السلام العادل الذي يلبي حقوقنا الوطنية الثابتة : حق تقرير المصير وحق العودة وحق اقامة دولتنا المستقلة . اننا نؤكد قبولنا بالشرعيةالدولية،ونحن في الوقت الذي نرفض فيه اتفاق كامب ديفيد ، الذي يتنكر لحقوقنا ، نناضل في نطاق الامم المتحدة من اجل بلوغ السلام العادل الشامل (**المصدر نفسه**) .

اما مندوب لبنان الدائم لدى الامم المتحدة فقد قال امام المجلس : لقد سمعنا من يسمي القدس عاصمة ازلية لاسرائيل ، ومن يقول ان هذا انما هو حق الهي ؛ بالطبع ان مدينة الله هي العاصمة الازلية للجميع ، وليست عاصمة لواحد فقط ، وهي عاصمة ازلية بالايمان وليس بالغزو . وتساءل : اذا كانت القدس تستحق ان يحارب من اجلها أفلا تستحق كغيرها من المدن سلام الرب بين الامم وبين الاديان ؟

ثم تحدث ، في الاجتماع ايضاً ، مندوبو جامايكا والاتحاد السوفياتي والنيجر وزامبيا والمانيا الديمقراطية ويوغسلافيا والسنغال والعراق فأيدوا جميعاً الموقف الاسلامي المطالب بان تظل القدس الشرقية عربية ، وبانه لا يجوز لاسرائيل ان تغير وضع المدينة من جانب واحد .

والقى المندوب السوفياتي ترديانوفسكي اللوم على الدعم الشامل من جانب الولايات المتحدة لاحتلال اسرائيل المستمر للاراضي العربية . وقال انه بعد إتفاقيتي كامب ديفيد بدأت اسرائيل سياسة خلق ما يسمى باسرائيل الكبرى (« **النهار** »،٢٧/٦/١٩٨٠).

وقال ممثل النيجر ، عيدو جربا : ان مستقبل القدس لا يمكن فصله عن مستقبل الشعب الفلسطيني الشهيد الذي يناضل منذ ثلاثين عاماً لاستعادة حقوقه على ارض اجداده .

وانتهى الاجتماع بتلاسن حاد بين السفير الالماني الديمقراطي بيتر فلورين الذي عارض ضم اسرائيل للقدس الشرقية ، وبين السفير الاسرائيلي يهودا بلوم (« **السفير** » ، ٢٨ / ٦ / ١٩٨٠) .

بأكثرية ١٤ صوتاً وامتناع امريكا عن التصويت

وفي الثلاثين من شهر حزيران اختتم مجلس الامن مناقشته لموضوع القدس باتخاذ قرار جديد يحمل الرقم ٤٧٦ ، يؤكد معارضة المجموعة الدولية لاعمال اسرائيل في المدينة المقدسة . وتمت الموافقة على مشروع القرار الذي تقدمت به مجموعة الدول الاسلامية باكثرية ١٤ صوتاً وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت ، وتميزت الجلسة الاخيرة للمجلس بمشاركة الدول الاوروبية في المناقشة ،وتركيز المندوبين على ان القدس ليست عاصمة لديانة دون أخرى ومعارضتهم السياسة الاسرائيلية المنفردة ، ورفضهم الاعمال والتصرفات التي قامت بها اسرائيل لتغيير المعالم الجغرافية والسكانية للمدينة . كذلك تميزت الجلسة الختامية بالوثيقة التي وزعها الفاتيكان في الامم المتحدة وهي المقال الذي صدر في صحيفة « الأوبزر فاتوري رومانو » (« **النهار** » ، ١ / ٧ / ١٩٨٠) .

وجاء القرار الجديد الذي ندد باستمرار رفض اسرائيل التقيد بقرارات مجلس الامن والجمعية العمومية المتعلقة بالقدس ، في الوقت الذي وافقت فيه احدى لجان الكنيست على مشروع قانون يقضي بجعل القدس عاصمة ابدية ووحيدة لاسرائيل ، الامر الذي اثار مزيداً من القلق في الاوساط الدبلوماسية في الامم المتحدة التي رأت فيه تحدياً اسرائيلياً جديداً لسلطة المنظمة الدولية .

وقد حذف التهديد المباشر بفرض عقوبات على اسرائيل من المشروع الاسلامي الذي فاز ، وذلك في الفقرة السادسة ؛ وقد ترددت ادارة الرئيس كارتر بين استخدام الفيتو واغضاب الدول الاسلامية ومن بينها بعض كبار مصدري النفط في العالم ، وبين الامتناع عن التصويت مغضبة بذلك اسرائيل ومؤيديها الاميركيين في سنة الانتخابات الرئاسية . في ضوء هذا الموقف عمدت الدول الاسلامية الى تخفيف لهجة قرارها وحذف التهديد بالعقوبات ؛ وللتشديد على وحدتها فان الدول الـ ٢٩ ـ العاملة في المؤتمر الاسلامي قررت جميعاً ان تتبنى المشروع ، وكانت ٢٢ دولة فقط قد وقعت الوثيقة عندما قدمت وهي بنغلاديش والنيجر وتونس والبحرين واندونيسيا والعراق والاردن والكويت ولبنان وماليزيا وموريتانيا والمغرب والباكستان وقطر والسعودية والسنغال والصومال والسودان وسوريا وتركيا ودولة الامارات العربية والجزائر .

نص مشروع قرار مجموعة الدول الاسلامية حول القدس*

« ان مجلس الامن بعد ان بحث الخطاب المؤرخ في ٢٨ ايار (مايو) عام ١٩٨٠ والذي قدمه مندوب باكستان ، الرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، كما جاء في الوثيقة رقم ١٣٩٦٦/ ا س بتاريخ ٢٨/ مايو عام ٨٠ ، يضع في اعتباره الوضع المحدد للقدس والحاجة الى حمايته والحفاظ على البعد الديني والروحي الفريد للاماكن المقدسة في المدينة على وجه الخصوص .

يؤكد قراراته المتعلقة بطابع ووضع مدينة القدس المقدسة ، وخاصة القرارات رقم ٢٥٢ بتاريخ ٢١ مايو عام ٦٨ م ، و٢٦٨ بتاريخ ٣ يوليو عام ٦٩ م ، ٢٧١ بتاريخ ١٥ سبتمبر عام ٦٩ م ، و٢٩٨ بتاريخ ٢٥ سبتمبر عام ٧١ م ، و٤٦٥ بتاريخ اول مارس عام ١٩٨٠ م .

ويؤكد من جديد عدم السماح بضم الاراضي نتيجة للغزو العسكري ويعيد الى الاذهان اتفاقية جنيف الرابعة في ١٢ اغسطس عام ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين في زمن الحرب .

---

* انظر « **وفا** » ، ١ / ٧ / ١٩٨٠ .

ويعرب عن اسفه لاصرار اسرائيل ، الدولة المحتلة ، على تغيير الطابع المادي والتكوين السكاني والوضع والهيكل القانوني لمدينة القدس المقدسة . وعن قلقه الخطير ازاء الخطوات التشريعية التي بادرت اسرائيل باتخاذها في الكنيست بهدف تغيير طابع ووضع مدينة القدس المقدسة .

اولاً : يدين استمرار اسرائيل ، الدولة المحتلة ، في رفض الانصياع للقرارات المذكورة الخاصة بمجلس الامن والجمعية العامة .

ثانياً: ويؤكد من جديد ان كافة الاجراءات التشريعية والادارية التي اتخذتها اسرائيل الدولة المحتلة ، والتي تستهدف تغيير طابع ووضع مدينة القدس المقدسة ، لا تتمتع باي شرعية قانونية ، وتمثل انتهاكاً صارخاً لاتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين في زمن الحرب ، وتمثل كذلك عائقاً خطيراً في سبيل تحقيق السلام الشامل والعادل والدائم في الشرق الاوسط .

ثالثاً : يكرر من جديد ان كافة الاجراءات التي غيرت الطابع والوضع الجغرافي والسكاني والتاريخي لمدينة القدس المقدسة باطلة ، وينبغي التخلي عنها تمشياً مع القرارات الصادرة في هذا الشأن من مجلس الامن .

رابعاً : يدعو اسرائيل الدولة المحتلة بصورة عاجلة الى الالتزام بهذا القرار وغيره من قرارات مجلس الامن السابقة ، وانْ تمتنع من الآن فصاعداً عن الاصرار على اتباع سياسة ، واتخاذ اجراءات ، من شأنها التأثير على طابع ووضع مدينة القدس المقدسة .

خامساً : يؤكد من جديد الحاجة الملحة والماسة الى وضع حد لاحتلال اسرائيل للاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ . ومن بينها القدس .

سادساً : في حالة عدم التزام اسرائيل بهذا يجتمع المجلس من اجل استعراض الموقف لاتخاذ اجراءات فعالة بمقتضى الفصل السابع لميثاق الامم المتحدة».

فرنسا وبريطانيا ترفضان الموقف الاسرائيلي

حذرت فرنسا وبريطانيا اسرائيل ، في مجلس الامن ، من المضي قدماً في خططها لاعلان القدس عاصمة لها ، ووجه المندوب الفرنسي فيليب هوسون تحذيراً رسمياً الى الحكومة الاسرائيلية كما وجه اليها نداء كي « لا ترتكب اخطاء لا تغتفر من شأنها ان تثير ردود فعل عنيفة ، وتسيء الى نص فرص السلام ، لان اسم القدس في حد ذاته يحثنا على البحث عن طريق العدالة في مجتمع الابحاث (« **السفير** » ، ١ / ٧ / ١٩٨٠) .

وقال هوسون: « ان فرنسا لن توافق على المخطط الاسرائيلي وتأمل ان يطويه النسيان بسبب آثاره الجسيمة . واضاف : ان اسرائيل تمارس سياسة الامر الواقع وتتجاهل رغبة المجتمع الدولي .

اما المندوب البريطاني فأكد ان موقف بلاده واضح وهو ان القدس الشرقية جزء من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وان بريطانيا تعارض اي خطوة منفردة لتغيير وضع القدس .

اما المندوب الامريكي فقد قال ان مشروع القرار يختار من القرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بعضاً ويترك بعضاً ، وذكر بأن المشروع لا يشير الى حق اسرائيل في حدود آمنة ومعترف بها في اطار سلام عادل ودائم ، وهذا ما نص عليه القرار ٢٤٢ : في حين وصف المندوب الاسرائيلي مشروع القرار بانه عمل آخر من الحرب السياسية ضد « بلاده » (« **النهار** » ٢ / ٧ / ١٩٨٠) .

ردود الفعل الاميركية والاسرائيلية

رفضت اسرائيل قرار مجلس الامن بالغاء اجراءات ضم القدس الشرقية فيما وصفته أمريكا بانه تهديد لجهودها السلمية في الشرق الاوسط (« **اللواء** » ، ٢ / ٧ / ١٩٨٠) .

وجاء التعليق الاسرائيلي على لسان رئيس الوزراء بالوكالة يغئال يادين الذي قال : « اننا مستاؤون من قرار مجلس الامن ، ولكن ليست هذه هي المرة الاولى التي يحدث فيها شيء من هذا القبيل، والحقيقة الثابتة هي ان القدس عاصمة اسرائيل الموحدة ، ولن يغير شيء من هذه الحقيقة » .

واضاف ، اننا غير راضين عن امتناع الولايات المتحدة عن التصويت ، وكنا نريد منها التصويت ضده ، لكن ذلك لن يغير شيئاً ، فمستقبل القدس سيقرره ما نفعله نحن هنا في القدس («**السفير** » ، ٢/٧/١٩٨٠) .

وشجب بيان شديد اللهجة صادر من وزارة الخارجية الاسرائيلية قرار مجلس الامن ووصفه بانه لطمة للسلام .

اما التعليق الامريكي على القرار فكان على لسان وزير الخارجية ادموند ماسكي الذي قال : « ان امتناع الولايات المتحدة عن التصويت كان الموقف الوحيد الممكن بالنسبة لها » واضاف « اننا نواجه دائماً قرارات في الامم المتحدة سواء عن قصد او غير قصد تهدد بتقويض المفاوضات التي بدأت او التي تكاد تبدأ في اطار كامب ديفيد » . وحول سؤال عما اذا كانت الاجراءات الاسرائيلية في القدس تُعقد المفاوضات اجاب ماسكي: «كل عمل من جانب واحد يدخل في هذا الاطار ولا استثني اياً منها » (**المصدر نفسه**) .

اهمية القرار

لقد جاء قرار مجلس الامن حول القدس في اعقاب بيان البندقية الاوروبية الذي تضمن اشارة واضحة للقدس ، وجاء اضافة لقرارات المجلس التي صدرت هذا العام وادانت اسرائيل ، هذا بالاضافة الى ان منظمة التحرير الفلسطينية بالتعاون مع المجموعة العربية والاصدقاء دللت على قدرتها على ممارسة النضال السياسي في الساحة الدولية .

سليمان ابراهيم

صدر حديثاً

عن مركز الابحاث

الفكر السياسي الفلسطيني

١٩٦٤ - ١٩٧٤

دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية

تأليف

فيصل حوراني

٢٥٠ صفحة — الثمن ١٣ ل.ل.

ندوة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الدولية حول الخطر العسكري الأميركي في الشرق الأوسط

بعد شهر ونصف الشهر من انعقاد المؤتمر العام الثالث للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذي انتهى في ٢٤ نيسان ١٩٨٠ ، والذي تم فيه انتخاب الأمانة العامة الجديدة للاتحاد ، وبعد مرور أقل من اسبوعين على انتهاء المؤتمر الرابع لحركة فتح الذي انتهى في أول حزيران ، افتتحت الأمانة العامة الجديدة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين نشاطاتها بعقد ندوة عالمية « حول الخطر العسكري الأميركي في الشرق الأوسط » استمرت طيلة الفترة الممتدة بين ١٣ و ١٥ حزيران ١٩٨٠ .

وجاء هذا النشاط في وقت مناسب؛ اذ يعاني العالم،عموماً، والمنطقة العربية، خصوصاً، من تصعيد في الاستعدادات الأميركية العسكرية الهجومية الموجهة ضد أي محاولة للاستقلال والتحرر من قبضة الولايات المتحدة الأميركية .

وحضر جلسة الافتتاح ، يوم الجمعة ١٣ حزيران ، الأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ؛ والرفيق الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ؛ والأخوان صلاح خلف « أبو إياد » ، وماجد أبو شرار،عضوا اللجنة المركزية لحركة فتح،اضافة إلى رئيس وأمين عام الاتحاد ، كما حضرها عدد من القادة الوطنيين اللبنانيين ونقيب الصحافة اللبنانية . واكتسبت الندوة طابعها الدولي من خلال حضور عدد من الكتاب والصحفيين العالميين ، كمراسل وكالة أنباء « نوفوستي » فلاديمير فيلبوف ، الذي ناب عن الرفيق فيكتور فينوغرادوف مراقب صحيفة « النجم الأحمر » الناطقة بلسان وزارة الدفاع السوفياتية ، الذي لم يستطع الحضور شخصياً ، ومارتين مونو الصحفية الفرنسية ، ممثلة الحزب الشيوعي الفرنسي ، ودونيس كريستافيتوس ، العضو المرشح للمكتب السياسي ورئيس الدائرة الدولية في اللجنة المركزية لحزب « أكيل » ، الحزب التقدمي للشعب الشغيل في قبرص ، والدكتور كارل هاينز فيرنر مسؤول الشرق الأوسط في « نويز دويتشلاند » الصحيفة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد في جمهورية المانيا الديمقراطية . ولم يحضر الندوة سيبريانو دكاردو البرتغالي وإيفان دونيف ممثل بلغاريا ؛ وكان اسماهما واردين في القائمة الأولية لبرنامج الندوة .

أما على الصعيد العربي، فقد مثل جمهورية اليمن الديمقراطية عبد الله العون القائم بأعمال السفارة في بيروت ، ومثل جبهة التحرير الوطني البحرانية الدكتور عبد الله خالد ، ومثل الجبهة الشعبية في البحرين عيسى عبد الله ، ومثل سالم غريب الجبهة الشعبية لتحرير عمان ، ومثل سمير كرم الجبهة الوطنية المصرية ، وحضر الندوة عبد الرحمن الخميسي عضو الأمانة العامة لمؤتمر الشعب العربي . واستهل الأمين العام للاتحاد الأخ يحيى يخلف جلسة الافتتاح مرحباً بالمشتركين ومستعرضاً تاريخ الهجمات الامبريالية على المنطقة ، وكيف هدفت

ثم تطرق الى دراسة العملية العسكرية الفاشلة ضد ايران « مخلب النسر » من الناحية العسكرية ، معتبراً أن فشلها يعبر عن « تدهور المصداقية العسكرية الأميركية». وقال المقدم الأيوبي انه « رغم هذا الاعداد الطويل والاختيار الدقيق لقوة من النخبة ، فقد تحولت العملية إلى كارثة ؛ الأمر الذي ألقى الكثير من الظلال حول جاهزية القوات المسلحة الأميركية ، ودفع إلى التساؤل عن وضع هذه القوات التي اثبتت العملية انها ضعيفة حتى في المجال التكنولوجي الذي تعتبره العقيدة العسكرية الأميركية من أهم المرتكزات الحقيقية لقوة الولايات المتحدة » .

واستأنفت الندوة أعمالها صباح يوم السبت ١٤ / ٦ / ١٩٨٠ ، وترأس الجلسة الصباحية رئيس الاتحاد الأخ عبد الكريم الكرمي « أبوسلمى »، وقدم عبد الرحمن الخميسي عضو الأمانة العامة لمؤتمر الشعب العربي مداخلة بعنوان: « العدو والصديق في النضال التحرري لشعوب الشرق » تناول فيها بعض التغيرات التي طرأت على الامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأهمها ان قاعدة الاستعمار الجديد أصبحت اليوم « العمل على استعباد الدول المتحررة مالياً واقتصادياً وربط عجلتها بقطار الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسيـــة »، ولكن هذا الوضع لا يلغي « التدخلات المباشرة من قبل الاستعمار الحديث وعلى رأسه أميركا ، كلما كانت هناك فرصة أو ضرورة لذلك » . وبالنسبة للشرق الأوسط أوضح أن للامبريالية الأميركية قاعدتين رئيسيتين فيه وهما اسرائيل ومصر . وركزت مداخلة الخميسي على ان الاتحاد السوفياتي وقف دائماً إلى جانب الشعوب العربية ، وذلك في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . ثم قدم عبد الله العون، القائم بأعمال سفارة اليمن الديمقراطية، مداخلة حول «الخطر العسكري الاميركي في المنطقة»، جاء فيها « أن ما يسمى بأمن الخليج وأمن البحر الأحمر ... ان هذه التسميات ليست إلا أقنعة تحاول الامبريالية الأميركية استخدامها كتغطية لتدخلاتها السافرة ضد شعوب المنطقة في نهب ثرواتها النفطية والطبيعية الأخرى » .

ثم قدم الدكتور الياس شوفاني مداخلة شفهية ، يمكن اعتبارها أطول مداخلة في الندوة ، وقد عالج فيها بعض الجوانب النظرية المتعلقة بطبيعة الكيان الصهيوني ونشأته . ويرى الدكتور شوفاني أن هذا الكيان يفتقد كل مواصفات الدولة القومية كما يعرفها التاريخ ؛ فهو في وضعه الحالي عبارة عن جيش يكرس له الاسرائيليون وجودهم ولا يمكن له أن يستمر على قيد الحياة بدون مساعدات الشريك الامبريالي : الولايات المتحدة. وأوضح د . شوفاني أن على حركة المقاومة الفلسطينية بصفتها النقيض الأساسي للحركة الصهيونية ، أن تفرض تقييمها لطبيعة الكيان الصهيوني على العالم ، وليس للآخرين أن يفرضوا وجهة نظرهم عليها .

وقد أبدى بعض المشاركين رغبتهم بتوجيه أسئلة الى د . شوفاني ، فلاحظ رئيس الجلسة أن المداخلة كانت شفهية وطلب منه أن يقدمها مكتوبة حتى تتسنى مناقشتها وذلك بسبب أهمية النقاط التي تعرضت لها المداخلة . بعض المشاركين تذمر من منع النقاش وتأجيله إلى أن تكتب المداخلة تحريراً ، وقد حدث أن انتهت الندوة قبل أن يصوغ د . شوفاني مداخلته فلم يجر نقاش بشأنها . وتلقت الندوة ، خلال هذه الجلسة ، برقية تضامنية من الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الجبهة الوطنية المصرية .

أما الجلسة المسائية المنعقدة يوم السبت ١٤/ ٦/ ١٩٨٠ ، وهي الرابعة في الندوة ، فقد عقدت بحضور الأخ نمر صالح « أبو صالح » ، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، وقدم في مستهلها الدكتور عبد الله خالد ممثل جبهة التحرير الوطني البحرانية مداخلة « حول الإنفاق العسكري في بلدان الخليج العربية » . قد استند في تحليله على احصائيات تبين حجم الإنفاق العسكري المتزايد في منطقة الخليج والذي ، حسب قوله ، يبدو « انفاقاً اسطورياً غير قابل للتصديق » . وأعطى بعض الأمثلة ليوضح هذه الظاهرة « فقد بلغت قيمة مستوردات المملكة العربية السعودية من الولايات المتحدة ، في الأشهر التسعة الأولى من عام ١٩٧٦ ، خمسة بلايين ونصف بليون دولار » . وتضمنت تلك القائمة بنداً بقيمة ٥٢ مليون دولار لشراء « زي عسكري للقوات الجوية للمملكة السعودية » . أما دولة مثل عمان فقد بلغت ميزانيتها العسكرية ، عام ١٩٧٩ ، حوالى ٦٨٨ مليون دولار ، في حين لم تتعد ميزانية الخدمات التعليمية والصحية فيها عشرة ملايين دولار . وأوضح كيف أن الولايات المتحدة بصفتها مصدر السلاح الأول لمنطقة الخليج ، تغذي اتجاهات العسكرة فيها كي تستغل ثرواتها النفطية .

ثم ألقى الدكتور كارل هاينز وورنر مداخلته « حول تنسيق السياسة الأميركية مع حكام اسرائيل الصهيونيين ضد العرب». وقد جاء فيها : « إن الولايات المتحدة تستخدم اسرائيل كرأس جسر من أجل تنظيم

إلى السيطرة على اقتصاد الوطن العربي وثرواته . وقد اختتم يخلف كلمته بالتأكيد على « أن هذا اللقاء سيساهم في فضح الامبريالية والكشف عن مخططاتها المستقبلية من عدوان ضد شعوب العالم » .

ثم ألقى الأخ ياسر عرفات، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية كلمته ، مشدداً على أهمية الطابع العالمي للخطر الأميركي، قائلاً : « إن كامب ديفيد لا يستهدف الثورة الفلسطينية وأمتنا العربية فحسب ، وانما يستهدف كل ما هو حر وشريف وتقدمي في هذا العالم». وأضاف:« إن هناك قراراً أميركياً بتحويل ما اصطلح على تسميته بالحرب الباردة إلى حرب حقيقية ، ليس في منطقتنا فحسب وإنما في العالم أجمع». وأوضح الأخ أبو عمار كيف تهدف المخططات العسكرية الأميركية إلى اشعال الحروب في العالم « لتأمين احتكاراتها وللحفاظ على استغلال ثروات عدد كبير من مناطق العالم » .

إضافة إلى الجلسة الافتتاحية ، امتد عمل الندوة خمس جلسات عمل أخرى خلال الأيام الثلاثة المخصصة للندوة بين ١٣ و ١٥ حزيران ١٩٨٠، والقيت خلال أربع جلسات منها ١٦ مداخلة (من بينها ١١ مطبوعة) ، حول جوانب مختلفة من الخطر العسكري الأميركي، وخصصت آخر جلسة ، مساء الأحد ١٥ حزيران ، لعرض نص البيان الختامي .

وفي الجلسة الأولى قدم الرفيق دونيس كريستوفينس ممثل حزب « أكيل » القبرصي مداخلته عن « القواعد البريطانية في قبرص ودورها في خدمة المخططات الأميركية»، مبيناً كيف استخدمت القواعد البريطانية كنقطة انطلاق للعدوان الثلاثي ضد مصر عام ١٩٥٦ ، ثم عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣، من قبل الولايات المتحدة الأميركية لدعم عملائها الاسرائيليين في المنطقة ، « واليوم تستعمل للتجسس على المنطقة في مسعى لفرض اتفاقات كامب ديفيد الغادرة». ولكنه أضاف : إن شعب قبرص وطليعته حزب « أكيل » يحارب عملية بناء قواعد أميركية وأطلسية جديدة في الجزيرة ويناضل من أجل تصفية القواعد القائمة ومحطات التنصت .

ثم القيت كلمة الرفيق فيكتور فينوغرادوف (الذي لم يحضر شخصياً) تحت عنوان: « قوات التدخل السريع وسيلة لتسلط الامبريالية الأميركية العسكري والسياسي » . وجاءت هذه المداخلة المكثفة بالمعلومات الدقيقة والأرقام، لتوضح المخططات الأميركية العسكرية الموجهة ، بشكل عام ، ضد أراضي الدول النامية في أميركا اللاتينية وافريقيا والشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا، وبشكل خاص ضد الشرق الأوسط والخليج العربي . وعرض في بحثه تاريخ نشوء قوات التدخل السريع التي اعتبرت قوات عاملة رسمياً في أول آذار عام ١٩٨٠ . واستشهد فينوغرادوف بأقوال رئيس أركان الجيش الأميركي الجنرال ماير، الذي صرح ، في النصف الثاني من شهر آذار ١٩٨٠ : إن العدد الإجمالي لقوات التدخل سيبلغ حوالى ٢٠٠ ألف عسكري اضافة إلى وحدات الدعم البحري، وانه بذلك يتم تحطيم الرقم السابق والمعروف لقوات التدخل ، أي ١١٠ آلاف رجل .

ويمكن اعتبار هذه المداخلة وثيقةً هامة حول طبيعة قوات التدخل الأميركية ومن أهم مداخلات الندوة بسبب أهمية الموضوع الذي تناولته . وقد أثارت المعلومات الواردة فيها بعض النقاش ، وبخاصة فيما يتعلق بفعالية قوات التدخل الأميركية؛ فرأى بعض المشاركين ، ان هناك عوائق تقنية وسياسية تحد من فعالية قوات التدخل ، بينما أوضح البعض الآخر ان الولايات المتحدة قد تخلصت من كل العوائق السياسية وانها تعمل بجدية من أجل إزالة كل العوائق التقنية التي تواجه هذه القوات خلال السنوات القادمة . أما في الجلسة المسائية من اليوم الأول ، التي ترأسها الأخ محمود درويش عضو الأمانة العامة للاتحاد ، فقد قدمت الرفيقة مارتين مونو، ممثلة الحزب الشيوعي الفرنسي، بحثاً بعنوان: « الآلة العسكرية الأميركية ضد نضال التحرر الوطني»، أوضحت فيه أن فرنسا تعيش الأخطار الموجهة ضد العالم نتيجة للسياسة الأميركية ، ليس على حدودها الشمالية والشرقية فقط ، « بل ان زرع الصواريخ الأميركية الجديدة عند جيراننا في المانيا الغربية عملية ذات نتائج وخيمة ، ويحصل كل هذا كما لو أن الولايات المتحدة ، التي تستمر في خرق اتفاقيات «سالت» والتي تكرس التوازن الاستراتيجي بين الدولتين العظميين ، تريد أن تحول أوروبا الغربية إلى حقل قتال يجعلها، من جهة ، قاعدة للعدوان ومن جهة أخرى هدفاً للدفاع الحتمي » . وأضافت إن الوضع مقلق أيضاً من جهة البحر الأبيض المتوسط، ففرنسا «أمة متوسطية» و« الاسطول السادس الأميركي يتجول فيه باستمرار». ثم قدم المقدم الهيثم الأيوبي مداخلته بعنوان: « العملية العسكرية الفاشلة في إيران : دلالات وأبعاد»، فتحدث أولاً عن عودة الروح إلى المنطق العدواني في الولايات المتحدة

وتحقيق أعمال مشتركة ضد شعوب البلدان العربية وحركات التحرر الوطني فيها ، ومن جهة أخرى ، فإن حكام اسرائيل يستغلون كل الاستغلال حاجة واشنطن لهم لبلوغ أهدافهم الخاصة ». واعتبر الدكتور وورنر ان كامب ديفيد « هو فصل من سلسلة طويلة من المؤامرات الاسرائيلية ـ الأميركية ضد الشعوب العربية ، وهو استمرار لسياسة امبريالية معروفة وجدت الآن ، بعكس الماضي ، قوى عربية تقبل الاشتراك في المؤامرة الامبريالية » .

ثم ألقى الأخ نمر صالح « أبو صالح » كلمة بعنوان:« قوة اميركا بضعف حركة التحرر العربية وضعف أميركا بقوة حركة التحرر العربية » . وأوضح الأخ أبو صالح أن الخطر الأميركي يزداد في المنطقة وفي مناطق أخرى من العالم . وصرح بأن مؤتمر فتح الأخير وجّه صفعة قوية للاستراتيجية الأميركية في المنطقة ،وأضاف: « إننا قادمون على الفرز الاستراتيجي : من مع فلسطين ومن ضدها » .

وتساءل الأخ أبو صالح: «تدخل أميركا لحماية النفط مبرَّر ؟ ! أليست هي محتلة له ؟ » وطالب بوضع خطة عملية لمواجهة الولايات المتحدة التي يعتقد انها لن تستطيع حماية وجودها في العقد القادم .

ثم تحدث كريم مروة عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني « حول الدور الأميركي ـ الإسرائيلي في تفجير الحرب في لبنان » معتبراً ان الحرب اللبنانية هي شكل من أشكال « تجلي الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية على حركة التحرر الوطني العربية » ، واختيار الساحة اللبنانية لتفجير الصراع كان واضح الهدف والغاية؛ فهو يستهدف أمرين : ١ ـ تصفية كل العقبات أمام الحل الاستسلامي الأميركي ـ الصهيوني الرجعي وبخاصة الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ومعارضة سوريا لهذا الحل ؛ ٢ ـ ترتيب أوضاع الساحة اللبنانية لتصبح الحلقة الثانية من حلقات الحل الامبريالي الذي يهدف إلى احاطة الكيان الصهيوني « بكيانات طائفية عنصرية على صورته ومثاله ، تتوافق معه وتشكل حدوداً آمنة له يستطيع الاستناد إليها ، وتعزز دوره كأداة ضاربة رئيسية في يد الامبريالية ضد حركة التحرر الوطني العربية » .

واختتمت الجلسة الرابعة بالقاء سمير كرم ، ممثل الجبهة الوطنية المصرية ، مداخلته وكانت بعنوان « اتفاقات كامب ديفيد قررت حلفا عسكرياً أميركياً صهيونياً مصرياً » . وقد أوضح ان هذا الحلف ذو طابع هجومي موجه أولاً ضد شعوب المنطقةومصالحها، حيث يهدف إلى « حماية نظم وأوضاع سياسية ـ اقتصادية ـ اجتماعية تتطابق مع مصالح الامبريالية الأميركية » ، وثانياً « ضد الاتحاد السوفياتي ليس بصفته الدولة الكبرى فقط ... وانما بصفته الداعم الاساسي لشعوب المنطقة » ، وثالثاً « للسيطرة على منابع النفط العربية » . كما بين ان التنسيق بين أطراف هذا الحلف ليس الا تمهيداً لعمليات عسكرية حقيقية مشتركة أو منفردة . وقد وزع خلال الندوة بحث غني بالمعلومات صادر عن وكالة « نوفوستي » عنوانه:« مبدأ كارتر شكل جديد للسياسة الامبريالية التقليدية في الشرق الأوسط » .

يوم الأحد ١٥ / ٦ انعقدت الجلسة الخامسة وبدأت بمداخلة قدمها بسام ابو شريف عضو الامانة العامة للاتحاد ،عنوانها :« سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط » ، وقد ركز ابو شريف على الخطوط العامة للسياسة الخارجية الأميركية معتبراً ان السياسة الأميركية الشرق أوسطية جزء لا يتجزأ من هذه السياسة الخارجية العامة . وركز على العوامل الأساسية التي اثرت على السياسة الخارجية الأميركية ، خلال العقدين الأخيرين ، فرأى أنها :

أولاً : « تفاقم أزمة النظام الرأسمالي البنيوية الناتجة أساساً عن الركود الاقتصادي والبطالة والتضخم ، الذي وصلت نسبته في عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ إلى أعلى معدلاتها منذ ٢٩ عاماً .

ثانياً : تنامي قوة المعسكر الاشتراكي .

ثالثاً : الانتصارات التي حققتها حركات التحرر في العالم . وقد شكلت هذه العوامل تحديات للولايات المتحدة التي قامت بخطوات عدة لمواجهتها كانشاء اللجنة الثلاثية . وبيَّن كيف انتقلت السياسة الأميركية من مبدأ نيكسون إلى مبدأ كارتر وانشاء قوات التدخل السريع، ثم تطرق إلى أهمية الشرق الأوسط في مخططات الولايات

المتحدة بسبب النفط ، وموقعه الجغرافي الاستراتيجي وكونه سوقاً لبضائع الدول الرأسمالية ، واعتبر معاهدة كامب ديفيد حلفاً طبقياً رجعياً يهدف إلى حماية المصالح الأميركية في المنطقة .

ثم قدم سالم غريب ممثل الجبهة الشعبية لتحرير عمان مداخلة شفهية حول « الوجود الأميركي في عمان » والتغيرات التي أحدثتها الثورة الإيرانية في المنطقة ، وأشار إلى قاعدتي مصيرة وشمريت اللتين استخدمتا من قبل الشاه والسلطان قابوس لشن هجمات ضد جمهورية اليمن الديمقراطية .

وقدم الأخ أحمد عبد الرحمن،عضو الأمانة العامة للاتحاد ورئيس تحرير مجلة«فلسطين الثورة»، بحثاً حول « الدور الأميركي في التآمر على الثورة الفلسطينية » أوضح فيه كيف شكلت انطلاقة الثورة الفلسطينية خطراً جدياً على الاستراتيجية الأميركية وقاعدتها الأساسية اسرائيل ، لأنها تمثل النقيض القومي لاستراتيجية السيطرة الأميركية . وعلى هذا الأساس « كان الصدام والصراع القانون الوحيد الذي يحكم علاقة الاستراتيجيتين في ساحة الصراع المباشر كما في الساحات الأخرى » وبيَّن « ان الترابط العضوي والموضوعي بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية هو الذي يخيف الامبريالية الأميركية » ، هذا في نفس الوقت الذي خلقت فيه الولايات المتحدة « فكراً عربياً توفيقياً قابلاً للتفاهم مع العدو الصهيوني » . وطالب جبهة الصمود باعتماد نهج عبد الناصر والتحالف مع الاتحاد السوفياتي « بغية الانتقال من مرحلة الصمود إلى مرحلة التصدي الصدامي » .

وكانت آخر مداخلة لمندوب الجبهة الشعبية البحرانية الأخ عيسى عبد الله الذي تحدث عن مرتكزات السياسة الأميركية في منطقة الخليج العربي ، وعن استغلال الولايات المتحدة الثروات النفطية والغاز للتخفيف من حدة أزمة الامبريالية ؛ متبعة أساليب عدة منها: تكريس روح المذهبية في منطقة الخليج بغية استمرارها في الهيمنة عليه .

وهكذا جاءت معظم المداخلات يكمل بعضها البعض الآخر؛ حيث شدد بعضها على الجانب النظري وركز بعضها الآخر على عرض المعلومات العسكرية والاقتصادية في إطار تحليلي . وبينما شدد معظم المشاركين على استراتيجية الامبريالية على الصعيد المحلي (الثورة الفلسطينية ، الخليج ، اسرائيل) جاءت بعض المداخلات لتوضح الطابع العالمي لهذه الاستراتيجية والخطر الذي تشكله على العالم الثالث . واذا كان هناك نقص في معالجة الندوة للجانب العالمي من الخطر العسكري الاميركي ، فهذا ناجم أساساً عن عدم حضور ممثلي عدة مناطق من العالم الثالث . فالقارة الافريقية واميركا اللاتينية وجنوب شرق آسيا ، التي لها خبرة واسعة في محاربة الامبريالية الاميركية ، لم تمثل . ثم ان مقتضيات الوقت، كماهو الحال بالنسبة لأي ندوة ، ضيقت من فرص النقاش المثمربين المشتركين خصوصاً في الجلسات المكثفة بالمداخلات .

من ناحية أخرى أظهرت هذه الندوة ، مجدداً ، اهتمام الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى بمصير الشعوب العربية وأبرزت امكانية الاستفادة من الدراسات والابحاث العلمية التي يقوم بها علماء هذه البلدان خصوصاً في مجال دراسة المخططات العدوانية الاميركية .

واثبتت الجلسة الختامية للندوة وعي المشاركين لأهمية وضرورة المتابعة العلمية للتطورات الطارئة على طبيعة وشكل المخططات الأميركية التي تهدف إلى تكريس مكانة الامبريالية وقاعدتها اسرائيل .

وترأس الجلسة الختامية الأمين العام للاتحاد يحيى يخلف ، وعرض سكرتير الندوة وأمين سر الاتحاد الأخ غانم زريقات البيان الختامي على الحاضرين . وكانت لجنة مشكلة من المشاركين قد استغلت فترة الغداء لصياغة نص البيان الختامي الذي لخص معظم الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث التي قدمت خلال الندوة؛ وتركز التلخيص حول النقاط التالية :

١ ـ الخطر الذي تشكله العسكرية الأميركية على أمن وسيادة الدول العربية ، من خلال تسليحها لحلفائها : اسرائيل والنظام المصري والرجعية العربية بغية ضرب الثورات التحررية وعلى رأسها الثورة الفلسطينية ، وتكريس سيطرتها على المنطقة لنهب ثرواتها واستنزافها لمنع أي تطور اقتصادي واجتماعي .

٢ ـ الخطوات التي اتخذتها الولايات المتحدة المتمثلة بانشاء قوات التدخل السريع لضرب الثورات على

صعيد العالم النامي ، عموماً، وعلى الصعيد العربي خصوصاً .

٣ ـ محاولة الامبريالية ضرب التحالف القائم بين حركة التحرر الوطني العربية وحليفها الثابت المتمثل ببلدان المنظومة الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي من « خلال بث سياسة تضليلية حول خطر سوفياتي مزعوم » ، كما تحاول الامبريالية جر أعضاء حلف شمال الأطلسي العدواني لتشديد سباق التسلح بمقاييس لم يسبقها مثيل ولحشد قواتها الحربية ، البحرية والجوية، في منطقة الشرق الأوسط .

وانطلاقاً من هذه المعطيات دعا المشاركون في الندوة :

١ ـ الجماهير العربية وكل قواها التقدمية لتصعيد النضال ضد الوجود الامبريالي بكافة أشكاله ، والعمل على تعرية واسقاط الأنظمة المتحالفة معه ، وتعزيز التحالف مع دول المنظومة الاشتراكية ، الحليف الاستراتيجي الثابت ، ومع فصائل حركات التحرر الوطني العالمية وحركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية .

٢ ـ كافة القوى التقدمية والوطنية في العالم للقيام بحملة احتجاج واسعة ضد الخطر العسكري الأميركي المتزايد ، الموجه لتقويض استقلال وأمن الدول العربية .

كما ناشد المشاركون جامعة الدول العربية ومنظمة دول عدم الانحياز أن تطردا كافة الدول التي تمنح الامبريالية الأميركية القواعد والتسهيلات التي تساعدها على ضرب الشعوب وحركاتها التحررية .

وانتهى البيان معلناً ثقة المشاركين « بأن الكفاح الوطني الفلسطيني، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، سيتمكن ، مستنداً إلى عمقه العربي وإلى دعم القوى التقدمية والديمقراطية في العالم ، من تحقيق أهدافه ومن انتزاع حقوقه المشروعة .

نهى تادرس

رواية « النقيض » و « التركيب » النقدي عند الدكتور حسام الخطيب

بقلم : أفنان القاسم

لم أعرف ناقداً عربياً أو أجنبياً كرس من وقته وجهده واهتمامه ببحث عمل ابداعي والتعريف به ، مثلما فعل الدكتور حسام الخطيب ، مشكوراً ، مع روايتي « النقيض »* . فهو ، قبل دراسته المعنونة : « **النقيض** » **الذي لم يصر** « **تركيباً** » ، الصادرة في العدد ١٠١ ، نيسان ١٩٨٠ ، من مجلة « شؤون فلسطينية » ، قد كتب عن « النقيض » في جريدة « الثورة » الدمشقية ، العدد ٤٧٥٨ ، تاريخ ١٩٧٨/٨/٢٧ ، تحت عنوان : « القاتل الذي لا يقتل » ، وألقى حولها محاضرة في عدة مدن سورية الى جانب رواية « العشاق » لرشاد أبي شاور ورواية « البحث عن وليد مسعود » ، لجبرا ابراهيم جبرا ، نجد تلخيصها في جريدة الثورة ١٩٧٩/٤/٢٦ ، تحت عنوان : « **الدكتور حسام الخطيب والموضوع الفلسطيني في ثلاث روايات فلسطينية** » ، ليعود فيكتب عنها ، يوم ١٩٨٠/٢/١٦ ، في جريدة الثورة دوماً ، تحت عنوان : « الفلسطيني والعربي وما بينهما » ، وأخيراً ـ وعلى التأكيد ليس آخراً ـ ليكتب عن « النقيض » من خلال « الموضوع الفلسطيني » ، العزيز على قلم وفؤاد الدكتور حسام ، في العدد الأخير من مجلة « المعرفة » الدمشقية . كل هذا الوقت المكرس والجهد والاهتمام ، رغم أن الدكتور حسام « لم يحبب » الرواية مثلما يقول ، فكيف لو « أحببها » ؟!

الحكم التقييمي وتقييم التجربة الفنية

ولأبدأ ردي من هنا ، من هذه النقطة الهامة في العملية النقدية ، فأسأل : هل « الاعتراف » بشكل تقريري ـ كما فعل الدكتور حسام في فاتحة دراسته المنشورة في « شؤون فلسطينية » ـ « بحب » الناقد للعمل المنقود أو « بعدم حبه » ضروري عند تقييم التجربة الفنية ؟ وللاجابة على هذا السؤال أقول إن « حب » الناقد لمنقوده أو « عدمه » سيان ، ولا فائدة ترجى منه عند العملية النقدية ، وسواء أعلن الناقد عن هذا أو ذاك بشكل مباشر أو غير مباشر : لأن الأساسي هو الكشف عن « ميكانيزم » العمل المنقود واكتشافه بوصفه عملاً له شخصيته المستقلة ، وأسارع الى الاضافة : وله امتداداته الخاصة في الواقع المعاش : لئلا يفهم من ذلك أنه نص منعزل كما يرى البنيويون البورجوازيون ، وعبر هذه الامتدادات الخاصة في الواقع المعاش يمكن تحديد الرؤية المصوغة فنياً ، والتي بإمكانها أن تكون تقدمية أو متخلفة أو بين هذه وتلك . وأبداً لن تشفع للدكتور حسام مقدمته « الشخصية » ـ حسبما يقول ـ لتبرير ما هو « شخصي » لديه . فهو قد حكم بشكل تقريري ، وبجرة قلم عاجلة ، على « الحد الأدنى » ـ على الأقل ـ من النواحي « الموفقة » في الرواية شكلاً ومضموناً ، والذي ـ بكل شجاعة وأمانة ـ لم يتنكر ، على طريقته ، لها . ومن ناحية

* رواية « النقيض » لأفنان القاسم ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٨ .

أخرى ، فقد أذهل الدكتور حسام قارئه في صدمة الحكم التقييمي (أحببت أو لم أحبب) القارىء الواعي ، فما بالك القارىء اللاواعي (؟ !) ، وحكم على دراسته هو بالحذر عند قراءتها .

والانتقادات التي تبقى في مستوى الحكم التقييمي ، الانفعالي ، المزاجي* ، والتي سواء في ذمها أو في مدحها تصب مباشرة في ذاتانية (Subjectivité) نقدية وليس في موضوعية (Objectivité) نقدية أساسها العمل الابداعي من خلال تشريح دقيق لبنيته الفنية (شكلاً ومضموناً على حد سواء) ، لنصل ، من خلال ذلك ، الى تقييم التجربة لا الى « رفضها » أو « قبولها » ، فلو رفضناها أو قبلناها ، لن يغير ذلك من أدبيتها » شيئاً : ستبقى قائمة بمميزاتها الخاصة ـ حتى ولو كانت هذه المميزات سيئات ـ في واقع الانتاج الأدبي ، وفي الواقع الحياتي الذي تمثله ؛ ومدى « فشلها » أو « نجاحها » متوقف على مدى موقعها وعلاقتها بهذين الواقعين فنياً واجتماعياً ، ليس على « الكيفية » العاطفية لرفضها أو قبولها ، على العنصر الذاتي بكل بساطة ، كعنصر كلي لدى المستقبل (بكسر الباء) سواء أكان ناقداً أو قارئاً .

رؤية ذاتانية للعملية النقدية

يميز الدكتور حسام الخطيب بين نص يروق للناقد ونص لا يروق له . وهو يرى ، فيما يخص التعامل الأول ، أنه « كفيل بأن يحيل الناقد الى مداحة غير نواحة ، وبالتالي كفيل بأن يفقده مصداقيته ، ومن ثم مسؤوليته ، وأخيراً سيكون ذلك عاملاً من عوامل عرقلة تكوين المعيار التذوقي المشترك الذي بفضله استطاعت الروائع العظيمة ، خلال عصور التاريخ ، أن تنال الاعتراف العام ، وأن تظفر بالخلود » ـ هذا ما يقوله الدكتور حسام ـ بمعنى أن التعامل الثاني بين الناقد والنص الذي لا يروق له سيسهل « تكوين ذاك المعيار التذوقي المشترك » الذي انطلق منه الدكتور حسام في نقده لـ « النقيض » كنص غير محبب الى نفسه . ولكن الملاحظ هنا ، وبشكل بارز ، هذا الانطلاق الذاتاني الذي يلح عليه الدكتور حسام في تعامل الناقد مع نصه : « مصداقيته ، مسؤوليته ، مداحة ، نواحة » وكأن الناقد غصن مقطوع من شجرة ، وليس جزءاً من كل فكري ينتمي اليه (وكذلك فيما يخص النص) ليصبح أمام نصه الذي يروق أو لا يروق له تلك الارادة المباشرة ، وليس تلك المنهجية التي يهتدي بها الى استنتاجاته النصيّة ، أي الاستنتاجات التي هي على علاقة بالنص المنقود عبر دلالاته الفنية والاجتماعية الحاسمة . ونتيجة حتمية للانطلاق الذاتاني في العملية النقدية ، لا بد من أن يتحول الخاص كمصطلح « شخصي » ، والمتمثل بقدرة الناقد المطلقة ، الى العام الفضفاض (المعيار التذوقي المشترك ، الروائع العظيمة ، خلال عصور التاريخ ، الاعتراف العام ، الخلود) عبر استنتاجات شمولية لا تفعل إلا أن تبرر من تلك الذاتانية ، ولكن في اطار العام ، كمخرج سهل من « تهمة » الذاتاني الى التعميمي ، فتحتضن العالم ، وتمتطي فرس العصور ، وتعبر الى الخلود (!) وهي في تعاملها مع النص لا بد من تعاملها الأفقي دوماً حتى لا تصطدم بحقيقة منهجية هامة ، ألا وهي : أن النص سواء أكان « محبباً » الى قلب الناقد أو « مبغضاً » ، فهو بإمكانه أن يكون مادة حية للتحليل العلمي ، بعيداً كل البعد عن « متاعب العلاقة الشخصية مع صاحب النص » ، مثلما يقول الدكتور حسام . وأن « الاحكام السلبية » التي لها ما يبررها موضوعياً في النص المعالج ليست من اختراع الناقد « لتستجر غضب صاحب النص وعداوته » ، مثلما يضيف الدكتور حسام ، وليجرنا ، مرة أخرى ، ألى الرؤية الذاتانية ، أو الشخصانية ، والى الوعي الفردي ، وكأن غضب صاحب النص أو فرحه سيغيران من طبيعة النص البعيد عن أن يكون نصاً منعزلاً ، من حركته ، ومن مميزاته الخاصة .

أزمة نقدية يساراً ويميناً

النقطة الثانية في هذه المسألة ، وهي نقطة مكملة للنظرة النقدية الذاتانية للدكتور حسام ، عندما يعتذر بدماثة أقدرها « لتحرشه » بـ « النقيض » ، وأنه ـ مثلما يقول ـ : « بما يحاول اثارته من اهتمام بهذه الرواية التي مضت حتى الآن دون التفاتة من

---

* اضع خارج الدائرة الشاعر بُراق والأستاذ حسن الباش فقط اللذين حاولا ، في مقالتين نقديتين ، تدعيم موقفهما ، بينما لم يتقدم واحد من الكتّاب والمستشرقين الآخرين بالكتابة تكريساً لانطباعاتهم . وعلى اعتبار أن الأكتفاء بالاحكام الشفوية فيه معنى من الهروب الى الأمام ، فأنا أوجه للجميع عتاباً عميقاً حاراً .

النقاد ، قد أتيحت لها فرصة الانصاف الذي لم يستطعه ، وذلك من خلال ما قد يسلط عليها من أضواء نقدية في المستقبل ، الخ ... » ؛ وكأن الامر متوقف على « فرصة انصاف » أو عدمها بكل هذه البساطة من الثنائية الاخلاقية في طرح المسألة النقدية العربية عامة ، وحول روايتي « النقيض » خاصة . فنحن ، نعاني من أزمة نقدية مستفحلة لها جذورها الفكرية والاجتماعية يساراً ويميناً . اليمين يعمل على تجيير كل شيء لحسابه من خلال القمع الايديولوجي السائد ، واليسار يلهث ، لقوة الضربة اليمينية ، ولعوامل أخرى ، بالطبع ، ذاتية وموضوعية ، ولا ينجح ألا نسبياً في جمع أنفاسه : فهو إما أن يهرب الى الأمام ، حاملاً على كتفيه مسألة « المعاصرة » ، وإما أن يهرب الى الوراء حاملاً على كتفيه مسألة « التراث » .

النقد النقضي

أعود الآن الى هذه النقطة التي أشرت اليها بسرعة في فقرة سابقة ، نقطة النقد النقضي ، لأعاينها من ثلاث نواح : الناحية « المنهجية » ، وأجدني أضع « منهجية » بين قوسين تجاوزاً ، لأنه لا توجد منهجية علمية حد أدنى لدى الدكتور حسام الخطيب ، وسنرى هذا بالتفصيل ، ثم الناحية الشكلية لنقده ، وفي الأخير ، الناحية الداخلية لبنية هذا النقد ، حيث سأقصر هذه الناحية - دونما حاجة الى تطويل - على المستوى الاستنتاجي لديه .

الناحية « المنهجية »

يبدأ الدكتور حسام مقدمته « الشخصية » بهذه العبارة ذات الدلالات « المنهجية » التناقضية الهامة :

« بتهيب أكتب عن « النقيض » لأنني لم أحبب هذه الرواية ، وأخشى أن يقودني [عدم] الهوى* الى غمطها بعض مزاياها ، على أنني ، في الوقت نفسه ، أخشى أن تقودني هذه الخشية الى التكفير عن مشاعري السلبية بتصيد الحسنات وتكبيرها ، على الأقل ، من أجل تفادي تهمة التحامل » .

اذن ، « لم يحبب » الدكتور حسام الرواية ، ومع هذا ، فهو « يكتب عنها » ، ولكنه يكتب عنها « بتهيب » .

لدينا هنا ثلاث حركات تنقض الواحدة منها الأخرى ، وهي لا تغادر المستوى « الشخصي » الذي حدده الدكتور حسام كمنطلق « منهجي » لعمليته النقدية إلا عن طريق الشعور الذاتي (أو الذاتانية) نحو النص : « أخشى أن يقودني [عدم] الهوى الى غمطها بعض مزاياها » . الشعور الذاتي هنا واضح : الخشية من عدم الهوى ، والذي لا يلبث الناقد أن ينقضه « بخشية » اخرى : « أخشى أن تقودني هذه الخشية الى التفكير عن مشاعري السلبية بتصيد الحسنات » ، وينقض « تصيد الحسنات » (في التصيد قلة) بـ « تكبيرها » ، وكل هذا لأجل نقض « تهمة الدكتور حسام بعد سطور قليلة بشكل غير مباشر - بينما صاحب النص ، (يعني أنا) ، وأقولها بكل صراحة اخلاصاً مني للدكتور حسام خاصة وللنقد التقدمي عامة ، ان « تهمة التحامل » هي آخر ما سيخطر علي بالي ، وهمي الوحيد ، مثلما أنا فاعل الآن ، هو الرد الموضوعي العلمي النزيه حيث به تنتفي كل التهم في سبيل مصلحة نقدنا وأدبنا التقدميين فقط .

أعود فأقول إن في تفسير الدكتور حسام « لعدم حبه » « للنقيض » يتضح ويعمق ، أكثر فأكثر ، البعد المشاعري « لمنهجيته » في مستوييه الواعي واللاواعي ، وليس هذا فقط ، بل ويبدد فيها الحد الأدنى العلمي بعد أن تتحول الى أحكام نقدية مطلقة ، وفي الوقت نفسه،متناقضة لتناقض مستويي الشعور السابقين طبعاً .

يقول الدكتور حسام : « ان هذه الرواية خلطت الدر بالآجر ، وهي مشروع لعمل جليل وجاد وخطير ، اجتمعت له عناصر ممتازة من سلامة التفكير ونفاذ النظرة وصدق التجربة ، ولكنه لم يستطع أن يكون « تركيباً » مصقولاً جذاباً ، لأنه ربما كتب تحت تأثير جو معين » .

طريقة النقد النقضي - على مستوى الاحكام التقييمية - واضحة هنا : « الآجر » ينقض « الدر » وعدم الاستطاعة بأن يكون العمل « تركيباً مصقولاً جذاباً » ينقض العمل كمشروع « جليل وجاد

---

* في النص الأصلي نقرأ : « وأخشى أن يقودني الهوى الى غمطها بعض مزاياها » ، والهوى في طبيعته لا « يغمط » بل على العكس « يغبط » ، ولهذا اضفت كلمة (عدم) الهوى .

وخطير ، الخ ... » ، وفي الأخير ، هناك الاستنتاج : « لأنه ربما كتب تحت تأثير جو معين » ، والذي يبرر وفي الوقت نفسه ينقض النقطتين السابقتين . والعملية هنا ـ حتى ولو سلمنا بهذه الاحكام التقييمية المطلقة كفرضيات يريد الناقد اثباتها ـ لا تجري على أساس الثالوث العلمي المنبع : طريحة ـ نقيضة ـ نتيجة ، ولكن على اساس ميكانيكي يبقى اعتماده أساسياً على الاستنتاجية المشاعرية وذبذباتها المتوقفة على حرارة تلك المشاعر في انفعالها أو برودة تلك المشاعر في انكماشها وانحسارها ، والدكتور حسام نفسه « يعترف » بذلك عندما يقول في خاتمته :

« أستطيع أن أخمن ان قراءة سريعة للدراسة الحالية يمكن أن تضع القارىء في حيرة من أمر موقف الناقد منها ، فهو تارة مادح وتارة قادح » .

وهو يهرب من « اعترافه » هذا ومن « قدحه » على الخصوص بنقضه في الحال عندما يثني على الرواية « كمحاولة جريئة ربما كانت الأولى من نوعها في ارتياد جوهر التناقض الذي شغل المنطقة العربية والعالم منذ مطلع هذا القرن » (الاتجاه المشاعري التهويلي دوماً) وسرعان ما ينقض النقض بنقض آخر (فليغفر لي القارىء !) عندما ينفي بشكل تقريري في الرواية ما يعكس كل « مواهبي التي أظهرتها أعمال فنية أخرى نشرتها قبل هذه المغامرة وبعدها » !

الاتجاه التركيبي

وأجدني ، قبل أن أذهب الى الناحية الشكلية لنقد الدكتور حسام الخطيب ، مضطراً لتوضيح الاتجاه « التركيبي » المهيمن على رؤيته . فهو ، حسب الاستشهادات السابقة ، يؤكد في « النقيض » على سلامة مضمونها ـ على الأقل بشكل مؤقت لأنه لا يلبث أن ينقض هذه « السلامة » بسبب « حشد » المادتين الاخبارية والتحليلية مثلما يقول ـ وفي الوقت نفسه يؤكد على عدم استطاعة « النقيض » أن تكون « تركيباً مصقولاً جذاباً » ، أي على « عدم سلامة » شكلها ـ على الأقل بشكل مؤقت أيضاً لأنه لا يلبث أن ينقض هذا الاستخلاص تحت فصل « الرواية فناً » ، ويعطي لذلك بعض التبرير ـ فالجمع التوفيقي بين الشكل والمضمون أو الفصل بينهما لا يجريان الا حسب ذاك الاساس التركيبي « النقضي » السابق : ضرب الشكل بالمضمون أو الشكل بالشكل أو المضمون بالمضمون ، واللجوء الى التبرير الشكلي ، كما في حالة ما أن يكون التركيب « خشناً ولا مصقولاً » : خشناً لأنه « لم يكن سهلاً ابراز طرفي النقيض دون تبني تقنية معقدة » مثلما يقول الدكتور حسام ، ولا مصقولاً ، « لأنه ربما كتبت [الرواية] تحت تأثير جو معين » . (وأنا أتساءل حالاً : أي عمل ابداعي لم يكتب تحت تأثير جو معين ؟) ثم لا يلبث أن ينقض التبرير الشكلي بالتبرير المضموني : « ما أكثر ما تقوله الرواية ، وما أشد خصبه وتنوعه وتعدده ، انها رواية الصراع بين العربي الفلسطيني والصهيوني اليهودي ، إنها لمحاولة جريئة لاستيعاب عناصر هذا الصراع شاقولياً وأفقياً ولم أطرافه المستعصية عن اللم ، ومن أية زاوية ؟ من زاوية المقارنة الدقيقة بين مفهومين للمشكلة ، وموقفين نفسيين منها ، ومسلكين عمليين لها ، الخ .. » .

هنا ، يمكنني القول : إن الرؤية « التركيبية » التي يتسلح بها الدكتور حسام منهجاً هي التي أوقعته في « مطب » الابتعاد عن الرؤية الجدلية : نعم أقول الرؤية الجدلية التي كتبت بها الرواية على كل مستوياتها ، سواء أكانت هذه المستويات ما بين الزمان والمكان أو ما بين الشكل والمضمون أو ما بين الشكل والشكل ـ اذا استطعت القول ـ وهذا ما غصنا في أعماق المصطلحات والاستعارات والفصول وعلاقاتها ، أو ما بين المضمون والمضمون ، وهذا ما غصنا في تعددية زوايا الرؤية الاجتماعية والانسانية والفكرية المتمثلة للصراعات الدائرة ما بين الابطال وما بين الابطال والواقع الاجتماعي . ان ميكانيكية الرؤية لدى الناقد تبقى **هي هي** : أي أنها تبقى ميكانيكية حتى لو وضعنا تحت عدستها عملاً جدلياً ، وهي لا تستطيع ، بل انها تعجز : لأن عجزها جزء من تكوينها ، على التأثر والتأثير في العمل الابداعي نقداً وتشريحاً ، حتى لو كان المقصود في التشريح تجريحاً.

وأنا ، في هذا المقام ، وبالنسبة لطاقتي الجمالية والرؤيوية ، في زمن كتابتي هذه الرواية ، وبسبب هذا الزمن أيضاً ذي الخصائص المحددة ، لا أدعي أنني قدمت عملاً ابداعياً جدلياً « كاملاً » . ولكني ، على العكس ، أدعي بوجود الحد الأدنى منه في « النقيض » . وحتى لو حاول الدكتور حسام وضع يده على هذا الحد الأدنى من جدل الرؤية والفن في روايتي ، فسوف ينقضه حالاً بنظرته « التركيبية »

التي ستتحول الى « مثل أعلى » يمكننا أن نرى ملامحه بوضوح في عنوان الدراسة : « النقيض الذي لم يصر تركيباً » وقد انعكست الآية ـ بقدرة قادر ـ حيث التركيب صار جدلاً والجدل صار تركيباً !

الناحية الشكلية

ألفت الانتباه الى أنني سأتعرض هنا لشكل نقد الدكتور حسام للنقيض ، وليس لملاحظاته عن شكل الرواية ، لأن هذه الملاحظات التي تدعي بإطلاقيتها هي ، موضوعياً ، غريبة عن النص .

بعد مقدمة الناقد ، « الشخصية » مباشرة لدينا فصل تحت عنوان : « ماذا تقول الرواية ؟ » ، وبعد سلسلة من الاحكام ، والتكهنات والاستنتاجات التبريرية للتجربة الروائية تارة وللكاتب تارة أخرى ، يصل الدكتور حسام الى أن الرواية عبارة عن « محاولة جريئة » وأن ما هو أشد جرأة منها اقدام قارىء « فدائي » على تلخيصها » .

اذن ، يسبغ الدكتور حسام طابع التعقيد على الرواية الذي لا أنفيه بدوري ، ولكنه يسبغه **لتبرير** عملية التلخيص المعقدة ، التي لا يمكن أن يقوم بها إلا قارىء « فدائي » : أي ، قارىء « مغامر » ، وفي الوقت نفسه ، أقوى من النص . وفي هذا يكمن الموقف « التسلطي » الذي يقود العملية النقدية ليس فقط في تلخيص الرواية حيث لا تلبث الملاحظات الموضوعة بين الاقواس* المرافقة للتلخيص أن تنقض « الحيادية » المتمثلة في العنوان : « ماذا تقول الرواية ؟ » ، ولكن أيضاً عندما يبدأ التحليل بالفصل « معنى النقيض » ، حيث نقرأ : « ولعل الخطوط العريضة التالية تشكل عناصر فهم النقيض لدى أفنان القاسم » ، والمفروض أن يقول الدكتور الخطيب : عناصر « فهمي » أنا لنقيض أفنان القاسم ، وهو بذلك يرد للكاتب ، صاحب النص ، أشياء رآها هو ، والتي ليست بالضرورة ما رآها الكاتب . انه يتسلط على النص من الخارج عند تلخيصه ومن الداخل عند تحليله ، ويحاول أن يبقى في كلتا الحالتين طرفاً محايداً ، ليوهم القارىء بأحكامه المطلقة ـ قدحاً ومدحاً ـ كأحكام نهائية ، وليوقع النص والقارىء معاً في مأزق العجز الذاتي :

« ان القارىء **لا يستطيع أن** يجزم تماماً بما يقصده [البطل] علي من فكرة ، الخ .. » . وفي مكان آخر نقرأ : « ان رواية النقيض الداخلية ـ شأنها شأن رواية النقيض الخارجية ـ تعاني من عدم الاستواء في الاجادة ، وما أكثر ما فيها من ارتفاعات وانخفاضات ، وما أكثر ما تفاجىء القارىء بما **لا يسمح له** بالاستمرار في التأثر ، وبالتالي التعلق بما يجري ، الخ .. » .

حقاً إن النقد العلمي الحديث لا يمنع القيام بعملية تلخيص للنص المنقود ، ولكن بناء على محاور يعمل الناقد على توسيعها نقداً لاثبات الموضوعة الاساسية . وعلى العكس اذا ما تعلق الأمر هنا بالتلخيص ، فهو تلخيص كلاسيكي ، وفي الوقت نفسه ، تفسيري . واذا ما تعلق الامر بالموضوعة الأساسية : « معنى النقيض » مثلما يحاول الدكتور حسام التوصل اليه ، فهو كلاسيكي ، ايضاً ، وفي الوقت نفسه تفسيري ، في محاولة دائمة لتحميل النص أو صاحبه أو القارىء عناء استنتاجات الناقد الذاتانية عن طريق تسلطه النقدوي ، وليس عن طريق بحثه النقدي ونبشه واستقصائه وجدلية نظرته للنص شكلاً ومضموناً ، ولجدل العلاقة القائمة بين النص كفن ورؤية والواقع كأساس مادي واجتماعي . وأحسن مثال نعطيه على الطريقة التسلطية النقدوية لدى الدكتور حسام الخطيب ، عندما يستعرض « بسرعة » ـ حسبما يقول ـ « طبيعة كل من الطرفين (المتصارعين) كما يبدو من الرواية » ـ لنلاحظ مرة أخرى أنه لا يقول كما يبدو لي أنا من الرواية ـ فهو يحدد هذه « الطبيعة » بالنسبة للطرف الفلسطيني ، وكذلك بالنسبة للطرف الصهيوني ، تحت تفرعات عديدة لمفهوم « الضحية » . ولكن كيف ظهر البطل الفلسطيني أو البطل الصهيوني كضحية ؟ أي كيف جرى تقديمهما فنياً ؟ فنحن لا نقف على شيء .

---

* يقول الدكتور حسام الخطيب في لحظة من لحظات تلخيصه : « وتعترضه عجوز معروقة ، ويتطور بينهما صراع مرير (ربما رمز الماضي التعيس جداً) » ، ويقول ايضاً : « لولا أن أخاه (وجهه الآخر) يأتي فجأة (من اللامكان) لينقذه ، ولكن العجوز تصر على قتل علي ، وتظفر بذلك (لينتهي بمقتله مسلسل فوج معين من فلسطينيي التجربة الأولى) » ، وهناك أمثلة أخرى عديدة مشابهة .

ونتيجة لذلك أقول ، إن النص النقدي عند الدكتور حسام الخطيب هو نص موازٍ للنص المنقود ، لا يتحد أو يتفاعل معه أبداً ، بل ينقضه بشكل متواصل ، وعلى أساس تركيبي يحاول اثبات ما هو ذاتاني لدى الناقد ، وكأنه الحكم الأول والأخير .

الناحية الداخلية

سبق أن قلت ـ للاختصار وبعد التشكيك العلمي الذي زرعته في الدراسة المعنية ـ إنني سأقصر ردي ، فيما يخص الناحية الداخلية لنقد الدكتور حسام الخطيب ، على المستوى الاستنتاجي لديه ، وذلك في ثلاث نقاط تالية :

أولاً : يستنتج الدكتور أن « الطريق اذن ما يزال طويلاً محفوفاً بالمخاطر ، ومسلسل التضحيات لا بد له من أن يستمر ، ولكن تباشير الأمل موجودة دون أن يكون هناك شيء مؤكد أو غاية محددة . هناك أمل عريض غامض بالخلاص ، لا أكثر من ذلك ولا أقل ، ولكن ما هو الخلاص ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ والى أية غاية ؟ هذه الأسئلة تتركها الرواية معلقة في الفراغ » .

وفي السطور اللاحقة مباشرة ، وبناء على منهجه النقضي ، ينقض بشكل ميكانيكي استنتاجه الأساسي السابق باستنتاج ثانوي عندما يقول : « وبالطبع ، ليس في هذه الملاحظة أي ايحاء بالنيل من الرواية ، انها مجرد تقدير واقع ، فالرواية سيدة نفسها ، تقول ما تشاء ... (الخ) ومن حق الرو ية ألا تلزم نفسها بأية رؤية محددة » .

وأنا أتساءل ، بالطبع : كيف يمكن أن يكون من حق الرواية ألا تلزم نفسها بأية رؤية محددة ؟ وما المقصود من « رؤية محددة » في هذا السياق ؟ هل هي تصور العالم من طرف الكاتب أم « النهاية » التي من المفترض أن تصل اليها الرواية ؟

ثم ، وفي السطر نفسه ، ينقض الدكتور الخطيب « حق » الرواية السابق « بحق » لاحق : « ولكن من حقها أيضاً أن تفعل ذلك حين تستند الى تحليل ايديولوجي متماسك أو موقف ثوري صلب » .

وما يفهم من هذا ، أن الدكتور الناقد ينفي استناد الرواية الى تحليل ايديولوجي متماسك وموقف ثوري صلب ، ولكنه يعود بعجلة الى نقض الاستنتاج اللامباشر السابق عندما يؤكد ان « النقيض » المكتوبة سنة ١٩٧٢ قد اتكأت على « مفهومات الثورة الفلسطينية وتجربتها [وهذا ما] يؤلف الأساس لأحد جناحي الفكر النضالي الذي استندت اليه ، أما الجناح الثاني الذي يعادل الأول أهمية ان لم يفقه فهو الايديولوجية الطبقية » .

وعدا عن مطالبتي الشرعية بتفسير هذا المصطلح العجيب المميز بـ « الايديولوجية الطبقية » ، لا حاجة بي الى الرد على الاستنتاج الاساسي حول « الأمل العريض والغامض بالخلاص » الذي تتركه نهاية الرواية ، وقد قام به الدكتور حسام وبطريقته النقدية المنتقدة من طرفي خير قيام ، على اعتبار أن الأمل بالخلاص العريض واللاغامض ـ اذ لا أجد في حمل البندقية غموضاً ـ حلقة من حلقات أخرى ستتبع في فكر وزمن وواقع (سماها الدكتور الخطيب بمفهومات وتجربة) القضية الفلسطينية .

ثانياً: يستنتج الدكتور حسام الخطيب أن نصيب الطرف الصهيوني من عقدة المعاناة ـ مثلما ظن في الرواية ـ كان أكثر بروزاً من نصيب الطرف الفلسطيني . ويضيف أنه « من الصعب أن يجزم القارىء بأن مؤلف الرواية قصد قصداً الى معالجة هذه الناحية النوعية ، ولكن يظل حق القارىء ان يتوصل الى هذا الاستنتاج » .

وهنا لا بد لي من قول إن ما بدا أكثر بروزاً لمعاناة اليهودي عبر المراحل التي حولته الصهيونية فيها الى صهيوني ، وليس الصهيوني في وضعه الأخير ، تأخذ مداها التهويلي من هذا الهدف **المقصود** (تحويل اليهودي الى صهيوني) الذي أردت ابرازه . ولن يعجز القارىء ـ لي الحق في الدفاع عنه ـ عن تمييز هذا من ناحيتين : **الأولى شكلية** ، وقد جعلت فقرات التداعي النفسي لدى اليهودي المصهين تأتي على شكل مخاطبة فوقية ومباشرة من طرف دعاة الصهيونية « مستعملين صيغة الأمر ، وطبيعياً أن تبرز هذه الصيغة المباشرة والفوقية والآمرة على صيغة المناجاة الهامسة بين الفلسطيني وأمه . **والثانية مضمونية** ، وقد تعمدت أن أبرز ، وفي الوقت نفسه ، أن أرد بشكل غير مباشر على الادعاءات الصهيونية المهولة (بشد الواو) ، وبسبب هذا التهويل ـ من بين أسباب أخرى بالطبع ـ استطاعت أن تأخذ مداها في نفس اليهودي وفي الواقع العملي .

ان ما يصفه الدكتور حسام بعقدة المعاناة فيما يخص الصهيوني هي أكثر بروزاً من هذه الناحية

التهويلية المصطنعة لدى الصهيونية كأيديولوجيا ونظام هدّامين حاولت كل جهدها ـ ونجحت الى حد كبير ـ في قلب الأمور على أعقابها، بعد أن جعلت من « معاناتها » المهولة (بشد الواو) والمصطنعة معاناة « انسانية » و « طبيعية » وقد اثبتت روايتي العكس تماماً عن طريق ابراز انسانية وطبيعية معاناة الفلسطينيين ، على مستوى التطور التاريخي والاجتماعي للقضية ، وعلى مستوى تطور المصطلح اللغوي أيضاً الذي يصرّ عليه ، ومن هذه الناحية فقط ، الدكتور حسام .

ثالثاً : يستنتج الناقد أنه : « ما دامت هذه حال الطرفين ، فإن النقيض ليس مما يحل بسهولة لأنه يحمل كل ترسبات الماضي والحاضر للطرفين اللذين تزيدهما تجربة الصراع تعقيداً وعناداً وأصراراً وتوجساً . وههنا المعضلة التي تبرزها الرواية ابرازاً جريئاً ، ولكنها تخرج منها بحل مبسط جداً ربما لا يستند الى كل التحليلات القوية في صلب الرواية (امتشاق البندقية الى جانب الطبقة العاملة) » .

وهنا أجيب بتأن وصبر أن امتشاق البندقية ، هذا الفعل الثوري الهائل الذي لا يمكن لامرىء أن يتجاهل عظمته وأهميته كأعلى أشكال النضال ، والى جانب الطبقة العاملة ، أي الى جانب صاحب المصلحة الأولى في الحركة التحررية ، والكفيل الأوحد بالحفاظ على امتشاق البندقية ؛ هذا الفعل الثوري الهائل لا بد من رؤيته كحل ولكن أيضاً كوسيلة ـ بالنسبة اخصوصية القضية الفلسطينية ـ وليس كحل أحادي رومانطيقي . لا بد من رؤيته كحل مرتبط بجملة من العوامل والأهداف السياسية والاجتماعية والثقافية ، وليس كحل منعزل ومفرغ من مضمونه الشامل لكل أبعاد الصراع ما بين الفلسطيني والصهيوني ومعه الاستعمار والرجعية من جهة ، وما بين الماضي والحاضر من جهة أخرى ، وكمؤشر نحو المستقبل الذي فيه سيتحقق ـ بواسطة البندقية الآن أو بواسطة البندقية والصراع الطبقي في وقت لاحق ـ نزع اليهودي من صهيونيته واعادته الى انسانيته المفقودة .

صحيح انه لم « ترد تجربة الثورة الفلسطينية في الرواية إلا بشكل تلميحات » مثلما يقول الدكتور حسام ، ولكن هذا لا يمنع أن تكون البندقية ، وحسب منطق الرواية التطوري الداخلي والموازي للواقع ، أهم هذه التلميحات ، بل هي الأهم ، والتي ، على عكس ما يقوله الدكتور حسام ، الأكثر جوهرية .

لا ، ليس من حقك يا صديقي الدكتور حسام ، أن تعيد صياغة « النقيض » حسب مقاييسك الخاصة بك وبرؤيتك ، وليس من حقك أيضاً أن تقحم الرواية والتاريخ الذي **تمثلته على طريقتها** ، وتقحمني ، من خلال هذه المقاييس الخاصة وتلك الرؤية التي تقود خطواتك النقدية أنت ، ولكن ، من حق الرواية عليك ، وكل انتاج أدبي آخر ، والفن عموماً ، أن تتركه يتشكل حسب رؤيته هو ، وبالصيغة الفنية التي تناسبه ، والعلاقة الجدلية الهامة التي من العادة ان تربط الناقد بالمنقود لا تنقُض المسافة القائمة بينهما ، ولا تنفي تمايز فكر الناقد وفكر المنقود ، ولكنها تنفي بشكل قاطع « التبني » الأخلاقي للنص ، وحصره في حالتي « الانصاف » أو « عدمه » ، حتى لو أتى الدكتور حسام ببيتي شعر جميلين لأبي تمام تدعيماً ، « منهجياً » لنقده .

المقاومة الفلسطينية عسكرياً

النشاط الفدائي ومقاومة الاحتلال في الداخل والتحركات العسكرية الاسرائيلية والانعزالية في الجنوب اللبناني

لم يطرأ تبدل على الموقف العسكري في الجنوب فظل على حاله ، في حين واصل رجال المقاومة نشاطهم التقليدي في الداخل .

١ ـ نشاط رجال المقاومة داخل الارض المحتلة

في الوقت الذي كانت فيه الشرطة تحقق بحادث انفجار عبوتين ناسفتين ، في بتاح تكفا ، يوم ١٩٨٠/٦/١٠ ، جرت بعد الظهر محاولة لاغتيال احد افراد حرس الحدود في القدس ؛ وقد وقع الحادث في منطقة باب الساهره ، اذ أطلق مجهول النار من سور المدينة على دورية لحرس الحدود كانت تسير في شارع السلطان سليمان ، مما أدّى الى إصابة احد جنود الدورية . وعلى الفور وصلت الى مكان الحادث قوات كبيرة من الشرطة وحرس الحدود فأغلقت الشارع والمحال التجارية ، كما وصل مختبر متنقل للتحقيق الجنائي وبوشر بالتحقيق ؛ وتم اعتقال اكثر من مائة شخص كانوا موجودين في المنطقة ساعة وقوع الحادث . هذا وقد اعتبرت جهات امنية اسرائيلية الحادث حالةً استثنائية واسلوب عمل جديد يتم تنفيذه ، لاول مرة في وضح النهار في شارع رئيسي في القدس (« ر إ . إ . » ، ١٠ ـ ١٩٨٠/٦/١١) . ومن جهة أخرى ، واصلت قوات الامن البحث عن الفاعل ، وقد احتفظت شرطة القدس بمشبوهين وفرضت ستارا من السرية على سير التحقيق .

ومساء ١٩٨٠/٦/٢٤ ، ألقى مجهول زجاجةً حارقة على باص تابع لشركة « ايغد » الاسرائيلية كان متوجها من القدس الى مستوطنة كريات اربع. وقد وقع الحادث جنوبي مخيم « الدهيشة » في منطقة بيت لحم ، ولم تصب الزجاجة الباص كما لم تقع اية خسائر أو أضرار ؛ وعلى الاثر قامت قوات الشرطة بتمشيط المنطقة وعثر ، خلال ذلك ، على زجاجة ثانية ، وقد تم توقيف عدد من الأشخاص للاشتباه بهم (« ر إ . إ . » ، ٢٤ ـ ١٩٨٠/٦/٢٥) . وفي تل ـ ابيب ، أعلن ناطق باسم الشرطة الاسرائيلية ان ثلاثة اسرائيليين أصيبوا صباح ١٩٨٠/٦/٢٤ بجروح ، عندما انفجرت قنبلة موقوته أمام متجر في احدى ضواحي تل ـ ابيب .

وأضاف الناطق أن صاحب المتجر وزوجته واحد المارة نقلوا الى المستشفى بعد الانفجار ، وصرح بأن الفدائيين هم الذين نفذوا العملية ، وكان ناطق عسكري اسرائيلي قد ذكر ان شحنة ناسفة انفجرت صباح ١٩٨٠/٦/٢٣ بالقرب من موقف لسيارات الركاب في القدس الشرقية وأن أية اصابات أوخسائر لم تقع (« **السفير** » ، ١٩٨٠/٦/٢٤) . وفي تل ـ ابيب ، صرح ناطق باسم الجيش الاسرائيلي ان احد أفراد الاستخبارات الاسرائيلية ، موشي غولان ، (٣٤ عاماً) ، قتل يوم ١٩٨٠/٦/٢٥ ، أثناء الخدمة في اسرائيل ؛ وأكد المصدر أنه قتل على ايدي اشخاص عرب من قرية مجدل في شمال اسرائيل ؛ والقتيل ضابط احتياط في سلاح المدرعات يخدم في الاستخبارات . وبعد الظهر منع الجيش الاسرائيلي التجول في مخيم بلاطه للفلسطينيين القريب من

نابلس . وقال ناطق عسكري أن هذا الاجراء اتخذ تسهيلا للتحقيق (« **النهار** » ، ١٩٨٠/٦/٢٦). وفي وقت لاحق ، صرح ناطق عسكري اسرائيلي بأن قوات الأمن استطاعت التعرف على الشاب العربي الذي قتل ضابط الاستخبارات الاسرائيلي ، موشي غولان ، وقال الناطق ان الشاب العربي يدعى بسام محمد حبش (٢١ عاما) من مخيم بلاطه وقد قتل هذا الشاب أثناء مقاومته قوة اسرائيلية حاولت القبض عليه (**المصدر نفسه** ١٩٨٠/٦/٢٩) . وفي تطور آخر ادعت مصادر عسكرية اسرائيلية أن قاتل ضابط الاستخبارات الاسرائيلي كان عميلا مزدوجا أمره الفدائيون الفلسطينيون بقتل الضابط (« **السفير** » ، ١٩٨٠/٦/٣٠) .

وفي تل-ابيب ، بثت الاذاعة الاسرائيلية ان منع التجول فرض يوم ١٩٨٠/٧/٤ على مخيمي نصيرات ودير البلح للاجئين في قطاع غزة اثر انفجار لغم في المنطقة تحت سيارة عسكرية اسرائيلية . وقالت الاذاعة ان احد العسكريين أصيب بجروح خطيرة في الانفجار ونقل الى مستشفى بئر السبع . ولاحظ المراقبون انها المرة الاولى ، منذ اشهر ، التي يشهد فيها القطاع مثل هذه العملية (« **النهار** » ، ١٩٨٠/٧/٥) . وفي القدس اكتشفت الشرطة الاسرائيلية عبوة موقوتة في مركز تجاري ، في أحد الاحياء اليهودية ؛ فعطلتها قبل الموعد المحدد لانفجارها (**المصدر نفسه**) . وفي دمشق صرح الناطق باسم المقاومة الفلسطينية بأن الثوار العاملين داخل الاراضي المحتلة تمكنوا من تفجير سيارة ضابط استخبارات اسرائيلي في بلدة دير البلح ، مما أدى الى اصابة الضابط بجروح خطيرة . وقال الناطق ان الفدائيين زرعوا عبوة موقوتة داخل احد اقسام السوق التجاري المركزي في حي النبي يعقوب في القدس ، لكنها اكتشفت قبل انفجارها (**المصدر نفسه**) . وفي تل-ابيب، بثت الاذاعة الاسرائيلية ان محاولة لتفجير سيارة ركاب كبيرة فشلت امس في رامات غان قرب تل-ابيب، وقالت الاذاعة أن عبوة ناسفة وضعت في السيارة اكتشفها السائق واستدعى خبراء المتفجرات لتعطيلها (« **النهار** » ، ١٩٨٠/٧/٨) .

٢ ـ النشاطات والتحركات العسكرية الاسرائيلية والانعزالية في الجنوب اللبناني

مساء ١٩٨٠/٦/١٣ قصفت مدفعية اسرائيل والمليشيات الحدودية ، قرى قضاءي النبطية وصور ، وقد شمل القصف قلعة الشقيف ومنطقتي كفررمان وحبوش ، وامتد حتى صور ليشمل بلدة يحمر . وقد واصلت المدفعية الاسرائيلية ـ الانعزالية قصفها المركّز لهذه المناطق حتى منتصف الليل (« **السفير** » ، ١٩٨٠/٦/١٤) . وفي الساعة الخامسة من فجر ١٩٨٠/٦/١٦ اصطدمت سفينة تابعة لسلاح البحرية الاسرائيلية ، الى الغرب من الزيب ، بزورق للفدائيين كان في طريقه لتنفيذ عملية في داخل اسرائيل . وقد قتل نتيجة للحادث ثلاثة فدائيين واحرق الزورق في حين اعترف الناطق الاسرائيلي بأن القوات الاسرائيلية منيت بجريح واحد . وقد واصلت الزوارق الاسرائيلية المسلحة دورياتها بعد الحادث . وقد علق مسؤول عسكري اسرائيلي على الحادث بقوله ، ان الحادث ، بدون ادنى شك ، يثبت نجاح شبكة الرادارات المنتشرة على طول الساحل الاسرائيلي ؛ والتي تغطي مسافات بعيدة ، كذلك تقوم سفن الدورية الاسرائيلية بعمليات دورية دائمة ، وتقوم نقاط المراقبة المثبتة على الشاطىء بعملها ، اضافة الى المساعدة التي تقدمها الطائرات ايضا . فسلاح البحرية والجيش الاسرائيلي يبذلان جهودا كبيرة من اجل تمشيط البحر وخاصة في القطاع الشمالي ، وهو القطاع الذي يعاني من الفوضى . (« ر. إ. إ. » ، ١٥ ـ ١٩٨٠/٦/١٦) . ومساء ١٩٨٠/٦/١٦ اعلن مصدر اسرائيلي مسؤول عن اكتشاف محاولة تسلل من البحر قام بها فدائيون فلسطينيون . وقال المصدر الاسرائيلي ان هدفهم لم يكن احتجاز رهائن او المطالبة باطلاق سراح عدد من السجناء في اسرائيل ، بل القيام بمجزرة لايقاع أكبر عدد ممكن من الاصابات بين المستحمين على شاطىء البحر . وعند اكتشاف الزورق تظاهر الفدائيون بمظهر من يقوم بنزهة بحرية بريئة ، وما ان اقترب الزورق المسلح الاسرائيلي من زورق الفدائيين حتى أطلق احد الفدائيين قذيفة آر . بي . جي نحوه ، فرد الزورق الاسرائيلي على النار بالمثل فورا ، وأدى الحادث الى مقتل جميع الفدائيين الذين كانوا داخل الزورق الذي بدأ يغرق ، واعترف المصدر الاسرائيلي باصابة احد رجال الزورق الاسرائيلي .

وقد غرق جزء من عتاد الفدائيين ، وتم العثور على بندقية من طراز م ـ ١٦ وقاذف للقنابل ومسدس مزود بكاتم للصوت . كما وجدت بطاقات هوية صادرة

عن حركة فتح ، وهي الحركة التي أعلنت مسؤوليتها عن الحادث (« ر. إ. إ. » ، ١٦ ـ ١٩٨٠/٦/١٧) . ومما يجدر الاشارة اليه ، طبقاً للرواية الاسرائيلية ، ان الزورق انطلق من قاعدة تقع قرب مخيم الرشيدية الذي يبعد ١٦ كلم عن رأس الناقورة ، وتقوم المنظمات بتدريب وحدات بحرية هدفها التسلل الى اسرائيل ، وعناصرها في الغالب من الفلسطينيين الذين يعملون كغطاسين وصيادي اسماك . وتجدر الاشارة ايضا الى ان مجندة شابة تعمل على جهاز رادار ساحلي هي التي اكتشفت اقتراب الزورق من الشاطىء الاسرائيلي (**المصدر نفسه**) . ومساء ١٩٨٠/٦/١٦ شوهدت زوارق حربية اسرائيلية قبالة مدينة صيدا وظلت تجوب الشاطىء اللبناني ، بين صيدا والحدود الجنوبية حتى ساعة متأخرة من الليل ، في حين حلق الطيران الاسرائيلي مساء في الساعة الثامنة فوق مدينة النبطية (« **السفير** » ، ١٩٨٠/٦/١٧) . وأعلن ناطق باسم المقاومة الفلسطينية في دمشق ، ان الفدائيين الفلسطينيين هاجموا مستوطنة الزيب الاسرائيلية الواقعة الى الشمال من عكا ، على بعد عشرة كيلومترات من الحدود اللبنانية وانهم فقدوا ثلاثة شهداء واوقعوا اصابات جسيمة في صفوف القوات الاسرائيلية . وذكر الناطق ان الفدائيين استخدموا في الاشتباك الذي استمر ساعتين ونصف الساعة ، مع القوات الاسرائيلية ، مدافع الهاون من عيار ٦٠ ملم وصواريخ محدودة المدى وقذائف اينيرغا وقنابل يدوية ومدافع رشاشة . (**المصدر نفسه**) . وقد ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية « **وفا** » ان الفدائيين هاجموا المستوطنة بعد تخطي جميع الكمائن البحرية الاسرائيلية ودوريات الحراسة المكثفة على امتداد الساحل ، وظلوا على اتصال لاسلكي مع مركزهم من الساعة الثالثة فجرا حتى الساعة الخامسة والدقيقة الثانية والعشرين صباحا (**المصدر نفسه**) . وفي تل-ابيب ، اعلن ناطق عسكري اسرائيلي ان زورقا مطاطيا يستقله ثلاثة فدائيين أغرق وقتل من فيه حوالى الخامسة صباحا في المياه الاقليمية الاسرائيلية بين نهاريا ورأس الناقورة . واعترف الناطق بأن تبادل اطلاق النار مع الفدائيين قد اسفر عن اصابة احد جنود خفر السواحل على متن زورق من طراز « دايور » (**المصدر نفسه**) . ومن جهة اخرى ، أعلن الناطق العسكري الاسرائيلي ان الفدائيين كانوا يستعدون للنزول الى الشاطىء لمهاجمة مستوطنة « اخزيف » التي شاهد سكانها المعركة (« **النهار** » ، ١٩٨٠/٦/١٧) . وفي اسرائيل افاد ناطق بلسان الشرطة الاسرائيلية يوم ١٩٨٠/٦/١٩ أنها ستعزز يقظتها وحملات تمشيطها في مراكز الاستحمام والشواطىء خوفا من حدوث عمليات فدائية ، وأصدرت الشرطة تعميما الى الجمهور في مراكز الاستحمام ، دعته فيه الى اليقظة والحذر (« ر. إ. إ. » ، ١٩ ـ ١٩٨٠/٦/٢٠) . وعلى صعيد آخر ، نقل المراسلون من الجنوب يوم ١٩٨٠/٦/٢٤ أن اسرائيل أحدثت وضعا عسكريا جديدا في بلدة كفرشوبا باقتطاعها اراضي لبنانية واقامة مراكز ثابتة لها في العمق . فقد اقيم موقعان في القطاع الشرقي : الاول في منطقة راجار المواجهة لمستوطنة المطلة الاسرائيلية على بعد ٥٠٠ متر داخل الاراضي اللبنانية والثاني في قرية حداثا (« **السفير** » ، ١٩٨٠/٦/٢٥) . وذكرت مصادر اخرى ان اسرائيل وضعت على مدخل بلدة كفرشوبا سيارات جيب مزودة بمدافع مباشرة غير مرتدة ورشاشات ثقيلة على مقربة من منطقة مراقبة تسيطر عليها الكتيبة النروجية، وهددت بطرد السكان اذا لم يتعاونوا معها وبصورة خاصة اثناء الحراسة الليلية (**المصدر نفسه**) . ومساء ١٩٨٠/٦/٢٥ صرح ناطق عسكري باسم القيادة المشتركة الفلسطينية ـ اللبنانية انه منذ الساعة السابعة والدقيقة ٥٥ مساء تقوم الزوارق المعادية بقصف صاروخي ومدفعي على منطقتي البرغلية والقاسمية وبرماية من الرشاشات الثقيلة من البحر ، فيما يقوم الطيران المعادي بطلعات فوق المنطقة . وفي الساعة الثامنة والنصف وسع العدو من عدوانه وقامت زوارقه بالرماية من رشاشاتها الثقيلة على منطقة ابو الاسود والقاسمية والبرغلية وهناك ثلاثة زوارق تتجه نحو الشمال (**المصدر نفسه**، ١٩٨٠/٦/٢٦) .

ومن جهة اخرى نفى ناطق عسكري اسرائيلي ، يوم ١٩٨٠/٦/٢٧ ، أن تكون اسرائيل قد اقامت ، قبل اسبوع ، ثلاثة مراكز محصنة في جنوب لبنان داخل الجيب الذي تسيطر عليه الميليشيات اليمينية. وكانت مصادر عسكرية لبنانية في بيروت قد افادت ، قبل ذلك ، بأن اسرائيل أقامت المراكز المذكورة وسوَّرت ما يزيد على ١٠٠ فدان من الاراضي في

المنطقة ، وانها استخدمت بلدة الخيام التي هُجِّر أهلها لعمليات التدريب العسكري (« **النهار** » ، ١٩٨٠/٦/٢٨) . ومساء ١٩٨٠/٦/٣٠ نفذ الجيش الاسرائيلي عملية عسكرية ضد قواعد الفدائيين في منطقة القاسمية ادت ، طبقاً للرواية الاسرائيلية ، الى مقتل ما بين ١٠ ـ ٥٠ فدائياً من اعضاء جبهة التحرير العربية . وفي تل ـ ابيب ، ذكر رئيس الأركان الاسرائيلي الجنرال ايتان ان هدف العملية عرقلة استعدادات الفدائيين ومنعهم من تنفيذ عمليات ضد اسرائيل . (« ر. إ. إ. » ، ١٩٨٠/٦/٣٠ و ١٩٨٠/٧/١) .

وقد أوضح الناطق العسكري في القيادة المركزية للقوات المشتركة مجريات هذه العملية ، في تصريح له مساء اليوم نفسه (نصه في « **وفا** » ، ١٩٨٠/٦/٣٠) ، وبين انها ابتدأت بقصف من مدفعية الزوارق الاسرائيلية على منطقة القاسمية ترافق مع انزال قوة تقدر بفصيل مقابل بلدة العيتانية ، عززتها نجدة اضافية محمولة بطائرات الهليكوبتر تقدر بفصيلين ، وقد تصدت كمائن القوات المشتركة للهجوم الاسرائيلي واشتبكت مع قواته في معركة وصفها الناطق باسم القوات المشتركة بانها غير متكافئة . وقال الناطق ان العدو الاسرائيلي تمكن من اخلاء اصاباته من ارض المعركة بطائرات الهيلوكبتر ، في حين استشهد خمسة من مقاتلي القوات المشتركة وجرح اثنان وفقد اثنان آخران .

ومن جهة اخرى ، قالت مصادر عسكرية اسرائيلية ان الاشهر الستة الماضية ، من العام الحالي ، شهدت تصاعداً مهماً في النزاع العسكري بين اسرائيل والفدائيين الفلسطينيين ، الذين يتخذون من لبنان مقرا لهم . وقالت أنه بينما يحاول الفدائيون التغلغل بحرا وبرا ، قامت القوات الاسرائيلية بقصف قواعدهم على امتداد الساحل اللبناني في محاولة للقضاء على مخططاتهم وتنظيماتهم وابقائهم في حالة من عدم الاستقرار والتوتر الدائمين . واعترف الناطق بأن قدرة الفدائيين على التخطيط قد تحسنت بشكل بارز في السنوات الاخيرة («**السفير**»، ١٩٨٠/٧/٣).

المقدم الطيار حسين عويضة

سياسة اليد القوية في التطبيق

من ابرز معالم احداث الفترة الاخيرة احتدام الصدام بين المواطنين العرب في الارض المحتلة ، وبين سلطات الاحتلال ، وسط اجراءات قمعية استهدفت السكان واخرى تعسفية استهدفت الارض ، واستدعت تواجد اعداد كبيرة من الجيش الاسرائيلي ، لدرجة ان احد المسؤولين الاسرائيليين اشاد باتفاقيات كمب ديفيد من زاوية منحها اسرائيل امكانية حشد قواتها امام الجبهة الوحيدة القائمة في المناطق الفلسطينية المحتلة .

وتذكرنا الاوضاع التي تعيشها الضفة الغربية بالاوضاع التي عاشها القطاع في بداية السبعينات ، عندما كان يشكل الجبهة الوحيدة امام العدو الصهيوني . وقدم الاهالي في هذه الفترة شهيدة فلسطينية اخرى هي الطالبة تغريد البطمة .

سياسة « اليد القوية »

مع ارتفاع وتيرة النضال الوطني الفلسطيني في الضفة الغربية ، وقبيل جريمة الاعتداء على رؤساء البلديات ومحاولة قتلهم ، اتخذت سلطات الاحتلال قراراً بانتهاج سياسة « اليد القوية » . واعطت هذه السياسة اولى ثمارها بابعاد رئيسي بلديتي الخليل وحلحول وقاضي الخليل ، وجريمة الاعتداء على عدد من رؤساء البلديات التي اسفرت عن قطع ارجل بسام الشكعة وكريم خلف . ويبدو ان سياسة « اليد القوية » كانت ستدشن ، في الاصل ، بابعاد جميع رؤوساء البلديات في محاولة لحرمان الضفة الغربية زعامتها الوطنية المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية . فقد كشف المعلق السياسي الاسرائيلي زئيف شيف (« **هآرتس** » ، ١٩٨٠/٦/٨) النقاب عن ان قرار ابعاد القواسمة والتميمي وملحم كان معتدلاً بالمقارنة مع اقتراح اشد لم يتخذ ، يتعلق بطرد جميع رؤساء البلديات « ولو استجابوا لاقتراح آخر لانقذ الشكعة وخلف ـ ربما ـ من عملية اغتيال متأخرة » .

لقد عبرت سياسة « اليد القوية » عن نفسها بأشكال متعددة ، منها القتل ، واطلاق النار على المتظاهرين ، وهدم المنازل ، وغلق الحوانيت والعبث بمحتوياتها ، ونفي عائلات والتنكيل بافرادها ، وفرض نظام منع التجول ، واحكام الحصار الاقتصادي على بعض المناطق ، وتوجيه الاهانات الى المارة ، وزج العديد من المواطنين في المعتقلات .

وفيما يتعلق بجرائم القتل ، اطلق جندي اسرائيلي النار على الطالبة تغريد البطمة ، سكرتيرة نادي التراث الفلسطيني في بيت لحم ، اثناء توجهها الى الحرم الجامعي ، في التاسع عشر من حزيران الماضي ، وأصابت الطلقة عمودها الفقري . وكرد فعل على ذلك ، سارعت الاوساط الوطنية لعقد مؤتمر صحافي تحت ظلال العلم الفلسطيني الذي غمسه الوطنيون بدم تغريد ، وفق ما ذكرته بعض الصحف الاسرائيلية ، واصدرت بيانا استنكرت فيه الجريمة واعتبرتها « جزءاً من ممارسات سلطات الاحتلال المتمثلة بالابعاد والاغتيالات وغيرها ، بهدف تفريغ الارض الفلسطينية من اصحابها الشرعيين وتمرير

المخططات الامبريالية الرجعية » . واكد البيان على ان السياسة المسماة بـ « القبضة الحديدية لا تعبر الا عن وجه الاحتلال البشع وعن عجزه امام اصرار شعبنا على استمرارية النضال والالتحام بممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية... » («**الاتحاد** » ، ٢٠/٦/١٩٨٠) . وفي الثالث والعشرين من الشهر نفسه توفيت الطالبة تغريد عن عمر يناهز ، التسعة عشر ربيعاً .

وكالعادة في مثل هذه الحالات ، اتسمت برقيات التعزية ، المنشورة في الصحف العربية في المناطق المحتلة ، بالاعتزاز الوطني بسقوط شهيدة في ساحة الشرف ؛ اذ لا تخلو برقية نعي من زف بشرى الاستشهاد « بمزيد من الفخر والاعتزاز ننعي ... » ، ومن بينها برقية والدها التي جاء فيها « عروس تزف ، تغريد اسماعيل البطمة . اسماعيل البطمة وعائلته يزفون ابنتهم تغريد الى الدار الآخرة بعد ان سقطت على الساحة وانضمت الى القافلة . طيب الله ثرى شهدائنا . والى جنات الخلد » (**وفا** ، ٢٥/٦/١٩٨٠) .

ومن الجدير بالذكر ان المعلقين الاسرائيليين درجوا على لفت الانظار الى ما اسموه بالظاهرة الفريدة للفلسطينيين في نعي شهدائهم ، في محاولة منهم دفع الرقابة العسكرية للتدخل في أمر اعلانات التأبين . وقد قامت ادارة الجامعة في بيت لحم ، كاسهام منها في النضال ، بمنح شهادة بكالوريوس فخرية للشهيدة تغريد ، تسلمها والدها اثناء حفل توزيع الشهادات وسط اجواء حماسية . كما نعت الثورة الفلسطينية للامة العربية الشهيدة تغريد .

والى جانب تغريد ، سقط شهيد في الثامن والعشرين من حزيران ، هو بسام محمد حبش (٢١ عاما) ، من مخيم بلاطة ، بعد حملة حصار ومداهمات واسعة للمخيم وجواره ، على اثر مصرع ضابط المخابرات الاسرائيلي موشي غولان في المنطقة ، وتحميل بسام مسؤولية مصرعه . واستكملت سلطات الاحتلال جريمة القتل بهدم منزل ذويه واخضاع المخيم فترة لعبث الجنود .

وفي غضون ذلك تعرض رئيس المجلس القروي في صوريف ، الواقعة الى الشمال الغربي من الخليل ، لمحاولة اغتيال ، حين اكتشفت قنبلة امام منزله ، كما تعرض مختار صور باهر لمحاولة شبيهة ، حين دمرت مواد ناسفة سيارته .

وبخصوص التعرض للطلبة باطلاق النار عليهم ، اعتدت قوات الاحتلال ، في الثالث والعشرين من حزيران ، على الطلبة في جامعة بيرزيت ، عقب ان قام هؤلاء بتظاهرة احتجاجية ضد الممارسات القمعية لسلطات الاحتلال ، رفعوا خلالها اعلام فلسطين وسط هتافات مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية . وتصدت قوات الاحتلال للمتظاهرين بالعيارات النارية التي اصابت خمسة من الطلبة بجراح ، هم : محمد عقيل وعودة شحادة وعاصم طحان وعنان خليل ورحاب مسيح . وقد اعترفت الاذاعة الاسرائيلية بأن قوات الجيش اطلقت النار نحو المتظاهرين بهدف اصابتهم ، بقولها ان المتظاهرين لم يستجيبوا لنداء الجيش بالتفرق « ولم يجد رجال القوة مناصاً من اطلاق النار على [اقدامهم] » («ر. إ. إ.»، ٢٣/٦/١٩٨٠) .

وقد القت سياسة العقاب الجماعي ظلالها الثقيلة على الاهالي . ففي اعقاب العملية الفدائية الجريئة في قلب مدينة الخليل ، فرضت سلطات الاحتلال حصاراً محكما على المدينة وعلى عنبتا وعين يبرود وعلى مخيمي الدهيشة والجلزون وبعض القرى ، وحالت دون الدخول والخروج من المناطق المحاصرة ، وسط اجراءات قمعية شرسة اعتدت خلالها على عدد من المواطنين ، بينهم اطفال وشيوخ ، واقدمت كذلك على حرق كميات من الكتب وقطع خطوط الهاتف . ففي مخيم الدهيشة، على سبيل المثال ، كسر الجنود رجلي الطفل جهاد عبد الفتاح (١٢ سنة) ، وتعرض كل من عيسى غانم (عشر سنوات) وعمر عبد العزيز (١٧ سنة) لاعتداءات وحشية . وابعدت عائلة ابو سميح شاهين عن بيتها ، واعتدت قوات الاحتلال على « جميع افرادها بالضرب والركل » وتعرضت جميلة جابر البالغة من العمر مئة عام للتنكيل « وكسر جنود الاحتلال يديها ، وكذلك كان مصير وجيه الشيخ (٢٠ سنة) » (للاستزادة انظر : « **الاتحاد** » ، ٢٣/٥/١٩٨٠) .

ونال اهالي الخليل القسط الاوفر من عسف هذه السياسية ؛ فقد تعرض الاهالي ، حتى بعد حظر التجول نهاراً عن المدينة ، لمضايقات جمة ، وشكل العمال العائدون من عملهم فريسة للجنود الذين اعتادوا تفريغ شحنات غضبهم عليهم . وكشفت « **عل همشمار** » (٢٠/٥/١٩٨٠) جانبا من

اعمال « الضرب والاهانة » التي يتعرض لها هؤلاء بقولها : « لقد ضرب الجنود السكان العائدين من عملهم ، بأيديهم وبأعقاب بنادقهم ، والقوا بالسكان على الزجاج المهشم ، واحد هؤلاء المضروبين داوود القواسمة ، قريب رئيس البلدية الذي أقيل » ولم ينقذ هؤلاء ، حسب قول الصحيفة ، الا مجيء قوات من حرس الحدود !

وفي مواجهة ظاهرة القاء الاطفال بالحجارة على السيارات العسكرية ، لجأت سلطات الاحتلال الى اسلوب النفي وتضييق سبل العيش امام العائلات التي ينتمي افرادها الى « ملقي الحجارة » ، وشكلت المعاملة التي واجهتها عائلة الشوملي ، المبعدة من بيت ساحور الى مخيم عين السلطان في منطقة اريحا ، نموذجاً لما جرى لعائلات اخرى . فقد واجه الفتى « ضرباً مبرحاً » على اعضاء جسده الحساسة ، بما في ذلك اعضاؤه التناسلية ، كان من نتيجته ان اخضع لعمليات عدة في المستشفي ، بينما أقيل الأب وابنتاه من وظائفهم كمعلمين (« **عل همشمار** »، ٢٠ / ٥ / ١٩٨٠ . وللاستزادة انظر « **هعولام هزيه** » ، ٢٠/٥/١٩٨٠) . ومن الجدير بالذكر ان قضية التنكيل بافراد العائلات المنفية تحولت الى سلاح بيد بيغن في صراعه مع وايزمن ، بصفته مسؤلاً عنها ، وغدت بفضل الصراع ، على حد قول بيغن ، بمثابة « عمل بربري ... مخجل » (« **معاريف** » ، ١٣/٦/١٩٨٠) .

الى جانب ذلك ، تعرض كثير من البيوت والحوانيت للغلق او النسف ، ولم تنج مدينة او بلدة فلسطينية من هذه العقوبة ، بحجة ان حجراً او زجاجة مولوتوف ألقيا من هذا البيت او ذاك ، او ان اصحاب الحوانيت اغلقوا متاجرهم استجابة للدعوة الى اضراب . ففي مدينة غزة صدرت اوامر بغلق ١٧ حانوتا ، وفي بيت لحم صدرت اوامر مشابهة باغلاق ٧٢ حانوتاً بسبب القاء الحجارة او زجاجات المولوتوف بالقرب منها ، واتخذت اجراءات مشابهة في القدس ونابلس وجنين والخا ل وبيت لحم ، وسط عبث الجنود بالمحتويات ، وو ل استهتار هؤلاء بالمواطنين واستباحتهم للحوانيت لدرجة ان اقدم الجنود المرسلون لحماية رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج على الاعتداء على متجره ، بعد ان اتسم سلوكهم تجاهه ، وفق قوله « بالاهانة الشخصية ... في الليل بعثوا الي بجنود لحراستي ، وفي الصباح ارسلوا جنوداً لتهشيم متجري » (« **دافار** » ، ٤/٦/١٩٨٠) . كما تعرض كثير من المنازل في عدد من المخيمات والمدن للهدم ، بحجة ان ابناءها من « ملقي الحجارة » . وقد احتلت الخليل المركز الاول في هذا المجال ؛ فبالقرب من الدبوية (هداسا) هدمت سلطات الاحتلال ١٦ منزلاً ومتجراً على ما فيها من بضائع وأثاث . وشاءت الظروف ان يكون احد المنازل المنسوفة تابعاً لمحمد عمر الحرباوي الذي ما لبث ان احتل مكانة في الصحف الاسرائيلية لا بسبب الغبن اللاحق به اسوة بمواطنين عرب آخرين ، بل لاكتشاف وسائل الاعلام الاسرائيلية ان عائلة المذكور كانت قد انقذت عدداً من اليهود في احداث ١٩٢٩ في الخليل . وقد بادر افراد يهود بجمع تبرعات لصاحب البيت كتعويض و« مكافأة » له على الدور الذي قامت به عائلته في الماضي ، دون شجب عملية نسف البيت . ورفض الحرباوي هذه « المكافأة » ولم يشأ ربط هدم منزله باحداث عام ١٩٢٩ ، وطالب بازالة الضيم اللاحق به ، محملاً سلطات الاحتلال لوحدها مسؤولية الهدم والتعويض . ومن الجدير بالذكر ان الحكم العسكري اعلن عن استعداده لتقديم تعويضات لصاحب البيت المذكور دون اصحاب البيوت الاخرى (انظر « **هآرتس** »، ١٠/٦/١٩٨٠) .

ويبدو ان البعض من اليهود العاديين قد اجاز لنفسه ، تحت مظلة سياسة « اليد القوية » ، التدخل في شؤون القرويين العرب اعتباطاً ؛ ففي بلدة الظاهرية حدث ان تعرضت سيارة مدنية ، اثناء سيرها مساء في البلدة ، لحجر اصاب بابها ، فعاد سائقها اليهودي صباح اليوم التالي مهدداً المجلس البلدي بالويل والثبور ان لم يعوض عليه « خسارته » ، طالباً مبلغ مئة الف ليرة اسرائيلية وتفقد المدارس في البلدة الى جانب الوجهاء بهدف « تثقيف » التلاميذ . ووافق المجلس على طلبه وفق ما ذكرته «**يديعوت احرونوت**» (٢٠ / ٥ / ١٩٨٠) ، التي اضافت ، بشيء من الاعتزاز ، ان اليهودي «تبرع» بالمبلغ الى مؤسسات خيرية اسلامية !

ولعل تعليمات جهاز الحكم العسكري الموجهة الى الجنود ، والتي كشف النقاب عنها مؤخراً في وثيقة قدمها عدد من الجنود الى عضو الكنيست اوري افنيري ؛ وكشفها هذا بدوره للرأي العام ، تشير

الى مدى ما وصل اليه جنود الاحتلال من همجية في معاملتهم للسكان العرب . فقد جاء فيها (انظر النص الكامل للوثيقة في « **الاتحاد** » ، ١٩٨٠/٥/٢٧) : « كل انسان تمسكون به خارج بيته تكيلون له ، قبل كل شي ، الضرب بالعصي على كل انحاء جسمه ما عدا الرأس . لا ترحموا ، كسروا عظامهم ! لا تفسروا شيئاً . قبل كل شي ء اضربوا وبعد الانتهاء فسروا لماذا ضربتم .

« اذا أمسكتم بطفل صغير اخرجوا كل عائلته الى الخارج واوقفوها في صف واضربوا الأب امام كل الاولاد ، لا تتوجهوا الى هذه الضربات كحق بل هي واجب . انهم لا يفهمون اسلوباً آخر .

« لا جدوى من اعتقال اولئك الذين يتجولون في الخارج . اضربوهم واعيدوهم الى البيوت . ولكن اذا فعل احدهم مشاكل او قذف بحجر ... فقبل كل شي حطموا عظامه ، ثم انقلوه بالسيارة الى مقر الحكم العسكري ... » .

توسيع دائرة الاستيطان واعمال المصادرة

الى جانب الاجراءات القمعية التي استهدفت السكان ، اتخذت سلطات الاحتلال اجراءات استهدفت الارض بغرض تهويدها . وقد عبرت عن نفسها بأعمال وضع اليد على مساحات واسعة من الاراضي وبمشاريع استيطانية كبيرة . فقد تم اغلاق ١٥٠٠ دونم من اراضي عرب التعامره بهدف توسيع مستعمرة تكواع المقامة على اراضيهم ، بحجة ان هذه الاراضي هي اراض حكومية ، كما تم غلق ٨٠٠ دونم تخص فلاحي مسحة العربية لصالح مستوطنة يهودية هناك (« **الطليعة** » ، ١٩٨٠/٦/١٩) . وتحت ذريعة الأمن الواهية تم وضع اليد على ١٧ الف دونم من اراضي قرية دير استيا ووادي قانا بالقرب من طولكرم ، وتم حتى الآن تسييج اربعة آلاف دونم واقتلاع اشجار زيتون . كما استولت سلطات الاحتلال على عشرات الدونمات التي تخص اهالي سلواد وعين يبرود بحجة الضرورة « لتنظيم مجاري مستوطنة عوفرا »(« ر. إ. إ »، ١٩٨٠/٧/١٥) . وكتمهيد للاستيلاء على مزيد من الاراضي ، قررت سلطات الاحتلال شق طريق الى مستوطنة ايلون موريه .

وعلى صعيد اقامة المستوطنات ، كشف بيغن النقاب ، في مقابلة مع الصحافيين الاجانب ، عن وجود عشر مستوطنات في طور البناء في المناطق المحتلة ، مركزاً على انها ستكون آخر المستوطنات الى جانب تأكيده على « حق » اسرائيل في اقامة مشاريع استيطانية اخرى . ومع ذلك فقد أميط اللثام عن خطة استيطانية كبيرة اعدتها الادارة الصهيونية تدعو الى اقامة ٨٥ مستوطنة جديدة في الضفة الغربية خلال الاعوام الخمسة القادمة ، تستوعب ١٥٠ الف مستوطن (« **السفير** » ، ١٩٨٠/٧/١٠) . وكتعزيز لهذه الاجراءات وتسريع عملية تهويد القدس وتنشيطها ، قرر رئيس الحكومة مناحيم بيغن ، في أواخر حزيران ، نقل مكتبه الى القدس العربية .

وترى اسرائيل أن هذه الاجراءات الاستيطانية لا تتعارض مع مشروع الادارة الذاتية وفق اتفاقية كامب ديفيد . فقد كشف مؤخراً عن خريطة التواجد الاسرائيلي عقب تطبيق الحكم الذاتي وفق تصور الحكومة الاسرائيلية لها (« ر. إ. إ. ١٩٨٠/٦/٢٧) ، وبموجب هذه الخريطة سينتشر الجيش الاسرائيلي على كافة المحاور في مناطق الحكم الذاتي ، وستقام القواعد العَسكرية بالقرب من جميع المراكز السكنية ومفارق الطرق الرئيسية ، وسيحتفظ بالاراضي الواقعة بين المستوطنات اليهودية لصالح المنشآت العسكرية ، وستقام قواعد الانذار والمراقبة فوق قمم الجبال . كما ستحافظ قوات الجيش على مراكزها على امتداد نهر الاردن ، وستتحرك على جميع طرقات الضفة الغربية .

تفاقم اوضاع المعتقلين

مع اشتداد وطأة القمع التي يعاني منها المواطنون الفلسطينيون في المناطق المحتلة ، ازدادت ايضاً اوضاع الاف المعتقلين الفلسطينيين سوءاً . فالى جانب استقبال المعتقلات يومياً لوافدين جدد ، يعاني المعتقلون ، منذ سنوات ، من اكتظاظ الغرف ، وسوء التغذية ، والاحوال الصحيةالسيئة والمعاملة اللاإنسانية، ومنع الزيارات عن العديد منهم . وحدث اكثر من مرة ان لقي عدد من السجناء حتفهم بسبب تضافر هذه الاوضاع الى جانب ما يلاقون من صنوف التعذيب . وفي مواجهة هذه الظروف لجأ المعتقلون الى سلاح الاضراب عن الطعام ، على الرغم من انه يفاقم من وضعهم الصحي السيىء اصلاً ، والى تسريب البيانات ، لحمل الرأي العام على التدخل لصالحهم . ففي اوائل ايار الماضي ناشد المعتقلون في سجني

عسقلان وبئر السبع ، الرأي العام ، بتنظيم حملة تضامن جماهيرية ، في بيان نشرته « **الاتحاد** »(١٦/٥/١٩٨٠) جاء فيه : « ان مجمل الشروط التي تفرضها السلطات الاسرائيلية على المعتقلين الفلسطينيين في كافة معتقلاتها لا تحمل سوى معاني الاذلال والقهر والتحطيم . وهي تتجاوز في مدلولها الاعمق سحق القيم الوطنية للانسان الفلسطيني . انها تطارده حتى في وجوده الانساني وتعمل على تشويه وطمس هذا الوجود . وان هدر القيم الانسانية عبر صنوف العذاب والحرمان كان ولا يزال قلب هذه الشروط وقالبها » . وطالب البيان بتدخل الاوساط الدولية لتحسين ظروف اعتقالهم . ومؤخراً أعلن المعتقلون في سجن نفحه الصحراوي في النقب الاضراب عن الطعام احتجاجاً على صنوف التعذيب الهمجية التي يعاني منها هؤلاء ، الى جانب معاناتهم « الظروف غير الانسانية » . وجاء في رسالة بعثوا بها الى عائلاتهم لتوزيعها على الرأي العام ، ان « زنزانات السجن لا تزيد عن ٣ امتار عرضاً و ٦ امتار طولاً ، ويوضع عشرة سجناء في كل زنزانة . التهوئة غاية في السوء ويصل الهواء الى الزنزانة من فتحات في السقف لا تزيد مساحة الواحدة منها على نصف متر مربع . الابواب مقفلة اقفالاً محكماً بحيث لا يتسرب منها الهواء عملياً . نتنفس في صعوبة . النور لا يصل الى زنزاناتنا ، والمراحيض موجودة داخل الزنزانات . هناك حنفيات صغيرة ولكن لا وجود للمغاسل»(« **النهار** » ، ٤/٧/١٩٨٠) . وقد حدت هذه الظروف الصعبة بالجمعيات والهيئات النسائية وامهات المعتقلين السياسيين في المناطق المحتلة للاعراب عن الاحتجاج والسخط ضد هذه الاوضاع ، والمطالبة بالافراج عن المعتقلين ، سواء بارسال المذكرات الى الهيئات الدولية والعربية او عن طريق الاعتصام . وكانت هذه الجمعيات قد ارسلت اواخر حزيران الماضي مذكرة الى كل من السكرتير العام للامم المتحدة وامين عام جامعة الدول العربية ، والى قناصل عدد من الدول الاجنبية على اثر اعتصام قامت به الهيئات النسائية في مقر الصليب الاحمر الدولي في القدس تضمنت ستة بنود (انظر « **وفا** » ، ٣٠/٦/١٩٨٠) :

١ ـ « المبادرة لدعوة مجلس الأمن لمعالجة قضايا المعتقلين ...

٢ ـ « ايفاد لجنة دولية حيادية لتقصي الحقائق فيما يجري في تلك السجون والزنازين ، كما هو الحال في سجون نفحه الصحراوي وغزة والرملة ... وسائر المعتقلات .

٣ ـ « الكف عن عمليات الارهاب والاعتقالات الجماعية على القرى والمدن والمخيمات ، واغتيالات كالتي تعرض لها رؤساء البلديات في نابلس ورام الله والبيره ، بما فيها نفي رئيسي بلديتي الخليل وحلحول والقاضي الشرعي لمدينة الخليل ، وعن هدم واغلاق للبيوت ... واخيراً الاعتداء على حياة الطالبة الجامعية تغريد وجرح خمسة من طلاب جامعة بيرزيت ...

٤ـ « ادانة اميركا وتآمرها مع اسرائيل في تمويلها لاقامة المستوطنات لتهديد الوجود العربي ...

٥ـ « دعوة الامة العربية لمنع البترول عن اميركا ومقاطعتها مع كل من يدور في فلكها من الدول الاجنبية ، وسحب ودائع الأمة العربية من البنوك الاجنبية ، واقامة مصانع لحماية الارض والمقدسات العربية في فلسطين » واختتمت المذكرة بالدعوة لتأييد شرعية المطالب آنفة الذكر « لشعب اعزل فرضت عليه الاقدار ان يواجه القوى المسلحة وحيداً وبصدوره العارية الا من ايمانه بحقه وبأرضه ، فاننا نعلن للعالم ان كل ما يخطط لهذا الشعب ويمارس ضده من عقوبات واضطهادات في السجون ، لن يزيده الا صموداً وتمسكاً بارضه ومقدسات أمته ، والالتزام بممثله الشرعي م. ت. ف... وباقامة دولته الوطنية على سائر التراب الفلسطيني » .

ع . ح . م .

العـرب في إسـرائيـل

تحولات بارزة في مسيرة النضال وتضامن واسع مع سكان المناطق المحتلة

شهدت المناطق الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ مزيداً من التحولات في مسيرة النضال ، باتجاه تأكيد الارتباط المصيري مع النضال الوطني للشعب الفلسطيني. هذه التحولات عبرت عنها مختلف اشكال التضامن والتأييد للتطورات الجارية في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ . وفي المقابل ، صعّدت السلطات الاسرائيلية من حملات التحريض ، والاضطهاد ضد الشخصيات الوطنية ، والطلاب العرب ، وكل فئات الشعب ، مستخدمةً العصابات اليمينية الفاشية ، وادوات قمعها الرسمية ، في محاولة لفك لحمة النضال الآخذة بالتبلور داخل مناطق التواجد الفلسطيني كافة ، سواء منها تلك التي احتُلت قبل عام ١٩٦٧ او تلك التي احتُلّت بعده كما زادت تلك السلطات من عمليات القهر القوي عبر مصادرة الأراضي العربية في النقب ، وإنشاء مزيد من المستوطنات في الشمال ، ضمن مخطط تهويد الجليل ، وقلب الحقائق الديمغرافية القائمة .

التضامن مع سكان المناطق المحتلة

كان للتطورات الاخيرة التي حدثت في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ردود فعل تضامنية واسعة عند العرب في اسرائيل . وجاءت محاولة اغتيال رئيسي بلديتي نابلس ورام الله : بسام الشكعة وكريم خلف لتكشف عن حقيقة الفاشية الصهيونية ومدى همجيتها ، وتورط الحكومة الاسرائيلية في هذا العمل الشنيع . وقد أثارت هذه المحاولة العدوانية شعور العرب في « اسرائيل » إزاء ما يجابهه ابناء المناطق المحتلة من أخطار . فنظموا عدداً من اعمال الاحتجاج والتضامن في كل القرى والبلدات العربية؛ ففي أم الفحم قامت مظاهرة حاشدة شارك فيها اكثر من خمسة آلاف رجل وامرأة سارت في شوارع القرية ، وانتهت باجتماع عقد في نادي الحزب الشيوعي ، واعلن طلاب المدارس في كفرمندا الاضراب ، ونظموا مظاهرات في الشوارع انضم اليها مئات من السكان ، واختتم الاضراب باجتماع شعبي تكلم فيه رئيس المجلس المحلي محمد زيدان . وفي طمره اضرب طلاب المدرسة الثانوية ، واقاموا مظاهرة كبيرة تكلم فيها رئيس المجلس المحلي عباس حجازي . وفي المساء نظمت مظاهرة جماهيرية أخرى ، انتهت بإقامة مهرجان تكلم فيه كل من عباس حجازي ، وفتحي الرومي عضو المجلس المحلي ومحمد فضل حسان سكرتير فرع الحزب الشيوعي والشاعر نزيه حسون . وجرت أيضاً مظاهرات واجتماعات شعبية في الرامة ، ومجد الكروم ، وباقة الغربية ، ويركا ، وكفرياسيف ، وجديدة ، وأبو سنان ، وشعب ، ودابول ، وعكا وسخنين وعبلين ، تحدث فيها عدد من الشخصيات واعضاء المجالس المحلية العربية .

وكان مؤتمر الناصرة ، الذي عقد في مبنى المركز الثقافي يوم ١٩٨٠/٦/٥ تتويجاً لكل تلك المظاهرات والمهرجانات التي جرت في القطاع العربي . وقد جرى في البداية اعتصام في مبنى البلدية ، ثم تحول

الاعتصام الى مظاهرة ضخمة . واثر انتهاء المظاهرة ، توجه وفد يمثل المعتصمين الى نابلس ، ورام الله للاعلان عن التضامن . ووجه رؤساء المجالس المحلية نداء الى رئيسي بلديتي غزة وبيت لحم يطلبون فيه منهما التراجع عن استقالتيهما . وقد افتتح جمال طربيه رئيس مجلس سخنين المحلي ، مهرجان الناصرة ثم تكلم نائب رئيس اللجنة القطرية للمجالس المحلية ورئيس مجلس شفا عمرو ، ابراهيم غر فأكد ان جريمة محاولة الاغتيال هي «عمل أثيم لا يمكن السكوت عليه . بل ان السكوت عليه جريمة ومشاركة في الجريمة » ، وقال ابراهيم نمر : « ان ما اقترفه الفاشست هناك يمكن ان يحدث هنا ايضاً اذا لم نستأصل الشر من جذوره . ونطالب الحكومة بأن تكشف هوية المجرمين ، وتنزل العقاب بهم ، والا فلتعلن افلاسها وتقدم الاستقالة » («**الاتحاد**» ٦، ٦، ١٩٨٠) . وذكّر محمد زيدان ، الناطق باسم اللجنة القطرية ، بحقيقة ان الشعب الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ ، هو جزء من الشعب الفلسطين ككل وقال : « نحن جزء من شعبنا ، ولا توجد قوة تمنعنا من المشاركة والتضامن معه في كل معاركه » (**المصدر نفسه**) . وتحدث الياس لويس رئيس المجلس المحلي لمعليا عن اعمال القمع والارهاب ، التي تتم معها مصادرة الاراضي واقامة المستوطنات وقال : « يحيطون قرانا بالعصابات المدججة بالسلاح ، ويستعرضون عضلاتهم » وربط بين « القمع هنا ، وتصعيد القمع في الضفة الغربية » ، واضاف « نحن شعب واحد » (**المصدر نفسه**) .

وكانت كلمة المهرجان الرئيسية للنائب توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة ، الذي أكد ان الجريمة نمت على أرضية الاحتلال وأن « قطعان غوش ايمونيم وليفنغر وكهانا تربت ونمت بدعم كامل من سلطات الاحتلال » . وتطرق الى تصريحات بنيامين غوز - آرييه ، مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، التي تهجم فيها على لجنة رؤساء السلطات المحلية العربية ، بحجة تدخلها بالسياسة وقال : « من السخف والوقاحة ان يطلب مستشار رئيس الحكومة من الجماهير العربية في اسرائيل وقياداتها البلدية ألّا تتدخل في السياسة ، لأن قطع الميزانيات عن مجالسنا سياسة ، والظلم ضد السلطات المحلية العربية سياسة ، واهانة عمالنا في أماكن عملهم سياسة ، ونهب الأراضي سياسة ، واقامة المناطر [نقاط المراقبة الاستيطانية] سياسة ، ومحاولة قتل الابطال ، القادة البارزين للبلديات في المناطق المحتلة ، كل هذا سياسة » (**المصدر نفسه**) . وأضاف زياد : « لا يمكن لأية قوة كانت أن تمنع هذا النصف مليون حيّ من شعبنا ، المنغرسين في وطنهم رغم كل العاتيات ، من أن يتدخل ويرمي بثقله ، ليس فقط ضد عصابات غوش ايمونيم والرابي المأفون كهانا ، بل وأيضاً ضد من يغذي ويوجه ويضع البرامج ، ويخلق الجو المسموم لتفشي العنصرية والفاشية ، الا وهو حكومة اسرائيل » (**المصدر نفسه**) .

وسخّف زياد ، محاولات السلطات المقارنة بين عمليات المقاومة الفلسطينية ، وجرائم الاحتلال في مدن وقرى الضفة الغربية وقال : « نحن نقول على رؤوس الأشهاد ، وأمام التلفزيون والاذاعة وأقوى ميكروفون ، ان الشعب الفلسطيني مثل كل شعب تحت الاحتلال ، من حقه ان يقاوم الاحتلال . ان عشرات الشعوب التي تحررت في اسيا وامريكا اللاتينية كنست الاحتلال بالكفاح الوطني . ومصير الاحتلال الاسرائيلي مثل مصير كل احتلال ، ان يكنس وأن تستقل الدولة الفلسطينية » (**المصدر نفسه**) . ووجه زياد نداء الى كل هيئات الشعب الفلسطيني ومنظماته ، ان تعمق عملها الشعبي النضالي ضد الاحتلال والفاشية . ونبه الى ضرورة الوحدة القصوى واليقظة والتصدي الجماهيري لجميع مظاهر العنصرية والفاشية ، والقمع والعداء والاحتلال .

ورد مراسل الاذاعة الاسرائيلية ، الذي شاهد مظاهرة الناصرة وهي تنشد نشيد « بلادي بلادي » ، على الآراء التي ظهرت في اسرائيل سابقاً ، وكانت تقول ان عرب اسرائيل هم جسر السلام قائلاً : « لكن الجسر الذي شوهد اليوم في الناصرة ، لم يكن الا امتداد لنابلس ورام الله ، حيث لم يأتوا على ذكر السلام اليوم في الاجتماع» (« ر. إ . إ » ، العدد ٢٠٧٤ ، ٥ و ٦/٦/١٩٨٠ ، ص ٧) .

بيان تاريخي

واعتبر العرب في اسرائيل ، جريمة محاولة اغتيال الوطنيين في الضفة الغربية ، واتساع نطاق الأعمال الفاشية للعصابات المتطرفة ، ولحكومة

الليكود ، نقطة تحول ، يجب ان تقابل بنقلة نوعية من جانبهم لاحباط مظاهر الفاشية والاضطهاد القومي . وتداعت الشخصيات الوطنية العربية ، وممثلو الرأي العام العربي الى إصدار بيان تاريخي حمل عنوان : « في هذه الساعات المصيرية » ، اعتُبر ميثاق شرف ، وأساساً للنضال وتقرر أن يجريَ بذل أكبر جهد ممكن للموافقة عليه من قبل الرأي العام العربي واليهودي ، وأن يطلب من جميع المواطنين إرسال تواقيعهم تأييداً للبيان ، الذي جاء فيه : « نحن الموقعين أدناه ، ممثلي أوسع اوساط الرأي العام العربي في اسرائيل ، نرى لزاماً علينا ان نعلن ـ بهذا البيان ـ عن القلق الشديد الذي يسود المجتمع العربي في اسرائيل في هذه الايام ، من جراء التدهور الخطير في الوضع في المناطق المحتلة ، وانعكاساته على الوضع داخل اسرائيل .

« ان الدوائر الحاكمة في اسرائيل ، في سعيها المحموم لفرض الادارة الذاتية ، ولتخليد الاحتلال ، ولتوسيع الاستيطان ، ولدوس حقوق الشعب العربي الفلسطيني العادلة ، تلجأ الى تشديد وطأة اليد الحديدية في المناطق المحتلة ، حتى ارتكاب جرائم العقوبات الجماعية المحظورة دولياً وانسانياً . وهذا بدوره يقود الى المزيد من المقاومة المشروعة للاحتلال ، والى تعميق وتوسيع حلقة الدم المفرغة حتى لا تبقي ولا تذر » (« **الاتحاد** » ، ١٩٨٠/٦/٦ .

واستنكر البيان حوادث الاعتداء على رؤساء البلديات ، وطرد الشخصيات الوطنية ، وتشجيع جماعات التطرف الاستيطانية امثال جماعة غوش ايمونيم ومنظمة الرابي كهانا . ولاحظ البيان ان هذا التدهور يؤثر على المواطنين العرب في اسرائيل ، ضحية الاضطهاد القومي والقهر العنصري . وحمّل البيان الاوساط الحاكمة والرأي العام الاسرائيلي مسؤولية استمرار التصرفات العنصرية الدموية واضاف : « نحن اهل هذه البلاد . لا وطن لنا غير هذا الوطن ، ويكفي ان نذكّر حكام اسرائيل ، انهم حين وافقوا على اقامة الدولة اليهودية في فلسطين بموجب قرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، كانوا يعلمون أن عدد العرب في اطار هذه الدولة مساو تقريبا لعدد اليهود . وحتى حين نجحت المؤامرة الامبريالية ، فإن ما تبقى من العرب في حدود الدولة الجديدة يبلغ حوالي ١٦٠ألف اي بنسبة ٢٠٪ من مجموع سكان الدولة آنذاك » (**المصدر نفسه**).

وأعلن البيان ، اصرار الشعب الفلسطيني على الرسوخ في أرضه ، وعدم الاستجابة لضغوط السلطات بالنزوح أو الرحيل ، واضاف : « لم ننكر ولا يمكن ان ننكر حتى لو جوبهنا بالموت نفسه ، أصلنا العريق ، اننا جزء حي وواع ونشيط من الشعب العربي الفلسطيني . لم نتنازل ولا يمكن ان نتنازل عن حق هذا الشعب في تقرير مصيره ، وفي الحرية والاستقلال على ترابه الوطني » (**المصدر نفسه**) .

وأخيراً طالب البيان ، بالاعتراف بكيان الشعب الفلسطيني القومي ، وبانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته بقيادة م .ت .ف . ودعا ممثلي الجماهير العربية في اسرائيل كافة ، الى عقد مؤتمر يشارك فيه ممثلو قوى السلام والديمقراطية اليهود « ليعبر عن ارادة شعبنا في التصدي الحازم ، جنبا الى جنب مع كل القوى الديمقراطية اليهودية ، لتصاعد خطر العنصريين والفاشيين في اسرائيل » .

ونشرت صحيفة الاتحاد البيان اكثر من مرة بناء على طلب الجمهور . كما أنها اخذت تنشر تباعاً مئات التواقيع الواردة المؤيدة لمضمونه .

اجراءات تعسفية

وفي مواجهة هذا النهوض الشعبي ، وفي محاولة لتخويف السكان العرب، قامت قوات البوليس الاسرائيلية بسلسلة من العمليات الاستفزازية ضدهم . حيث نظمت دوريات ارهابية في جميع المدن والقرى العربية ، صاحبتها عمليات اعتقال وتحقيق شملت العشرات من الأشخاص الوطنيين . ففي ام الفحم تم التحقيق مع محمود حسين اغبارية عضو المجلس المحلي ، ومحمود شريد ورشاد عبد الهادي . وفي باقة الغربية قامت الشرطة بتفجير اجتماع شعبي بحجة عقده دون ترخيص ، واجرت تحقيقاً استفزازيا مع ابراهيم بيادسي سكرتير فرع الحزب الشيوعي ، وفي سخنين اعتقل ثلاثة طلاب ثانويين هم : مازن ابو يونس ومحمد ابو ريا ومأمون ابو يونس . واعتقل تلميذان في عرابة بتهمةكتابةشعارات معادية . وفي كفر مندا حاولت الشرطة التصدي لمظاهرة نظمها الاهالي . وشملت الاعتقالات في دبورية ثمانية شبان . وقام

بوليس الناصرة بمداهمة قرية طرعان في منتصف ليلة ٦ / ٦ واجرى تفتيشاً في المنازل بحجة البحث عن شعارات معادية للدولة ، واحتجز ، رهن الاعتقال ، ثلاثة عشر شخصاً بتهمة رفع شعارات معادية . وحين تبين امام المحكمة « أن الشعارات قانونية ، ادعى رجال المخابرات ، ان ثمة شعارات مفتقدة ومدد الاعتقال لمدة خمسة ايام » (« **الاتحاد** » ، ١٩٨٠/٦/١٠) .

وأصدر قائد المنطقة الشمالية الميجر جنرال افيغدور بن ـ غال اوامر تقضي بتحديد تنقل اربعة اشخاص (اعتقال بيتي) لمدة ستة أشهر . حيث ادعى ان هؤلاء « يشكلون خطراً على النظام العام » (« ر. إ. إ. » ، العدد ٢٠٧٦ ، ٨ و ٦/٩/ ١٩٨٠ ، ص ٧) . والاشخاص المتمولون بالقرارهم ، صليبا خميس عضو سكرتارية الحزب الشيوعي، وعضو سكرتارية اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي ، ورمزي خوري سكرتير لجنة المراقبة المركزية في الحزب الشيوعي ، والمحامي محمد ميعاري عضو سكرتارية اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي ، وصالح برانسي من الطيبة . ويذكر أن هذه الاوامر مبنية على احكام قوانين الطوارىء المعمول بها منذ ١٩٤٥ . ومع ان الحكم العسكري الغي منذ عام ١٩٦٦ ، الا ان قوانين الطوارىء هذه لا تزال قائمة .

وحملة تحريض ضد توثيق زياد

وبلغت الاجراءات التعسفية ذروتها ، بحملة التحريض ضد عضو الكنيست توفيق زياد رئيس بلدية الناصرة ، والتي قادتها واشرفت عليها أجهزة السلطة وكبار المسؤولين ، واعضاء في الكنيست الاسرائيلي . وفي نفس الوقت شن بنيامين غو ـ ارييه ، مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، هجوماً عنيفاً على اللجنة القطرية لرؤساء المجالس العربية ، واعلن عدم اعترافه بها لانها تحمل اخطار كثيرة . وفي سياق تلك الحملة جرى تحريف الاقوال التي ادلى بها زياد في مهرجان الناصرة يوم ٥/ ٦ ، حيث ادعت تلك الاوساط أن زيادة حرض على القتل ، ودعا الجماهير العربية الى الهتاف بشعارات متطرفة . وشهدت جلسة الكنيست الاسرائيلي يوم ٩/ ٦ نقاشاً صاخباً حول الموضوع إذ طلب شموئيل تمير وزير العدل من البروفسور يتسحاق زامير المستشار القضائي للحكومة ، « فحص » عبارات رئيس بلدية الناصرة ، لتقرير إن كان يمكن اعتبارها عملاً جنائياً يوجب تقديمه للمحاكمة ، والاجابة عما يلي : هل تسمح الحصانة البرلمانية لعضو الكنيست بأن يدلي بأقوال خطيرة الى هذا الحد ضد الحكومة ؟ وشدد الوزير تمير على « ان كلام عضو الكنيست زياد هو خطير ولا يوجد مثله » (« **هآرتس** » ، ١٠/ ٦/ ١٩٨٠ . وكان تمير يستجيب بطلبه ذاك ، الى اقتراح عضو الكنيست غئولا كوهين ، الداعي لالغاء الحصانة البرلمانية عن زياد وتقديمه للمحاكمة .

ووقف زياد أمام الكنيست ، يرد على حملة التحريض والتجني ، مستنكراً اجراءات القمع وقوانين الاقامة الجبرية وممارسات السلطة في اسرائيل . وحمل زياد حكومة بيغن مسؤولية الجرائم البشعة المرتكبة ضد ابناء الشعب الفلسطيني وقيادته الوطنية . واضاف : « لن تنجح حملة التحريض على الجماهير العربية في اسرائيل ، وعلى قياداتها في تحويل الانظار عن ممارسات الاحتلال وجرائمه في المناطق المحتلة ، وعن السياسة العنصرية ، وسياسة الاضطهاد القومي ضد المواطنين العرب في اسرائيل » (« **الاتحاد** » ، ١٣ ـ ٦ / ١٩٨٠) . وأكد زياد عدم تراجعه عن مواقفه المعروفة مهما بلغ مدى الحملة الموجهة ضده ، وقال : « يجب ان يكون واضحاً لكل المحرضين الهستيريين اننا في موقع الهجوم وليس في موقع الدفاع . اننا نعود ونكرر معارضتنا ، ومقاومتنا للسياسة العنصرية المجرمة ، وسياسة الاحتلال والقمع والاستيطان الكولونيالي ، والتمييز والاضطهاد القومي ضد الجماهير العربية في اسرائيل » (**المصدر نفسه**) .

على اي حال ، فقد تراجعت السلطة عن اتهام زياد ، حيث لم تجد المبرر القانوني ضده . واعلن المستشار القضائي للحكومة بهذا الصدد ، انه « ليس ثمة دافع لرفع الحصانة البرلمانية عن النائب توفيق زياد تمهيدا لمحاكمته ، جرار تصريحاته المتطرفة في اجتماع رؤساء السلطات المحلية العربية في الناصرة» («**الاتحاد**»، ٢٠ / ٦ / ١٩٨٠) .

ردود الفعل

من جانبهم ، بدا الاسرائيليون يتحدثون عن مدى خطورة الهيئات التي يسيطر عليها العرب ، مثل المجالس المحلية ، واللجان الأخرى .

وطالبوا بفصل السياسة عن الاعمال البلدية لهذه المجالس ، كما أدرج على جدول اعمال الحكومة ، مشروع قانون لتعديل الاحكام المتخذة ضد « الارهاب » ويعتبر هذا المشروع أن « التحريض هو بمثابة تأييد للمنظمات الفدائية ، وسيكون جزاؤه السجن لغايةخمس سنوات مع دفع غرامة» (« ر. إ . إ » ، العدد ٢١٠٢ ، ٩ و ١٠ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ٨) . واوضحت المصادر الاسرائيلية ، ان هذا المشروع « يرمي الى مكافحة مظاهر التأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية في الجامعات وفي القطاع العربي عموماً » (**المصدر نفسه**) .

وقد وضع عضو الكنيست امنون لين (الليكود) النقاط على الحروف عندما تحدث عن وجود تناقض بين اهداف العرب في اسرائيل واهداف الدولة اليهودية ، فهم (اي عرب اسرائيل) « ليسوا شركاء في أهداف دولة اسرائيل من ناحية ، بل انهم بالتأكيد شركاء لأهداف العالم العربي من ناحية ثانية . مما يتناقض واهداف دولة اسرائيل . وعادة من الصعب قيادة دولة فيها شعبان ، لكل شعب هدفه المختلف ، بل والمتناقض مع هدف الأخر » (« ر . إ . إ » ، العدد ٢٠٩٥ ، ٣٠ / ٦ و ١ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ١٤) . ويعترف لين بحقيقة عدم اعتراف عرب اسرائيل بالدولة اليهودية ، و دعو الى تنمية وعي عربي في الاوساط المثقفة مفادة : « التسليم بوجود اسرائيل » .

وربط لين قوة موقف عرب اسرائيل ، بقوة موقف العالم العربي أو ضعفه . فقوة العرب تخلق ظروفاً معينة ، وضعفهم يخلق ظروفاً مختلفة ، فبعد حرب الايام الستة « حيث كانت اسرائيل قوية والعرب ضعفاء ، كان اسهل على عرب اسرائيل تطوير ايديولوجية تقوم على قبول وجود الدولة اليهودية . اما بعد حرب يوم الغفران فقد تغيرت الظروف » (**المصدر نفسه**) . وحذر من انه في ظل ظروف عدم وجود تسوية سياسية في المنطقة ، فإن عدم الاخذ باقتراحاته ، سيزيد من التطرف بين اليهود والعرب ، وسيزداد السير « نحو أزمة يستحيل معرفة عواقبها » .

أما ردود الفعل من جانب العرب في اسرائيل ، فقد كانت عند مستوى التحدي ؛ حيث اكدوا على وحدة موقفهم ازاء التصرفات التعسفية الفاشية . وبينوا ان الارهاب الصهيوني لن يجعلهم يتراجعون عن مواقفهم الوطنية المبدئية .

وفي هذا الاطار ، اصدرت اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية العربية بياناً ، شجبت فيه حملة التحريض الهوجاء الموجهة ضد اللجنة القطرية ، وضد مؤتمر الناصرة ، وضد الجماهير العربية في البلاد ، تلك الحملة التي شاركت فيها وسائل الاعلام الرسمية ، ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية . وهي حملة تستهدف « صرف الانظار عن الجريمة البشعة ضد رووٴساء بلديات نابلس ورام الله والبيرة ، وعن فظاعة الاحتلال وسياسة التمييز القومي'ضد المواطنين العرب في اسرائيل » («**الاتحاد** » ، ١٣ / ٦ / ١٩٨٠) . واتهم بيان اللجنة الحكومة بأنها تريد احداث شرخ داخل وحدة اللجنة القطرية وتفسيخ صفوفها . وأكد البيان فشل هذا الهدف « لأن لجنتنا موحدة اكثر من اي وقت مضى ، وهي تقف وراء قراراتها التي اتخذتها بالاجماع في الرامة يوم ٣ / ٦ / ١٩٨٠ ، والتي أقرها مؤتمر الناصرة بحماس واصرار » (**المصدر نفسه**) . واستنكرت اللجنة اجراءات فرض الاقامة الجبرية على الوطنيين المعروفين ، والتهديدات باستخدام اليد الحديدية التي تذكر بالعودة الى أيام الحكم العسكري واضاف : « إننا نرفض كل تهديد كهذا ، ونرفض التحريض والتشويش ولن نخشى أي ارهاب . فحقوقنا واضحة وكفاحنا عادل ووحدتنا قوية وراء مطالبنا واهدافنا العادلة . نحن ننبه الى ان هذه الاعمال لا تخدم التفاهم السلمي بين ابناء الشعبين بل العكس تماماً » (**المصدر نفسه**) .

وفي تعليق لها ، شددت صحيفة الاتحاد ، على ضرورة النضال ضد استشراء الفاشية في اسرائيل ، التي لا تختلف في اسلوبها عن الاساليب الفاشية المعروفة في العالم . وتوجه التعليق بالنداء الى الديمقراطيين اليهود داعيا اياهم لعدم التردد في مجابهة الفاشية « لأن التردد مميت ، فلا تعجبوا ان رفضت الجماهير العربية ، كل الجماهير العربية بقادتها وقواعدها ، أن تتراجع أو أن تتردد في هذه الساعات المصيرية . يقيناً ان القمع يؤلم المقموعين ولا أحد يتبرع بالتضحية . ولكن تمادي القامعين في القمع انما يدل على افلاسهم السياسي ، وعلى تخبطهم وعلى خوفهم من المستقبل »

« **الاتحاد** » ، ١٠ / ٦ / ١٩٨٠) وأكد التعليق على وحدة الصف عند عرب اسرائيل ، وسخف محاولات السلطة وابواقها شق الصفوف والتفرقة بين « متطرف ومعتدل ، وشيوعي وغير شيوعي . كان هذا قبل ذاك ايها الموصوم تاريخهم كله بعار العنصرية وجرائمها . لقد « خيطتم بغير هذه المسلة » اكثر من ٢٥ عاماً حتى قذفتم شعباً بأسره الى ساحات يوم الارض . ان قضية الحياة التي تجابه الجماهير العربية الآن هي التصدي بأعظم وحدة صف للتطرف العنصري السلطوي المستشري » (**المصدر نفسه**) .

حملة واسعة ضد
الطلاب العرب في الجامعات

شهدت الجامعات الاسرائيلية ، حلقة جديدة من حلقات استفزاز الطلاب العرب واضطهادهم تمهيداً لطردهم من الجامعات ، كما أوضح ذلك مؤخراً مناحيم بيغن نفسه . وتساهم في تسعير هذه الحملة منظمات يمينية متطرفة ، ولجان الانضباط في الجامعات ، اضافة الى اجهزة السلطة وادوات قمعها .

وحقيقة الأمر ، ان الطلاب العرب في الجامعات الاسرائيلية ، وانطلاقاً من شعورهم الوطني ، يشاركون في التضامن مع أبناء شعبهم في كل المناسبات الوطنية ؛ كما يعبرون عن سخطهم واستنكارهم ضد سياسات الاضطهاد والقمع العنصري الذي ترتكبه السلطات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، وفي كل مرة يقيم فيها الطلبة العرب مهرجاناً تضامنياً أو ندوة سياسية تتحرك المجموعات اليمينية ، من الطلبة اليهود ، لتفجير الاجتماعات والاعتداء على الطلاب ، بحجة ان هؤلاء عملاء لـ م. ت. ف. يدعون الى تدمير اسرائيل . وبعد ذلك يأتي تدخل البوليس الاسرائيلي لصالح تلك المجموعات ، كما تتخذ لجان الانضباط في الجامعات قرارات طرد تعسفية بحق الطلاب العرب الوطنيين . وكشف الطلاب العرب في مؤتمر صحفي عقدوه في القدس عن التمييز في المعاملة داخل الجامعات « فالنشاطات السياسية للطلاب العرب تتعرض لقمع حقيقي . بينما النشاطات من جانب حركات اليمين في حرم الجامعة مسموح بها » (« **على همشمار** » ، ٢٨ / ٥ / ١٩٨٠) . واكد الطلاب ، ان سلطات الجامعات « تخضع لإملاءات وتهديدات مجموعات الضغط الطلابية اليمينية . وفي القدس فإن مجموعة هتحيا وغوش ايمونيم هي الموجه لتصرفات سلطات الجامعة (**المصدر نفسه**) .

وتعترف المصادر الاسرائيلية ، بحقيقة التحول الذي طرأ على نضال الطلاب العرب داخل الجامعات الاسرائيلية فتقول : صحيح انه كانت تجري في السنوات السابقة مثل هذه المجابهات ، اما هذه السنة ، « فإن اعمال العداء عنيفة اكثر . يكفي ان نذكر حوادث بداية السنة ، والصدامات الحادة التي تجري في الحرم الجامعي ، وحوادث شهر أذار الماضي ؛ ويمكن ان نضيف لذلك الشعارات الكبيرة مثل « الموت للصهيونية » والتي كتبت بالعربية على جدران مباني الجامعة قبل اسابيع قليلة » (« **معاريف** » ، ٣٠/٥/١٩٨٠) . ومن جهة أخرى ، تتهم السلطات الاسرائيلية ، الطلاب العرب ، بأنهم يقيمون روابط اتصال لتنسيق المواقف مع طلاب الضفة الغربية ، وتورد مثالاً عن ذلك العلاقة القائمة بين الطلاب في اسرائيل « وابناء عمومتهم في بيرزيت وجامعات المناطق الاخرى الذين يرون الطلاب العرب في اسرائيل العنصر الاكثر تطرفاً ، والاكثر نشاطاً في اسرائيل نفسها » (**المصدر نفسه**) .

تهديدات بالطرد الجماعي للطلاب

إضافة الى قرارات وقف الطلاب العرب عن الدراسة في الجامعات ، والتي وصلت الى عشرات الحالات في مختلف الجامعات (يكفي ان نذكر ان ٢٥٪ من الطلاب العرب في جامعة بئر السبع مهددون بالطرد والمحاكمة) ، فإن الاوساط المعنية بدأت تهدد الطلاب العرب بالطرد الجماعي من الجامعات ، فقد دعا تسمي هانفبي ، رئيس اتحاد الطلاب في جامعة القدس ، الى حل واحد يمكن أن يمنع اراقة الدماء في الحرم الجامعي وهو « اصدار قانون من الكنيست ، يمنع بصورة قاطعة تعليم مؤيدي م . ت . ف في المؤسسات العامة في اسرائيل . حيث لا يحتمل ان يدفع الشعب الاسرائيلي ثمن التآهيل الاكاديمي للذين يحاولون إبادته » (« **المعاريف** » ، ٣٠/ ٥/ ١٩٨٠) . واثنى البروفسور روفائيل مشولام من جامعة القدس ، على مثل هذه الآراء ، واضاف : انه يمكن السماح بالنشاطات السياسية ، والتعبير عن

الرأي في الجامعات لكن « لن نسمح بتحويل الحرم الجامعي الى ساحة مظاهرات سياسية من المحتمل ان تجز العنف والتحريض . وفي اللحظة التي يرفع فيها الطلاب شعارات م . ت . ف سنوقف التسامح . وسوف تتخذ هذه المرة سياسة اليد الحديدية تجاه مثيري الشغب » (**المصدر نفسه**) .

وساهم مناحيم بيغن ، رئيس الوزراء في الحملة ضد الطلاب العرب بنفسه ، وحدد بشكل واضح طبيعة الخطوات القادمة التي ستتخذها حكومته بحق هؤلاء الطلاب . فقال : «لن اوافق بأي شكل من الاشكال على استضافة جامعاتنا لطلاب يحملوت اللافتات التي تقول، ان ممثلنا الوحيد هو م . ت . ف ... ولن نوافق على رفع علم فلسطين في جامعاتنا » («ر. إ. إ .»، وهدد بيغن بأنه عندما يجتمع مع رؤساء الجامعات سيطلب منهم ابعاد هؤلاء الطلاب ، « العملاء لمنظمة التحرير الفلسطينية . الذين يكرهون اسرائيل ويتعلمون في جامعاتها » (**المصدر نفسه**). وكشف بيغن عن نواياه في طرد الطلاب العرب عندما اشار الى ان من يريد متابعة دراسته «عليه الذهاب الى دمشق او القاهرة او بيروت او اي مكان في العالم» .

والواقع ان اتجاها يتبلور الأن ، ليس لطرد الطلاب فقط ، وانما لطرد كل عربي يبدي معارضته للدولة اليهودية . وقد عبر عضو الكنيست امنون لين عن هذا الاتجاه عندما قال : « ان اي مواطن اسرائيلي يؤيد ، علنا ، ويعمل من اجل منظمات تدعو الى تدمير دولة اسرائيل وتقوم بعمليات ارهاب وقتل ... ان مثل هذا المواطن لن يسمح له بالدراسة أو التدريس في الجامعات ولن يحصل على وظائف او رسمية في الدولة » (« ر. إ. إ. » ، العدد ٢٠٩٢ ، ٢٦ و ٢٧ / ٦ / ١٩٨٠ ، ص ٩) . ويبدو ان اجراءات اتخاذ مثل هذا القرار بدأت تظهر من خلال اقتراح يريد شموئيل تمير ، وزير العدل ، تقديمه للكنيست . وينص على ان « كل تضامن علني مع المنظمات الارهابية، ورفع اعلامها ، وترديد اناشيدها أو خطاب تضامني معها يعتبر مخالفة قانونية » (« ر. إ. إ. » ، العدد ٢١٠٤ ، ١١ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ٧) . واعترفت المصادر الاسرائيلية ، ان هذه الاجراءات جاءت « لان علامات استفهام ظهرت بعد الخطاب العنيف الذي القاه عضو الكنيست توفيق زياد في الناصرة . وبعد ارتداء الطلاب العرب في الجامعات قمصانا كتب عليها م . ت . ف » (**المصدر نفسه**) .

وفي جلسة الكنيست يوم ١١ / ٦ ، والتي خصص معظمها لمناقشة الاحداث الجارية في الجامعات الاسرائيلية ، حمل النائب توفيق طوبي على أصحاب عقلية أرض ـ اسرائيل الكبرى ، وجماعات حزب هتحيا والرابى كهانا وليفنغر الذين « يرفعون بوقاحه شعار طرد العرب من الجامعات » . واتهم طوبي ادارة الجامعات بأنها تمارس اجراءات ادارية تعسفية تمس حقوق الانسان وحرية التعبير ، وتتنكر للجان الطلاب العرب ، وتعتدي على قياداتها . اما الشرطة فتبرز حيال ذلك كقوة مشجعة ومغذية لعناصر اليمين المتطرف فلا تعمل على لجمها ، وتوجه سهام حقدها تجاه الطلبة العرب . وأكد طوبي ، ان الطلبة العرب في اسرائيل هم « جزء لا يتجزأ من الجماهير العربية في اسرائيل . وجزء لا يتجزأ من شعبهم ، الشعب العربي الفلسطيني ... وان الطلبة العرب لا يعانون فقط من التمييز ومظاهر قمع حقهم في النضال من أجل المساواة في الحقوق لهم وللجماهير العربية عامة ، انما يعانون من استشراء الممارسات العنصرية والمتطرفة ضدهم وضد القوى الديمقراطية ، [هذه الممارسات] التي تشكل جزأ من حصيلة تطورات مقلقة حبلى بالكوارث تعصف اليوم بالمجتمع الاسرائيلي ، حيث تنمو الفاشية والعنصرية على أرضية سياسة نظام الحكم القائم حالياً » (**الاتحاد** » ، ١٧ / ٦ / ١٩٨٠) .

خطوات جديدة في اطار تهويد الجليل

رغم اعتراف يسرائيل كينغ ، حاكم لواء الجليل . « أن الجزء الاكبر من شعب اسرائيل ، لم يتولد لديه بعد ذلك الاحساس او الرابط الحقيقي مع الأرض التي يقيم فوقها ، كما يجب ، خاصة الشباب . اذ حتى تحب وترتبط بالوادي ، والصخرة ، والارض ، والجبل يجب أن تشعر انها أرضك » (ر . إ . إ . ، العدد ٢٠٦١ ، ٢١، ٢٢ / ٥ / ١٩٨٠ ، ص ١٢) . فإنه يصر على تهويد الجليل أو كما يسميه هو ، تطوير الجليل ، بجلب اكبر عدد ممكن من اليهود واسكانهم فيه على حساب مصادرة اراضي العرب ، بحجة حماية الجليل من اخطار النمو العربي .

وفي اطار الحملة لتهويد الجليل ، يفيد تقرير للوكالة اليهودية ان مديرية عقارات اسرائيل ، دائرة الاستيطان التابعة للوكالة ، تمكنت من « تسبيح ٧٥ الف دونم من الاراضي الاميرية التي بقيت تحت سيطرة العرب حتى الآن . وهذه المساحة جزء من مشروع للاستيلاء على ٢٥٠,٠٠٠ دونم من الجليل خلال ثلاث سنوات » (« ر. إ. إ. » ، العدد ٢٠٩٦ ، ٣,١ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ١٣) كما تبذل جهود حثيثة الآن ، من قبل الجهات المختصة بالاستيطان ، من أجل زيادة عدد المستوطنات في الجليل . وخلال هذا العام « اقيمت ٢١ نقطة استيطانية ، حتى الآن ، وسيتم اقامة ٦ نقاط استيطانية أخرى حتى نهاية العام » (**المصدر نفسه**) . وقد كشف متيتاهو دروبلس ، رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، عن ان حكومة الليكود « عملت لاستيطان الجليل خلال ثلاث سنوات ، ما لم تعمله الحكومات السابقة خلال ثلاثين سنة » (**المصدر نفسه**) . وأوضح رعنان فايتس ، احد مسؤولي الاستيطان في الوكالة ، ان الهدف من تلك المشاريع هو أن يصبح اليهود اكثرية في الجليل . ويبدو ان كل هذه الجهود ، تسعى الى تأسيس حقائق في المنطقة ، كما عبر صراحة عنها عاموس هرباز مدير لواء الجليل التابع للوكالة اليهودية .

أما الحقائق التي يريد المسؤولون الاسرائيليون تغييرها في الجليل ، من خلال زيادة عدد المستوطنات وبالتالي عدد المستوطنين اليهود ، فهي ما أوضحها اريئيل شارون وزير الزراعة ، عندما كان يشارك في تدشين مستوطنة تل ـ آيل بالجليل الغربي حيث قال ، انه سيسعى حثيثا لاستيطان كل أراضي الدولة في الجليل « للاحتفاظ بتلك الاراضي للاجيال القادمة » ؛ وان دوافعه لهذا الاتجاه تتلخص بأمرين « الاول ، ان مناطق كاملة اصبحت خارج نطاق حركة اليهود ؛ والثاني ، رداً على مطالبة عرب الجليل بالحكم الذاتي » .(« ر. إ. إ. » ، العدد ٢١٠٠ ، ٧ و ٨ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ٦ .) .

ومع أن شارون يستبق الأحداث عندما يتحدث عن مطالبة عرب الجيل بالحكم الذاتي ، فإنه يعكس حقيقة القلق الاسرائيلي من التطورات المقبلة . وبالفعل فإن السلطات الاسرائيلية بدأت بتنفيذ مشاريع استيطانية ، بهدف الفصل بين مواقع السكان العرب ، وبخاصة بين مناطق ١٩٦٧ ومناطق ١٩٤٨ . وضمن هذا الاطار تقرر « اقامة خمس نقاط استيطانية في وادي عاره ، اضافة الى عشر مستوطنات داخل الخط الأخضر في المنطقة الواقعة بين بيت جبرين ويثير جنوب جبل الخليل » (« ر. إ. إ . » ، العدد ٢٠٩٨ / ٤ و ٥ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ٦) . وكانت قد تقدمت بهذا الاقتراح لجنة خاصة شكلتها الحكومة برئاسة ابراهام يافه ، رئيس هيئة المحافظة على الطبيعة ، والمسؤول عن الدوريات الخضراء . وفي هذا المجال ايضاً ، أوضح شارون ، انه لمنع السكان العرب من استثمار اراضي الدولة الواقعة في جبل الخليل ، داخل الخط الاخضر ، وكي « نمنع خلق شريط سكاني متماسك ومتصل بين بدو النقب وسكان جبل الخليل ، بدأنا باعداد خطة استيطانية تبدأ من منطقة بيت ـ غوبرين [جبرين]لتمتد جنوباً حتى منطقة لاهط وشمالاً الى منطقة تكواع » (**المصدر نفسه**) .

قضية اراضي البدو في النقب

منذ توقيع اتفاق كامب ديفيد ، اشتد الصراع الذي كان قائماً بين بدو النقب والسلطات الاسرائيلية ممثلة بالدوريات الخضراء ، حول الاراضي التي يملكها العرب في النقب ، بسبب محاولة الحكومة الاسرائيلية مصادرتها لأهداف مختلفة . وقد اتبعت الدوريات الخضراء مؤخراً اسلوباً جديداً لاجبار البدو على التخلي عن أراضيهم ، وذلك عبر مصادرة قطعان الماشية التي يملكونها بحجة المحافظة على الطبيعة .

فقد وجه مراقب وحدة الاراضي المفتوحة ،وهو الاسم الرسمي للدوريات الخضراء ، كتُب انذار إلى ثلاث وعشرين عائلة بدوية من قبيلة العزازنة للتخلي عن قطعان الماشية التي تملكها ، خلال اسبوعين ، لأن وجود القطعان يتنافى وقانون المحافظة على الأشجار . علماً أن تربية المواشي هي المصدر الاساسي لرزق هذه العائلات . وحسب قانون حماية الاشجار فانه « يمكن تربية رأس ماعز واحد فوق مساحة ٤٠ دونم من الاراضي البعلية ، او ١٠ دونمات من الاراضي المفلوحة ، وذلك اذا كان صاحب الارض موافقاً ومرتاحاً » (« ر . إ . إ . » ، العدد ٢٠٩٠ ، ٢٤ و ٢٥ / ٦ / ١٩٨٠ ، ص ١٢) . وهدد البدو من جانبهم بعدم الرضوخ

لهذا القرار ، وبأنهم سيلجأون الى محكمة العدل العليا ، ومعارضة مصادرة مواشيهم ، حتى بواسطة اللجوء للقوة .

على أية حال ، فإن قرار مصادرة المواشي ، ليس هو المقصود بذاته مباشرة . وانما هو وسيلة لفك ارتباط البدو بوسيلة العيش الوحيدة ، وبالتالي لدفعهم الى التخلي عن الارض . لأن السلطات الاسرائيلية قررت نهائياً ، تحويل اراضي النقب الى مطارات وقواعد عسكرية ومواقع لتدريب القوات المنسحبة من سيناء ، وكان من المقرر أن يبدأ العمل في بناء مطار عسكري على أراض يملكها العرب في منطقة تل ملحاتا (تل الملح) مع بداية شهر أيار (مايو) الماضي ، وبسبب خلافات حزبية ، وتوزيع مقاعد الكنيست لم تتم المصادقة على قرار مصادرة الاراضي المطلوبة ، التي تبلغ ٦٢ الف دونم . وفي يوم ٨ / ٧ / ١٩٨٠ ، وبعد تسوية الخلافات بين احزاب الائتلاف من جهة ، واحزاب المعارضة من جهة اخرى ، حول الموضوع ، طرح على الكنيست مشروع قانون شراء الاراضي من البدو في تل الملح ، وتمت المصادقة عليه بالاغلبية المطلقة . وسيلحق هذا القانون الضرر بحوالى سبعة آلاف بدوي يقيمون في تل الملح . وتعرض الحكومة الاسرائيلية كتعويض عن الاراضي ، تجميع البدو في مدينة نموذجية ، يتحول البدو خلالها من مربي مواشي الى مزارعين . وسيمنح من يملك اوراق الطابو لأراضيه قطعة ارض تبلغ ٥ ٪ من المساحة التي كان يملكها ، مع ٣٠ كوب ماء لكل دونم (الكوب يساوي متراً مكعباً) . بينما لا يحصل من لا يملك اوراق الطابو (وهم الاكثرية) الا على دونم واحد فقط بدلاً من أراضيه .

وقد أثار اصدار القانون هذا موجة استنكار ومعارضة من جانب أصحاب الاراضي العرب ، واعلنوا انهم « سيعارضون اخلاء الارض بالقوة ... وانهم لن يخلوا الارض حتى لو أدى ذلك الى سفك الدماء » (« ر . إ . إ . » ، العدد ٢١٠١ ، ٨ و ٩ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ٧) . وشجبت لجنة الطلاب العرب في جامعة النقب هذا القانون ، وقال مسؤلو اللجنة . انه سيؤدي الى مزيد من التدهور في « العلاقات بين اليهود والعرب . ووجهوا نداء للبدو ، يدعونهم فيه الى معارضة الاخلاء » (« **المصدر نفسه**) . ويبدو ان السلطات الاسرائيلية ماضية في تنفيذ مخططاتها بطرد البدو من أراضيهم ، غير عابئة بمصير هؤلاء السكان وحقوقهم ، لان اسرائيل تضع مصلحتها الأمنية فوق اي اعتبار انساني مهما كان ، وهو ما عبر عنه مردخاي تسيبوري نائب وزير الدفاع عندما قال : « ان المطار ضروري ، ولا خيار إزاءه لدولة اسرائيل » .

إن شراسة الممارسات الفاشية والعنصرية ، والاضطهاد القومي ضد العرب في اسرائيل من قبل أجهزة السلطة ، والمنظمات اليمينية المتطرفة ، تدفع بالعرب هناك ، الى توحيد اساليب النضال ، وتقليص التعارضات القائمة داخل الصف الوطني ، من أجل مواجهة موحدة للعنصرية الصهيونية . ولتجسيد دور اكثر فعالية في مسيرة النضال الوطني للشعب الفلسطيني .

محمد عبد الرحمن

صدر حديثاً
عن مركز الابحاث

المجلد الحادي والعشرون من « اليوميات الفلسطينية » ، الذي يسجل الاحداث المتصلة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني ، بين ١٩٧٥/١/١ و١٩٧٥/٦/٣٠ .

١ ـ موقف اسرائيل من مفاوضات الحكم الذاتي والمبادرة الاوروبية

بعد فترة انقطاع استمرت اكثر من شهرين ، وبعد دعوات واجتماعات ومذكرات متبادلة بين كل الاطراف ، تم استئناف مفاوضات الحكم الذاتي ، فعقدت اولى جولاتها مساء ١٣ تموز ١٩٨٠ ، وكان الرئيس المصري قد علق هذه المفاوضات ، قبيل الموعد المحدد لانتهائها بعشرات الايام .

واذا كانت اسباب تعليق المفاوضات لا تزال قائمة ، وفقاً للمواقف الاسرائيلية والمصرية المعلنة ، حيث لم يتزحزح ، حتى الآن ، اي طرف عن موقفه المعلن والمتعارض مع موقف الطرف الآخر ، فلا بد من الافتراض ان استئناف المفاوضات ـ من جانب مصر ـ يمثل اسهاماً في حملة كارتر الانتخابية ، وهذا ما يفسر عودة مصر الى المفاوضات في هذه الفترة ، ويفسر ايضاً عدم حماسها للاندفاع فيها ، كما يريد الوفد الاسرائيلي ؛ فقد صرح الرئيس السادات : « انه لا أمل الآن في توقيع اتفاقيات معينة مع اسرائيل ، ولكن ، بشكل عام ، أنا متفائل ، وإن اتفاقيتي كمب ديفيد هما حجر الاساس لاتفاق شامل في منطقة الشرق الاوسط » (« **دافار** » ، ١٩٨٠/٦/٢٢) . ويعني هذا ان السادات لا يرغب في التوصل الى اي اتفاق ، مهما كان نوعه ، مع اسرائيل قبل اجراء انتخابات الرئاسة الاميركية ، ويبدو ان لدى السادات سبباً آخر يشير اليه حين يقول : « قبل نهاية هذا العام ستحدث تغيرات في نظرة بعض الدول العربية الى اتفاقيتي السلام ، والمسألةمسألة وقت فقط » (**المصدر نفسه**) .

لقد اوضح السادات ، بما لا يدع مجالاً للشك ، ان استكمال المفاوضات حول مصير الضفة الغربية لا يجب ان يكون قبل انتخاب الرئيس الاميركي الجديد ، حيث يمكن للضغط الاميركي ـ ان كان هناك ضغط ـ ان يكون اكثر فاعلية وأشدَّ تأثيراً .

الموقف الاسرائيلي الرسمي

لم تأت فترة تعليق مصر للمفاوضات ، لمدة شهرين ، بجديد في هذا المجال ، فقد بقي الموقف الاسرائيلي على ما هو عليه ، كذلك جمد الموقف المصري ، لاسباب ذكرناها ، وعلى الرغم من ثبات هذين الموقفين وافقت اسرائيل ومصر والولايات المتحدة على استئناف المفاوضات ، وقد قال بورغ ، رئيس الوفد الاسرائيلي المفاوض (وهو يستعد للسفر للقاء الوزير المصري حسن كمال علي) « انه سيسافر الى واشنطن ولديه شعور بعدم الارتياح ، بسبب الموقف المتصلب الذي تتخذه مصر من موضوع الحكم الذاتي » (« **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٨٠/١/٣٠) .

والمعروف انه ، منذ الجولة الاولى من مفاوضات الحكم الذاتي في بئر السبع ، كان الموقف الاسرائيلي معلناً دون مواربة ، وحتى دون مراعاة اعطاء السادات فرصة تحقيق مكاسب لفظية امام الشعب العربي بعامة ، وامام الشعب العربي في مصر بخاصة ؛ فقد أعلن الوزير بورغ : « ان اسرائيل لن تدفع اي ثمن من اجل ضمان تجديد المفاوضات ،

فمصر هي التي علقت المفاوضات ، وواجبها العمل على تجديدها ، وهي بالتالي لا تستطيع ان تقول لنا ان القدس ليست عاصمة لاسرائيل » (« **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٨٠/٧/٣).

ربما كان النقاش الذي دار امام لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، بين رئيس الحكومة مناحيم بيغن وبين يتسحاق رابين رئيس الحكومة السابقة ، خير ما يعبر عن الموقف الاسرائيلي تجاه مفاوضات الحكم الذاتي . فقد قال رابين : « ان الحكم الذاتي سينتهي باقامة دولة فلسطينية ، لذا فالحل الاقليمي الذي سيبقى الجيش الاسرائيلي ، بموجبه ، على ضفة نهر الاردن ، هو الحل الافضل والامثل » (« **معاريف** » ، ١٩٨٠/٦/١٨) .

وردّ عليه بيغن : « اذا كان المقصود الحقوق المشروعة للفلسطينيين التي وردت في اتفاقيتي كمب ديفيد ، فإن هذه الحقوق وردت ضمن اطار تطبيق الحكم الذاتي ، وليس ضمن منحهم هذا الحق لإقامة دولة فلسطينية » (**المصدر نفسه**) . وخلال هذا النقاش قال رابين : « اننا متفقون ، معارضة وائتلافاً ، على اربع لاءات :

أ ـ لا لدولة فلسطينية .
ب ـ لا مفاوضات مع م . ت . ف .
ج ـ لا عودة الى حدود العام ١٩٦٧ .
د ـ لا تقسيم لمدينة القدس (**المصدر نفسه**) .

وعقب على هذا وزير الخارجية الاسرائيلي يتسحاق شامير بقوله : « ليس هدف الحكم الذاتي إقامة دولة ثانية ، لشعب ليس له وطن ، بل الهدف حل مشكلة سكان المناطق فقط » (« **معاريف** » ، ١٩٨٠/٦/١٨) .

وفي هذا الوقت كانت الحكومة الاسرائيلية ، قد صادقت على اعتماد خارطة انتشار وتثبيت قوات الجيش الاسرائيلي ، بعد قيام الادارة الذاتية . وتقول المصادر الاسرائيلية ان اسرائيل لن توافق على تدخل مصري ـ اميركي في خطة انتشار جيشها ، لأن ذلك أساس امنها ، « فسينتشر الجيش الاسرائيلي على كافة المحاور في [المناطق المحتلة] ، وستقام القواعد العسكرية بجوار جميع المراكز السكانية وبجوار مفارق الطرق الحيوية ، وسيحتفظ بالأراضي الواقعة بين المستوطنات اليهودية لصالح المنشآت العسكرية ، كما ستقام قواعد الانذار والمراقبة فوق قمم الجبال ، كما ستبقى قوات الجيش الاسرائيلي متمركزة في المعسكرات المنتشرة على طول نهر الاردن ، وستتحرك الوحدات على طرقات الضفة الغربية وقطاع غزة دون اذن سلطات الادارة الذاتية . وستقوم اسرائيل بسحب قواتها من المراكز المأهولة بالسكان وحشدها مقابل تلك المراكز ، وتنوي اسرائيل نشر قواتها بطريقة تمكنها من مواجهة الاخطار الخارجية على الجبهة الشرقية ، وسيمكنها هذا الانتشار العسكري من الرد الفوري على عمليات [الفدائيين] داخل اراضي الادارة الذاتية ، كما ان هذا الانتشار سيضمن الترابط بين المستوطنات اليهودية والمنشآت العسكرية » (« ر . إ . إ . » ، العدد ٢٠٩٢ ، ٢٦ ، ١٩٨٠/٦/٢٧ ، ص ٣ ـ ٤) .

وكانت احدى مؤسسات البحث الموثوقة في الولايات المتحدة قد قدمت بحثاً عن الاهمية الامنية للضفة الغربية في حالة السلام ، جاء فيه : « فالطائرات العمودية والقنابل الذكية ، يمكن ان تمنح اسرائيل وسائل امن مشابهة ، من حيث القيمة ، لاراضي الضفة الغربية ، كذلك ليست هناك قيمة لوضع اجهزة رادار على قمم الجبال في منطقة نابلس لانه بالامكان الحصول على نتائج مشابهة بواسطة استعمال اجهزة انذار مبكر من داخل حدود اسرائيل ١٩٦٧ ، كذلك ليست هناك قيمة امنية للمستوطنات الاسرائيلية في [الضفة الغربية] ، باستثناء مستوطنات غور الاردن ، التي تسيطر بالمراقبة على شبكة الخطوط على طول ضفة نهر الاردن ، اما القيمة الامنية للطريق الذي يتوسط الضفة الغربية ، فإن اسرائيل مضطرة للتنازل عنها ان ارادت انجاز السلام مع الاردن ، مثلما سبق وتنازلت عن آبار النفط في سيناء ، وفي حالة السلام يجب ان تسهم اسرائيل في عمليات الامن الداخلي في الضفة عن طريق عمليات تفتيش على جسور نهر الاردن فقط ، على ان تقوم بهذه العمليات عناصر دولية ـ اسرائيلية ـ اردنية مثلاً ـ من اجل تقليص مهمة اسرائيل في الاشراف على الامن الداخلي ، كذلك اعطاء الصلاحيات للمجلس الاداري الذاتي وفق تصاعد او تخفيض العمليات [الفدائية] » (« **هآرتس** » ، ١٩٨٠/٥/١٨) .

غير ان هذا البحث لم يغير الموقف الاسرائيلي ، ولم يبدل من شروط اسرائيل بالنسبة لتطبيق الحكم الذاتي ، الذي لا تتعدى صلاحياته صلاحيات اية بلدية . ومما يثبت ذلك قانون اعتبار القدس عاصمة لاسرائيل الذي اقرته الحكومة كما اقرته اللجنة القانونية التابعة للكنيست ، ثم اقر بالقراءة الاولى في الكنيست . ورداً على قرار الكنيست بشأن ضم القدس ، عشية تجديد المفاوضات في واشنطن ، اتخذ مجلس الشعب المصري قراراً يعلن فيه « ان القدس الشرقية هي عاصمة الفلسطينيين » (« **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٨٠/٧/٢) . والجدير بالذكر ان هذا القرار المصري سيرسل الى جميع برلمانات دول العالم ، وهو رد على قرار الكنيست . واعتبرت اوساط في القدس ، هذا القرار تحرشاً من جانب مصر ، ورأته مناقضاً لأقوال السادات ، في هذا الموضوع . وقد عُلم ان السادات وجه عدة مرات ، نقداً شديداً لتأييد الحكومة الاسرائيلية لقانون القدس .

فقد اعلن نائب رئيس الحكومة المصرية فؤاد محي الدين « ان اسرائيل تضع العراقيل في طريق المفاوضات بسبب سياسة الاستيطان ومشروع القدس ، وبسبب مطالبها الامنية المبالغ فيها ، واذا ما استمرت اسرائيل بهذه السياسة ، فإن الامر قد يلزم القاهرة بوقف المفاوضات مرة اخرى » (**المصدر نفسه**) .

وكان مساعد وزير الخارجية المصري ، اسامة الباز قد اعلن ان « على اسرائيل ان تغير ، كلياً ، نظرتها ، قبيل تجديد المفاوضات حول الحكم الذاتي ، وعليها الامتناع عن اتخاذ خطوات من شأنها جعل المفاوضات مستحيلة ، كقانون القدس ، وإقامة المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة » (« **يديعوت احرونوت** »، ١٩٨٠/٧/٣) .

تجدد مفاوضات الحكم الذاتي

بعد اجتماعات واشنطن بين بورغ وكمال علي وبعد وصول لينوفيتش في الاسبوع الاول من تموز وتدخل الرئيس كارتر لدى رؤساء الوفود ، تم الاتفاق على تجديد المفاوضات ، التي استؤنفت فعلاً مساء ١٩٨٠/٧/١٣ ، في فندق مينا هاوس بالقاهرة ؛ وذلك على مستوى اللجان بين مصر واسرائيل ، وقد عقد الاجتماع الاول ، كما وصفه المراقبون ، « وسط اجواء يسودها الاختلاف في وجهات النظر حول القضايا الاساسية ، وعلى رأسها قضية القدس » («ا. ش. ا» ؛ « **رويتر** » ، ١٤ / ٧ / ١٩٨٠) ؛ فعندما نوقش برنامج العمل الخاص بالمفاوضات « عارض الوفد الاسرائيلي طرح بعض البنود ، زاعماً أن فيها خطراً على أمن اسرائيل ، ووافق الطرفان على الاستمرار في بذل المحاولات في الغد ، وسيقوم ممثلو وفدي اسرائيل ومصر بمحاولة اضافية لاقرار برنامج وجدول الاعمال بعد ان فشلوا مساء امس في ترتيب ذلك » (« ر . إ . إ . » ؛ العدد ٢١٠٥ ، ١٣ ، ١٤ / ٧ / ١٩٨٠ ، ص ٣) .

وكانت مصر قد طرحت في الجلسة الاولى مشكلة الأبعاد القانونية للعوامل التي ادت لتجميد المحادثات ، ومنها مشكلة القدس والمستوطنات في الضفة الغربية ، غير أن الوفد الاسرائيلي رفض ذلك بحجة أن اللجان غير مخولة ببحث هذه المسائل . والجدير بالذكر ، ان محادثات القاهرة لن تبحث سوى المشاكل الادارية ؛ حيث نظمت اصلاً لاعداد ارضية لمناقشات الوفود الاساسية التي ستلتقي في الشهر القادم ، في الاسكندرية .

وفي هذا الاجتماع التمهيدي ، ترأس الوفد الاسرائيلي وزير العدل شموئيل تامير ، اما وفد مصر فقد ترأسه وزير الخارجية بالوكالة ، الدكتور بطرس غالي ، في حين ترأس الوفد الاميركي ، المستشار القانوني لوزارة الخارجية ، روبرت هانزل ، (« ر . إ . إ . » ، العدد ٢١٠٠ ، ٧، ٨/٧/١٩٨٠ ص ٤) .

لقد سبق وأشرنا إلى أن هذه الجولة فشلت في وضع برنامج عمل ، وعليه فقد طلب وزير الخارجية المصرية ، كمال حسن علي من الدكتور يوسف بورغ « تلطيف موقف اسرائيل في المفاوضات ، حيث ان السعودية اوشكت على تأييد اتفاقيتي كمب ديفيد ، واتخاذ مواقف معتدلة تسمح بانضمام السعودية الى مفاوضات السلام » (« ر . إ . إ . » العدد ٢١٠٥ ، ١٣ ، ١٤/٧/١٩٨٠ ، ص ٤) .

وكان بطرس غالي قد استقبل وزير العدل الاسرائيلي بمطلب يقضي بضرورة اشراك

الفلسطينيين وإلا لن يكون هناك سلام . وقال غالي موجهاً حديثه الى شامير : « بما انك تتولى شؤون العدل ، اقول لك ، انه اذا لم يكن هناك عدل في الضفة الغربية وقطاع غزة فلن يكون هناك سلام » (« **رويتر** » ، ١٩٨٠/٧/١٤) .

وكان تامير قد قال ، قبل مغادرته مطار القاهرة ، ان هناك فجوة خطيرة بين وجهات نظر كل من مصر واسرائيل حول الحكم الذاتي ولا اتوقع ان يكون من السهل التغلب على هذه الفجوة .

من جهة ثانية ، ذكر راديو اسرائيل « ان مناحيم بيغن مصمم على نقل مكتبه الى القدس الشرقية وانه ابلغ مصر والولايات المتحدة بالامر » (**المصدر نفسه**) .

ردود الفعل الاسرائيلية على بيان البندقية

انقسمت ردود الفعل الاسرائيلية ، بالنسبة لبيان قمة البندقية لدول أوروبا الغربية ، الذي صدر في ١٩٨٠/٦/١٤ ، الى قسمين : الاول رسمي صدر عن رئيس الحكومة والوزراء ؛ والثاني نيابي ، صدر عن اعضاء الكنيست من الائتلاف والمعارضة .

وقد تميزت ردود الفعل هذه برفض البيان الصادر عن قمة البندقية ؛ وقد قام رئيس الحكومة مناحيم بيغن بنفسه بقراءة قرار الحكومة الذي يشجب بيان الدول الاوروبية التسع ؛ ويعتقد انه فعل هذا تأكيداً منه على الخطورة التي توليها اسرائيل لهذا البيان . وكان بيغن قد حمل بشدة على البيان الخاص بالشرق الاوسط ووصفه بانه « ميونيخ » جديدة . (اشارة الى زيارة عدد من زعماء اوروبا لميونيخ عام ١٩٣٩ استرضاء لهتلر) ـ ووصف منظمة التحرير الفلسطينية بأنها « اس ـ اس » ـ (فرقة الصاعقة النازية) ـ عربية . ومما قاله بيغن في بيانه :

« ان المشتركين في القمة [الاوروبية] تدخلوا في قضية القدس ، عاصمتنا الابدية غير القابلة لأي تفاوض ، وادانوا ايضاً حقنا الشرعي في الاستيطان في اي جزء من ارض اسرائيل ، هذا الحق الذي تمليه علينا اعتبارات الامن في مواجهة اعداء ومعتدين . وان كل انسان ذا نية حسنة وكل انسان حر في اوروبا ، يأخذ علماً بقرارات البندقية ، يرى فيها استسلام ميونيخ ، وهي الاستسلام الثاني في جيل واحد . ان وثيقة البندقية استسلام امام ابتزاز كل العناصر التي ترغب في تخريب اتفاقيتي كمب ديفيد ، واحباط فرص السلام في الشرق الاوسط ... وقد كررت منظمة القتلة فكرتها الاساسية في دمشق عشية قمة البندقية فقالت : « ان فتح حركة ثورية مستقلة هدفها تحرير كل فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً وايديولوجياً » ؛ وانه لم يسبق قط ، منذ ظهور كتاب « كفاحي » لهتلر ، ان عبرت منظمة بتعابير اكثر وضوحاً وعلى مسمع من الجميع ، بما فيهم أوروبا ، عن الرغبة في تدمير الدولة والشعب اليهوديين ؛ وان اسرائيل ليست بحاجة الى ضمانات أمنية من اية دولة اوروبية ، وانها تعرف كيف تدافع ، وستدافع عن نفسها بنفسها » (« **معاريف** » ، ١٩٨٠/٦/١٦) .

واضاف بيغن : لن يبقى من قرار البندقية الا ذكراه المُرَّة .

وفي تعليق آخر قال وزير الخارجية الاسرائيلية : « لن نستطيع الاشتراك في اية مفاوضات على اساس قرارات دول السوق الاوروبية في البندقية » (« **معاريف** » ، ١٩٨٠/٦/١٩) .

وقد وجهت وزارة الخارجية دعوة الى سفراء دول السوق الاوروبية المشتركة ، من أجل سماع احتجاجات اسرائيل على القرارات التي صدرت عن قمة البندقية ، وطلبت من السفراء نقل قرار اسرائيل ، الذي يشجب بيان البندقية ، الى حكوماتهم .

اما عضو الكنيست يهودا بن مئير من المفدال ، المتحالف مع الحكومة ، فقد قال : « يجب ان نقول لاوروبا انه لا يمكن ان نبيع الضفة الغربية الى اشخاص لا يملكونها » (**المصدر نفسه**) .

اما زعماء المعارضة ، فقد عارضوا القرار الاوروبي بشكل لا يقل شدّةً عن رفض رئيس الحكومة له ، فقد قال يتسحاق رابين : « ان قرار المجلس الاوروبي قرار سيىء، وهو يشتمل على عنصرين سلبيين ، الاول عدم تأييد اتفاقيتي كمب ديفيد ، والثاني زرع بذور لتغيير قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، الامر الذي سيلحق الضرر بمسيرة السلام ، وان هذا القرار دلالة على قرارات اشد خطورة ستصدر في المستقبل ، من جانب اوروبا » (« **معاريف** » ، ١٩٨٠/٦/١٦ .) .

من ناحية أخرى ، ذكرت صحيفة « **دافار** » في افتتاحيتها ١٥/٦/١٩٨٠ ، « ان قرار المجلس الاوروبي يعتبر انجازاً آخر للفلسطينيين وللدول العربية النفطية ، ولم تترك الدول الاوروبية اي مجال للشك ، بالنسبة للاتجاه الذي تسعى اليه ، وهو انسحاب اسرائيل الى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، وإقامة دولة فلسطينية » . واضافت الصحيفة تقول : « ليست هناك جدوى من الاستخفاف بالانعكاسات الخطيرة للقرار الاوروبي .

وكان عضو الكنيست اوري افنيري الوحيد الذي طالب بتبني قرارات مؤتمر البندقية ، فقد قال : « لقد رفضنا ، في الماضي ، مشاريع يارنغ وروجرز ، غير انها ، في النهاية ، فرضت علينا » . (« **يديعوت احرونوت** » ، ١٩/١/١٩٨٠) .

تأثير رد الفعل الاميركي

وفي واشنطن قال الرئيس كارتر معقباً على قرار الدول الاوروبية : « لقد حدث تقدم كبير ، وان واشنطن راضية تماماً عن بيان دول السوق الاوروبية » (**يديعوت احرونوت** » ، ١٥/ ٦/ ١٩٨٠) .

اما وزير الخارجية الاميركي ماسكي ، فقد قال : « اننا نرى في بيان الدول الاوروبية جهداً اوروبياً يساعد على ايجاد حل للمشكلة في الشرق الاوسط ، وانني مرتاح لتصريح الرئيس الايطالي ، الذي اوضح ان المجموعة الاوروبية لا تنوي العمل على تقويض مسيرة كامب ديفيد » (**المصدر نفسه**) .

ان ارتياح الولايات المتحدة لقرار مؤتمر البندقية ، على الرغم من المعارضة الاسرائيلية الشديدة ، له دلالات مختلفة ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، ففي تحليل اسرائيلي للموقف الاميركي جاء : « ان المبادرة الاوروبية اعطت الولايات المتحدة سوطاً تستطيع به توجيه اسرائيل ، خلال مفاوضات الحكم الذاتي ، وان على اسرائيل ان تدرك ، ان الفاصل بين اعتراف اوروبا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، اعترافاً دبلوماسياً كاملاً ، وبين عدم الاعتراف شعرة ، ولا يمكن لاسرائيل الاستمرار في عدم احراز تقدم في مفاوضات الحكم الذاتي ، لفترة طويلة ، والحؤول دون قيام الدول الاوروبية باتخاذ خطوتها النهائية ، اي الاعتراف بالمنظمة الفلسطينية » (**المصدر نفسه**) .

أما السبب الآخر لارتياح الولايات المتحدة، فهو، كما جاء على لسان احد كبار الموظفين في الادارة الاميركية : « اننا آسفون لأننا لم نحاول السير في خط واحد مع الاوروبيين ، منذ البداية ، وانه بسبب البيان الاوروبي ، سيكون من السهل على القادة الاوروبيين اجراء اتصالات مع قادة م . ت . ف ، الذين يمكن ان يقتنعوا ويباركوا انضمام رؤساء البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الى مفاوضات الحكم الذاتي » (**المصدر نفسه**) .

مكرم يونس

---

٢ - تنظيم عسكري سري في اسرائيل

تشير كافة الحقائق والأحداث المتتالية ، داخل اسرائيل والمناطق المحتلة ، الى وجود تنظيم عسكريّ سري داخل المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة وغيرها من المناطق الأخرى . ومن خلال عودتنا الى متابعة الأحداث يتضح لنا أن هذا التنظيم العسكري يكاد يكون علنياً ورسمياً ، وذلك لأن اصحابه لا يخفون واقعهم هذا ، إن من حيث ظهورهم العسكري المسلح داخل المستوطنات وخارجها ، أو ، كذلك ، من حيث تصريحاتهم المتطرفة جداً ، والتي تنادي كلها باستخدام العنف والقوة ، ضد العرب وضد اليهود المعتدلين أنفسهم . وقد أشارت بعض المصادر الاسرائيلية علانية ، الى تأييد وتبني بعض الجهات لهذا التنظيم ، وبخاصة رئيس الاركان الاسرائيلي ، رفائيل ايتان ورئيس الوزراء مناحيم

بيغن ووزير الزراعة اريئيل شارون وغيرهم . وخير دليل على هذا ، ان الناطق الرسمي بلسان حركة الحاخام كهانا ، يوسي دايان ، لم يخف تأييده لعملية القتل التي تعرض لها رؤساء البلديات في الضفة الغربية عندما قال : « انه ورجاله لن يختبئوا لانهم غير متهمين . وان محاولات انهاء حياة رؤساء البلديات ، صباح اليوم ، يجب اعتبارها بداية لما قد يقع في [المناطق المحتلة] بعد اقامة الحكم الذاتي » (« ر. إ. إ. » ، ١ ، ٢/٦/١٩٨٠) .

المنظمة السرية

أشارت « **هاعولام هازيه** » (١٤/٥/١٩٨٠) ، الى الاشاعات التي تسود ، داخل الجيش الاسرائيلي ، حول وجود مستودعات كبيرة للاسلحة داخل مستوطنات « غوش ايمونيم » وكذلك في المدارس الدينية والبيوت الخاصة التابعة لها ، وكانت اولى دلائل ذلك ما حصل في المظاهرات الكبرى ضد هنري كيسنجر ، حيث لم يخف رؤساء « غوش ايمونيم » حنان بورات والحاخام موشي ليفنغر حقيقة « أنهم درسوا امكانية استخدام القوة ضد اي اتجاه لاخلاء المستوطنات من ارض ـ اسرائيل المتكاملة » . وكان واضحاً للجميع ، ان حنان بورات المذكور ، كان صادقاً في كلامه ، وأنه يملك كميات من الأسلحة والذخيرة ، تكفي لإثارة الرأي العام العالمي . وأشارت « **هاعولام هازيه** » ، في نفس العدد ، الى تجول الشبان ، من اعضاء « غوش ايمونيم » في الشوارع وهم يحملون الاسلحة . وأشارت الى وجود ثلاثة أنواع من الأسلحة بحوزتهم : الأول مرخص من قبل السلطات ؛ والثاني شبه رسمي ، حصلوا عليه من قبل القادة المقربين من « غوش ايمونيم » ، او من الضباط المتدينين ؛ والثالث غير مرخص وكميته غير معروفة الا لرؤساء الكتلة . وهناك بعض الدلائل التي تشير الى ضخامة الأسلحة وحجمها ، فقد اورد تقرير مراقب الدولة الذي نشر مؤخراً ، أنه تمت سرقة أسلحة من « اوغدا » [فرقة] مدرعة واحدة في الجيش الاسرائيلي بما قيمته ١٨ مليون ليرة ، وكانت قيمة الذخيرة لوحدها حوالي ٤ ملايين ليرة ، وهذا ما حدث داخل فرقة واحدة فقط ، فكيف يكون الوضع في الجيش بكامله ؟ . وقد حدث ، في احدى المرات ، اكتشاف مستودعات صغيرة للاسلحة في بعض المستوطنات ، وعندها طلب الجيش الاسرائيلي بصورة علنية من احدى المستوطنات ، اعادة الاسلحة غير المرخصة ، ولكن هذا الطلب لم يتحقق (**المصدر نفسه**) .

ومن جهته ، أشار النائب اوري افنيري الى حقيقة وجود منظمة سرية مسلحة في اسرائيل ، وأضاف : « انه لا توجد منظمة سرية واحدة وانما هناك عدة منظمات سرية ... وانه لا يوجد اي شك بالنسبة لهويتها السياسية ـ الشعبية . فهي تنتمي الى المعسكر اليميني ـ المتعصب الذي يبدأ من الوزير اريئيل شارون في اليمين ـ ويشمل الحركات المختلفه من اجل ارض ـ اسرائيل المتكاملة ، وحركة هتحيا [البعث] وغوش ايمونيم وعصابة الحاخام كهانا ، والأشخاص الهامشيين المهووسين التابعين للمفدال وحروت » (« « **هعولام هازيه** » ، ١١/٦/١٩٨٠) . ولكن افنيري يؤكد من جهة أخرى : « وجود منظمة سرية تهدد نظام الحكم والقانون والديمقراطية ، في اسرائيل ومعسكر السلام وزعماءه ، وعلاقات الدولة الخارجية ، وربما ، ايضاً ، حكومة اسرائيل نفسها » .

ويشير افنيري في مقاله الى أنه عندما ظهر ممثل سلطات الأمن امام احد قضاة المحكمة العليا ، اقسم هذا الضابط بأنه يملك اثباتات تؤكد ان الحاخام كهانا ينوي القيام بجرائم خطيرة ، الى درجة أنها تعرض سلامة الدولة للخطر ، وهذا ، كما يرى افنيري، دليل قاطع واثبات رسمي على وجود منظمة سرية واحدة . كما ان اكتشاف مخزن الأسلحة في احدى المدارس الدينية ، في القدس القديمة يشكل ، دليلاً ثانياً ، وكذلك تشكل محاولة القتل المُحْكمة التي تعرض لها زعماء الضفة الغربية دليلاً ثالثاً ، وأخيراً ، وهو الدليل الرابع ، هناك التهديدات التي وجهت الى نشيطي السلام الاسرائيليين . واشار افنيري ، أيضاً ، الى انه لا يوجد اي عائق يمنع تلك المنظمات السرية من التطور بسرعة والوصول الى مرتبة منظمتي « إشل » و « ليحي » عندما كانتا في فترة أوجهما . وان الأعمال التي قامت بها تلك المنظمات في المناطق المحتلة ، في رام الله ، ومحاولة قتل رؤساء البلديات « لم تكن لتحدث لولا تغاضي قسم من رجال قوات الأمن والحكم العسكري عنها ، وانه لمن المستحيل ، عليها ، التجول في مدن الضفة ليلاً ، وتنفيذ عمليات داخلها ، دون ان يشعر بها أحد . حيث ان قوات الأمن مستنفرة دائماً في تلك المدن لمنع

العرب من القيام بالأعمال الارهابية » (**المصدر نفسه**)

عصبة الدفاع اليهودي

بدأت عصبة الدفاع اليهودي تتبلور وتتكون خلال عام ١٩٧١ في الولايات المتحدة الاميركية ، وبصورة خاصة في مدينة نيويورك . وقد بدأت نشاطها بتوجيه الشتائم والبصق على النساء السوفيتيات في المحلات العامة ، وكذلك بالتعرض للأطفال السوفييت ، وهم في طريقهم الى المدارس . ثم أخذ اعضاء العصبة يجمعون الاسلحةوالمواد المتفجرة ويطلقون النيران على بيوت الدبلوماسيين السوفييت . وقد أعلن الحاخام كهانا في مقابلة مع صحيفة « **يديعوت احرونوت** » (١٩٧١/١٠/٢٢) : « أن هدف رابطته هو اعادة الشبيبة الى احضان اليهودية وتخليصهم من الضياع في صحراء العالم المعادي » . وفي تلك الفترة ايضاً ، تنظمت مجموعة داخل جامعة بار ـ ايلان ، بصورة سرية ، وأعلن اعضاؤها القيام بحملة اعلامية شاملة بين صفوف الشبيبة الاسرائيلية لشرح « حقوقنا التاريخية والقومية في ارض ـ اسرائيل المتكاملة ، بما فيها الضفة الشرقية من الاردن . واننا سنعمل بكل الوسائل للحيلولة دون خضوع الحكومة للضغوط الموجهة عليها » (« **معاريف** » ، ١٩٧١/٣/١) . وقد علم في حينه ان الطلبة الجامعيين من اعضاء عصبة الدفاع اليهودي ، طالبوا باستخدام الوسائل المتطرفة من اجل اثارة الرأي العام الاسرائيلي كما طلب هؤلاء من زعمائهم الاعلان عن : « أنه اذا ما قررت الحكومة الانسحاب ، فان منظمة سرية ستتشكل ، وتعارض بالقوة أعمال الحكومة » . (مجلة « **اوت** » ، ١٩٧١/١٢/١٦ .) .

كهانا مؤسس العصبة

يعتبر الحاخام كهانا ، المؤسس لعصبة الدفاع اليهودي ، وهو حاخام متعصب ، وكان حتى ظهوره عام ١٩٦٩ يعمل زعيماً روحياً لاحدى الكُنُس في احدى القرى الاميركية ؛ وإضافة الى عمله هذا كان يكتب بصورة دائمة في احدى الصحف اليهودية المسماة « جويش برس » ، وكانت الصحيفة رجعية بكل ما يتعلق بالسياسة الداخلية الاميركية ، ودينية تقليدية بكل ما يتعلق بمشاكل اسرائيل . وقد تمحورت مقالاته الكثيرة حول موضوعين أساسيين : التهديد « الأسود » والخطر « الأحمر » على الاميركيين واليهود. وأعلن في حينه ان اي نشاط من قبل الاوساط الليبرالية من اجل منح السود حقوقاً متساوية ما هو الا مؤامرة لا سامية لمنح السود امتيازات على حساب اليهود ، وان كل من يناضل من اجل مساواة الأجناس ما هو الا « نازي أسود » يحاول السيطرة على المدن الاميركية واقامة « سلطة للسود » . (« **نبكو ـ آدار ، حوتام** » ، ١٩٨٠/٥/١٥ .) . وقام كهانا ، في تلك الفترة ، بفتح معسكرات تدريب للشبان ، حيث درسوا التاريخ اليهودي ثم تدربوا على الجودو والكاراتيه والقنص واستخدام الأسلحة . ثم أخذ هو وجماعة يبلورون ايديولوجية خاصة بهم ، ولكنها اعتمدت ، أساساً ، على ايديولوجية حركة « بيتار » و « الصهيونيين الاصلاحيين الموحدين في اميركا » وهي المرتبطة أساساً بالمنظمة العالمية لحركة « حيروت » في اسرائيل . وقد جاء في ايديولوجيته أن هناك خطراً كبيراً ينتظر يهود اميركا ، وان اللاسامية في تصاعد مستمر وان الدولة [الولايات المتحدة] ، اصبحت مستعدة للحكم الفاشي، وهي تمر الآن تماماً في المرحلة التي اجتازتها المانيا عشية تسلم هتلر للسلطة . وفي مثل هذه الحالة ، لا يوجد أي مستقبل لليهود في اميركا ، وأنهم اذا ما ارادوا الحيلولة دون وقوع عملية ابادة ضدهم ، فما عليهم الا الهجرة الى اسرائيل (**المصدر نفسه**) .

وعام ١٩٧١ ، افتتح الحاخام كهانا مكاتب « العصبة » في اسرائيل ، ثم انتقل للاستقرار هناك ، فاستقر في القدس ثم انتقل الى كريات ارباع . ومن جملة الأشخاص الذين اتصل بهم : يهوشع بن ـ تسيون ، المدير العام السابق لبنك اسرائيل ـ بريطانيا ، وهو من النشيطين الرئيسيين « لحركة مقاومة الأنسحاب » . ومن المتبرعين والممولين لـ « غوش ايمونيم » ، ومن المعجبين جداً برئيس الحكومة مناحيم بيغن . وهو اول معتقل يقوم بيغن باطلاق سراحه من السجن قبل ان ينهي فترة عقوبته عن المخالفات الاقتصادية التي ارتكبها . وكان المليونير اليهودي الاميركي برني دوتيش ، المؤيد الثاني للحاخام كهانا ، وهو نفسه الذي قام بتمويل قسم من نشاطات « حركة ارض ـ اسرائيل المتكاملة » ونشاطات كتلة « غاحل » (حيروت والاحرار) من اجل يهود الاتحاد السوفيتي (**المصدر نفسه**) .

وتتألف العصبة من فئتين ، القيادة الفتية والقيادة المسنة (اشخاص تجاوزوا الـ ٢٥ عاماً) وتترأس العصبة قيادة مشتركة تضم ممثلين عن القيادتين ، وتتألف من خمسة عناصر هي : عظمة اسرائيل (جمال شعب اسرائيل وتكامله . احد اسس نظرية جابوتنسكي) ، حب اسرائيل (مسؤولية متبادلة لليهود حيثما كانوا) ، حديد اسرائيل (ضرورة استعمال القوة لتحقيق أهداف الرابطة) ، أمن اسرائيل (ضمانات للدفاع عن سلامة اليهود في كل مكان) ، والعنصر الأخير : الأنصياع الاعمى ، اي انصياع جميع اعضاء العصبة لقرارات مؤسساتها دون اعتراض وتمعن . (« **هآرتس** » ، ١٩٧١/١٢/٣ .) . ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية اكتشفت صناديق من الاسلحة كانت مهربة الى الخارج ، واعتقلت يومها عميحاي بغلين ، الذي شغل مركز ضابط عمليات الأشل في حينه ، وكانت الصناديق تحتوي على ذخيرة وقنابل يدوية من صنع الجيش الاسرائيلي . كما تم خلال عام ١٩٧٢ ، اعتقال كهانا بسبب نشاطاته المشبوهة ، وتم الكشف ، في حينه ، عن أنه عمل ، مدة سنتين ونصف السنة ، عميلاً لمكتب التحقيقات الجنائية الاميركي (F.B.I) . وفي مقابلة له مع مجلة « بلاي بوي » ، كشف الحاخام كهانا ، عن أنه انضم ؛ عام ١٩٦٣ ، الى المنظمة الاميركية اليمينية ـ المتطرفة « جمعية جون بيرتس » بناء على طلب مكتب التحقيقات الجنائية الاميركي . وأشار الى أنه بقي في تلك المنظمة طيلة عامين ونصف باسم مايكل كينغ (« **هآرتس** » ، ١٩٧٢/١٠/٣) . هذا ، وقد اعتقل ، مؤخراً ، الحاخام مئير كهانا الذي اصبح يتزعم ، الآن ، الحركة اليمينيه المتطرفة « كاخ » نظراً لنشاطاته المتطرفة وعلاقاته بسرقات مخازن الاسلحة التي اكتشفت في المناطق المحتلة ؛ ولكن السبب المعلن الذي ادعت السلطات انه اعتقل من اجله ، كان الحادث الذي وقع قبل سنة واربعة أشهر ، عندما استدعاه يومها الطلبة المؤيدون له ، للتحدث في الجامعة التي منعته سلطاتها من الدخول خوفاً من الاخلال بالنظام . وبرغم هذا المنع ، خلع كهانا وجماعته المدخل ، وألقى خطابه عن العرب في اسرائيل ، بالرغم من تحذيرات ضباط الأمن . وقد صدر مؤخراً قرار الحكم بسجنه لمدة سبعة أشهر ، لارتكابه تلك المخالفه (« ر . إ . إ » ٢٩ و٣٠/٦/١٩٨٠) . وكانت صحيفة « **هآرتس** » (١٩٨٠/٥/١٤) ، قد كشفت الأسباب الحقيقية لاعتقال الحاخام كهانا وزميله يوسف غرين ، « وهي وصول معلومات الى دوائر الشرطة تفيد بأنهم ينوون تنفيذ مهمة معينة » ، ومن الجدير بالذكر هنا ، أن السلطات الأسرائيلية ووسائل الاعلام الاسرائيلية قد أشارت ، سلفاً ، الى نية تلك المجموعة القيام بعمليات انتقامية ضد المواطنين العرب ، غير انها لم تحدد هذه العمليات تماماً ، كما أنها حاولت نفيها ، في بعض الحالات ، ولكن بات من المؤكد ان العملية المذكورة التي تحدثت عنها الاوساط الأمنية ، التي كان ينوي كهانا وجماعته تنفيذها قد تحققت فعلاً ، وهي محاولة قتل رؤساء البلديات في الضفة الغربية مؤخراً .

وكان وزير الدفاع قد قرر اعتقال كهانا وزميله ، « في اعقاب تراكم المعلومات لدى اجهزة الأمن ، والتي أشارت جميعها الى وجود تنظيم سري من اجل القيام بأعمال ارهابية ضد العرب في الضفة » . وكشف مصدر أمني موثوق لصحيفة « **هآرتس** » أن رجال عصبة الدفاع اليهودي قد عقدوا عدة اجتماعات ، منذ عملية القتل في مدينة الخليل ، وأنهم اعدوا خططاً لتنفيذ عمليات عنف ، ستثير ، في حال تنفيذها ، الاضطرابات من جديد في الضفة الغربية . ومن جملة المعلومات التي وصلت الى اجهزة الأمن ، ان هناك خطة لقتل الزعماء الثلاثة المبعدين من منطقة الخليل ، اذا ما تقررت عودتهم الى بيوتهم . وقد نقلت تلك المعلومات الى وزير الدفاع ، الذي اصدر بدوره أمراً باعتقال كهانا وزميله ، وذلك في اعقاب التشاور مع رئيس الحكومة (« **هآرتس** » ، ١٩٨٠/٥/١٥ .) . وأشارت مصادر أخرى الى أن سبب اعتقال الحاخام كهانا ، هو محاولة نسف المسجد الأقصى في القدس . وذكرت تلك المصادر ان ١٢٠ كيلو غراماً من المواد الناسفة ضبطت في المدرسة الدينية اليهودية في الحرم الابراهيمي كانت بتصرف جماعة كهانا من اجل نسف المسجد . وذكر ايضاً ، ان الشرطة اكتشفت مشاريع تفصيلية لمجموعة من منظمة كهانا ، الغاية منها الحاق الأضرار بعدد من الأماكن المقدسة للمسلمين (« ر . إ . إ . » ، ٢و٣/٦/١٩٨٠ .) .

منظمة د . ب (سحق الخونه)

في بداية عام ١٩٧١ ، قامت تظاهرة يسارية أمام مبنى الكنيست احتجاجاً على تصرف جنود الجيش

الاسرائيلي إزاء سكان غزة . وكان مؤسسو « د . ب » بين الذين جاءوا يحتجون على هذا الاحتجاج ، وبين الذين تبادلوا الضرب مع المتظاهرين . وبعد التظاهرة اجتمع هؤلاء (مؤسسو « د . ب ») وقرروا تأسيس هيئة تتولى النضال ضد ما اسموه الانهزامية المنظمة . ويجمع الاسم د . ب بين اسم ضابط شاب ـ دب آدار ـ قتل في عملية ، وبين الحرفين الأولين من كلمتين عبريتين هما : « ديكوي بوغديم » اي سحق الخونة . وكما في حركة حيروت كذلك في « د . ب » يوجد افراد متدينون وآخرون علمانيون ضمن اطار واحد . وزعيم « د . ب » هو شمعون رحميم ، وهو ابن عائلة يهودية سورية ـ عراقية وخريج مدرسة حكومية ـ دينية . وكان شمعون رحميم أحد افراد الجماعات الكثيرة التي حاولت الاستيطان دون اذن ، في اماكن مختلفة من الضفة الغربية قبل سنتين او ثلاث ، خلافاً لموقف حكومة التكتل الوطني . ويقول الصحافي بارناع :

« ان اوساطاً معينة في الحكومة أيدت اقامة هذه المنظمة لخلق توازن بين التيارات المتطرفة من اليمين واليسار . وعلى اي حال ، فقد تصرفت السلطات تجاه « د . ب » بتسامح اكثر من غيرها . وترتكز ايدلوجية « د . ب » على ثلاث دعائم : ارض ـ اسرائيل (بحدود الميعاد) للشعب اليهودي ، وشعب يهودي واحد (مقابل غير اليهود) وثقافة يهودية ، والوصول الى حد الميعاد من الفرات الى النيل » (« **ملحق دافار** » ، ١٦/ ١٩٧٢/٦) .

لقد بلغ عدد اعضاء جماعة « د . ب » ، عام ١٩٧١ ، نحو مائتي شخص ، غالبيتهم من الطوائف الشرقية . وهي جماعة اسرائيلية في معظمها ، تتراوح اعمار أعضائها بين ٢٠ ـ ٢٧ سنة . وقد قامت كرد فعل لنشاط « متسبين » واليسار الاسرائيلي الجديد في الجامعة العبرية . ونشطت في التظاهر ضد الدكتور ناحوم غولدمان ، وضد مسرحية ملكة الحمام ، [مسرحية تنتقد حكام اسرائيل بشدة عرضت ابان حرب الاستنزاف ثم منع عرضها ، بسبب الاعتراض على بعض الالفاظ التي تستعملها] وضد نشاطات حمائمية للمنظمات اليسارية . وبمرور الوقت ، تغير طابعها ، فاصبحت اليوم تؤكد فكرة ارض ـ اسرائيل المتكاملة ، وتتخذ موقفا متشددا من العرب ومن الاستيطان اليهودي في المناطق وتدعو الى رفع العلم العبري حيثما عاش اليهود في الماضي . ويقع مركز المنظمة في القدس ، ومنظمها يوسف بن زئبق والحاخام العقائدي لها ، الدكتور يسرائيل الداد (ليحيى سابقا) . وقد تدرب اعضاؤها على القتال وجها لوجه ، كما انهم نشيطون في رسم الشعارات على الجدران ، والمظاهرات ضد زيارة ضيوف المان ، ومرورا بمحاولات رفع الاعلام والصلاة في الحرم الشريف والحرم الابراهيمي (« هآرتس » ، ١٩٧١/١٢/٣) .

حمدان بدر

« رصد اذاعة اسرائيل »

نشرة استماع يومية ترصد ما يبث من اخبار وتعليقات عبر الاذاعة والتلفزيون الاسرائيليين ، بالاضافة الى ما تبثه اذاعة الجيش الاسرائيلي .

تصدر عن مركز الابحاث في م.ت.ف. ، وترسل الى المشتركين فقط .

قيمة الاشتراك السنوي : ٥٠٠ ليرة لبنانية ، عدا اجور البريد .

ترسل طلبات الاشتراك الى : مركز الابحاث ، م.ت.ف. ، ص.ب . ١٦٩١ ، بيروت ـ لبنان .

ترسل قيمة الاشتراك الى حساب مركز الابحاث لدى البنك العربي ـ فرع رأس بيروت ، برقم ١٣٣٧ .

مغزى « الخيار العسكري » الاميركي في الشرق الاوسط

لا يمكن أن يكون كل الصخب العسكري المسموع في ـ ومن ـ الولايات المتحدة ، في الآونة الأخيرة ، مجرد موسيقى تصويرية ، مصاحبة لاحتفالات انتخابات الرئاسة الأميركية .

فهذا الصخب الأميركي الشديد ليس ـ هذه المرة ـ كلامياً مصنوعاً من البيانات والتصريحات والخطب . بل هو صادر من مصدر مادي مباشر يتمثل في تحركات قوات برية وجوية وبحرية ، وفي تنقلات ومناورات فردية ومشتركة .

والشيء الذي يجعل هذا الصخب العسكري الأميركي مسموعاً بشدة ، هنا في المنطقة العربية ، هو أن معظم هذه التحركات والتنقلات والمناورات يتم داخل هذه المنطقة ، أو على الأقل ، على حدودها .

والدلائل كثيرة على أن الولايات المتحدة تستعد لتنفيذ « قرار ما » اتخذته فعلاً ؛ وهذا القرار ذو صبغة عسكرية (يمكن أن تتحول حربيَّةً في مرحلةٍ لاحقة) . ويتعلق هذا القرار بالمنطقة العربية من حيث الأسباب ، ومن حيث النتائج على السواء . ويمكن أن نستنتج ، على وجه التحديد ، أن القرار يتعلق بمنطقة الخليج العربي ، ومن ثم فهو ذو صلة وثيقة بالنفط العربي ... وذو صلة وثيقة بالتالي بكل قضايا الاستقلال العربي والتحرر العربي والثورة العربية والوحدة العربية ولا شيء من هذا بعيد بأي حال عن شؤون الثورة الفلسطينية .

والجو العام المحيط بالولايات المتحدة ـ أو الذي تحيط نفسها به ـ منذ فترة ، وبخاصة منذ نهاية العام الماضي (١٩٧٩) ، ينطوي على مفارقة واضحة . فهي على خلاف حاد مع الاتحاد السوفياتي ـ الدولة العظمى المنافسة ـ بالنسبة لعدد كبير من المسائل . أهمها افغانستان ، وأفغانستان بالنسبة للولايات المتحدة لا تعني شيئاً سوى الخطر على « الخليج » ... أي ان الشرق الاوسط هو في صلب أهم الخلافات الحادة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ؛ وهي خلافات تنذر ، في تقدير كثيرين ـ داخل الولايات المتحدة أكثر من غيرها ـ بنهاية عصر الانفراج (الوفاق) ونشوب الحرب العالمية الباردة الثانية . وتنذر ، في تقديرات بعضهم ، بنشوب الحرب العالمية الثالثة .

والولايات المتحدة ، في الوقت نفسه ، على خلافات عميقة مع حلفائها (أوروبا الغربية وكندا واليابان) حول عدد من الأمور الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، من بينها ما يتعلق بخلافاتها الحادة مع الاتحاد السوفياتي . وفي خلال الفترة نفسها ـ اي منذ اواخر العام الماضي ـ بلغت الخلافات بين واشنطن وحلفائها حداً تنذر معه ، في تقدير كثيرين ، داخل الولايات المتحدة أكثر من غيرها أيضاً ، بانفراط التحالف (العسكري في تصور البعض والسياسي ، فقط ، في تصور البعض الاخر) . ويعبر مراقبون آخرون عن المعنى نفسه للنتيجة نفسها باحتمال « تحييد أوروبا » . وهنا أيضاً فإن أبرز وأكبر الخلافات بين الولايات المتحدة وحلفائها ـ

وبخاصة الأوروبيين ـ تتعلق بالشرق الأوسط وبالسياسة الأميركية فيه ، وبمدى كفاءة الزعامة الأميركية في ممارسة زعامتها على التحالف الغربي في مناطق مثل منطقة القضية الفلسطينية ، ومنطقة السلم الكلي لاسرائيل ، ومنطقة النفط العربي الخليجي وأخطارها ... الخ .

وفي الوقت نفسه أيضاً ، اضافة الى خلافات الولايات المتحدة مع خصمها الرئيسي الاتحاد السوفياتي ومع حلفائها الرئيسيين ، تبدو الولايات المتحدة في حالة خلاف حاد مع النفس ، يتمحور ، بطبيعة الحال ، على الخلافات الحادة مع الغير ـ الخصوم والحلفاء على السواء ـ ويتمحور ـ من ثَمَّ ـ على المدى الذي ينبغي أن تذهب الولايات المتحدة إليه في السعي الى تحقيق تفوق عسكري استراتيجي على الاتحاد السوفياتي ، وعلى المدى الذي ينبغي أن تذهب إليه في طلب تحمل الحلفاء « نصيبهم » في الدفاع عن العالم الغربي ، والمدى الذي ينبغي أن يلتزم فيه هؤلاء الحلفاء بالمصلحة الأميركية معتبرين كل ما هو في مصلحة واشنطن هو في مصلحة أوروبا والأطلسيين واليابانيين ...

وللشرق الأوسط حضور كثيف في « الخلافات » الأميركية ، وهنا تبرز ، بشكل خاص ، علاقة « الأمن النفطي » الغربي بمصالح أميركا لدى العرب ، وبمصلحة أميركا الاستراتيجية في اسرائيل .

غير أنّ الخلاف مع الذات داخل الولايات المتحدة ينطوي على وجه آخر . انه عملية مراجعة ومحاسبة للنفس ، ولكنها معكوسة . فهي محاسبة بعكس محاسبة السبعينات ، فتلك أدت الى ادراك ضرورة الخروج من « ورطة فيتنام » ، وهذه تريد اثبات ضرورة الخروج من « عقدة فيتنام » ... مراجعة السبعينات ، إضافة إلى فضيحة «ووترغيت»، أدت الى سقوط ريتشارد نيكسون ، ثم الى نجاح جيمي كارتر على أسس تحقيق السلام وتقليص تجارة السلاح والحد من الأسلحة الاستراتيجية والاهتمام بالقضايا الاجتماعية ... ومراجعة الثمانينات أدت الى تحول كارتر عن وعوده الانتخابية وقرب سقوطه لصالح مرشح « القوة » و« المواجهة » و« التفوق » (رونالد ريغان) .

وفي اطار هذه المراجعة للنفس فإن الولايات المتحدة بدأت بالفعل عهد ريغان قبل مجيئه ؛ وها هي تخرج ، عسكرياً ، الى العالم معلنة نهاية « عقدة فيتنام » . وتجد الوضع الأمثل لهذا الخروج العسكري ، الى العالم ، بالدخول الى منطقة الشرق الأوسط ، وتحديداً الى منطقة الخليج العربي ، ولكن على نطاق أوسع منه كثيراً بحيث يتجاوز كل « القوس » الذي كانت الولايات المتحدة قد زعمت من قبل أنه « قوس الأزمة » (بتعبير زبيغنيو بريجنسكي) الذي انشرت عليه القوة (العسكرية أو السياسية) السوفياتية . و « قوس » الحضور العسكري ـ الاميركي الجديد يمتد من « دييغو غارسيا » (المحيط الهندي) الى بحر العرب الى الخليج العربي (بحراً وبراً) إلى القرن الأفريقي (قاعدة برباره الصومالية) الى جنوب مصر (قاعدة قنا) إلى شمالها (الدلتا ـ والصحراء الغربية المصرية ، وموانىء مصر الأساسية في الاسكندرية وبورسعيد ومرسى مطروح) امتداداً إلى سفن الأسطول السادس في البحر الأبيض المتوسط والى قواعد هذا الأسطول في جنوب أوروبا (تركيا واليونان شرقاً ، واسبانيا غرباً) ويمتد طرف القوس من جنوب غرب أوروبا حتى المغرب التي تطل على البحر المتوسط وعلى المحيط الاطلسي وتربط ـ بالتالي ـ بينهما .

هناك ، إذن ، مفارقة ثلاثية ينطوي عليها هذا الخروج العسكري الأميركي على العالم من مداخل الشرق الأوسط . إنه يتم في وقت تتعقد فيه التناقضات مع الخصم الأساسي ، والخلافات مع الحلفاء الرئيسيين ، والانقسامات ، في الداخل . وهو وضع مركب وليس الأمثل لسياسة « هجومية » . ومع ذلك ، فإن الولايات المتحدة اتخذت ، وتستمر في اتخاذ وضع الهجوم عسكرياً في هذه المنطقة الشاسعة . وبخاصة في مركزها المتمثل في منطقة الخليج ؛ الأمر الذي يثير عدة تساؤلات :

● هل تعتقد الولايات المتحدة ، فعلياً ، أن الاتحاد السوفياتي بصدد التقدم لاحتلال منابع النفط العربي في ايران والخليج العربي ؟ أم أن المسألة لا تخرج عن اطار اعتبارات «السنة الانتخابية ؟ » .

● هل الولايات المتحدة مستعدة فعلياً للتصدي بالقوة العسكرية للاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة ؟ أي هل هي مستعدة للمخاطرة باشعال حرب عالمية

انطلاقاً من هذه المنطقة ، وهل ترى ان المبررات كافية لهذه المخاطرة الرهيبة ؟ .

● هل تستطيع الولايات المتحدة ، اذا قدرت امكان حصر المواجهة مع السوفيات في هذه المنطقة في حرب محدودة وتقليدية (غير نووية) ، أن تخوض هذه الحرب ، وهي في وضع الخلاف مع الحلفاء ؟ أي بالاستغناء تماماً عن أي دور لهم ؟ .

● هل تُقَدِّر الولايات المتحدة امكان خوض حرب ضد السوفيات في هذه المنطقة ، إستناداً الى دعوة وتأييد من « نظم » المنطقة بصرف النظر عن مدى ثبات هذه النظم واستقرارها (في ضوء ما أثبتته تجربة نظام الشاه في ايران) ؟

● هل تعتقد الولايات المتحدة انها تخلصت تماماً من « عقدة فيتنام »بما يسمح بتدخل مباشر مماثل دون اثارة ردود فعل داخلية عنيفة ، خصوصاً في جو الخلافات الداخلية السائد ؟ .

كما نلاحظ فإن عدداً من هذه التساؤلات يتعلق بمواقف واستعدادات الولايات المتحدة نفسها ، بينما يتعلق بعضها الآخر بمواقف واستعدادات الخصم الرئيسي (الاتحاد السوفياتي) وبعضها الأخير يتعلق بمواقف واستعدادات الحلفاء ، وهم قسمان : حلفاء العالم الغربي ، وحلفاء في مسرح العمليات ، اي في الشرق الأوسط نفسه .

أما عن مواقف واستعدادات الولايات المتحدة فإنها واقعة بالضرورة تحت تأثير الانقسامات والخلافات الداخلية ، إضافة الى تأثيرات مواقف واستعدادات كل الأطراف الأخرى .

عن أميركا نفسها كتب المعلق الأميركي المحافظ المعروف جوزيف كرافت مقالاً على درجة عالية من الخطورة ـ لفرط صراحته ـ (« **انترناشيونال هيرالد تريبيون** » ٥/٧/١٩٨٠) . قال فيه :

« إن الولايات المتحدة احتفلت بعيدها القومي (٤ تموز) هذا العام ، وهي في حالة مزاجية مثيرة للفضول . فمعظم الأميركيين يشعرون بانحدار عن وضع التميز السابق الذي تمتعت الولايات المتحدة به طوال فترة ما بعد الحرب . غير أن هناك تسطحاً في اتفاق الرأي ، وانقساماً في الرأي العام حول ما ينبغي عمله ازاء الابتعاد عن المركز الأول . ان دليل الانحدار يكمن في كل مكان . ففي عام ١٩٧٢ ، فقدت الولايات المتحدة تفوقها ، فلم تعد ، البلد ذي المستوى الاعلى للمعيشة في العالم . وهبط معدل نموها بنسبة ٢٥ بالمائة ، في العقد الماضي . كما أنها لم تعد أفضل من المتوسط بين البلدان الصناعية . هذا عن التضخم ، أما عن الاستثمار ، وهو المعيار الأفضل لقياس المستقبل ، فهو أدنى كثيراً مما هو في المانيا الغربية ، واليابان » .

ويستعرض كرافت أوجه الانحدار الأميركي العسكرية والاقتصادية والاجتماعية بصورة يكاد المراقب ألّا يصدقها لفرط تشاؤمها وبعدها عن الصورة « المعتادة » للولايات المتحدة ، ويصل في النهاية الى القول : « ربما يكون بامكان قيادة أجسر أن تفعل شيئاً مختلفاً . ولكن ، ربما كان الأمر يحتاج الى شيء يضرب في العمق، أكثر ، شيء يؤثر على مجموع الرأي العام ـ هزة تحطم روح الانقسام ، والتردد التي هي دائماً العلامة المميزة لدولة عظمى على حافة الانهيار » .

وعلى الرغم من كل هذه الشحنة من التشاؤم والصراحة . في تشخيص امراض الولايات المتحدة بأنها أمراض شيخوخة ، فان كرافت لا يفوته أن يؤكد « أن الأغلبية ، فيما يبدو ، تعتقد أن على الولايات المتحدة ان تنفق أكثر على الدفاع » ، وان كان ثمة خلاف على مقدار الزيادة وعلى أنواع الأسلحة اللازمة .

ولا يختلف،عن هذا الاستنتاج،ما يقرره **المسح الاستراتيجي ١٩٧٩** ـ الصادر عن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في ربيع ١٩٨٠ ـ في فصل تحت عنوان : الولايات المتحدة : قلق على الأمن ، حيث يقول :

« ان الاتجاهات داخل الولايات المتحدة ، التي كانت ممكنة التمييز لعدة سنوات ، قد تركزت في عام ١٩٧٩ نحو اتفاق في الراي محبذ لزيادة الانفاق العسكري ولحضور أميركي أكثر تأكيداً في الخارج ... ان تعاقب أزمات العالم الثالث ـ إيران واليمن وأفغانستان ـ قد ركز الانتباه على مهمة اسقاط قوة عسكرية ، فيما وراء مناطق الانتشار التقليدية للولايات المتحدة ؛ وهي مهمة دعا اليها ، منذ وقت طويل ، بريجنسكي مستشار الأمن القومي . لقد زاد الوجود العسكري الأميركي في منطقة الشرق الأوسط والخليج (الفارسي) زيادة حادة في عام ١٩٧٩ » .

وننتقل من هذا التقدير العام الى تحديد اكثر دقة ، فنجد مجلة « **نيوزويك** » الأميركية تقرر في تحقيق موسع لها ـ عن « حشد أميركي ضخم في

الخليج » ـ « أن جيمي كارتر قد رسم خطاً استراتيجياً حازماً حول حقول نفط الخليج (الفارسي) ، في كانون الثاني (يناير) الماضي وحذر الكرملين من عبوره . ووقتها كان « يبلف » فقط : فموجودات اميركا العسكرية في المنطقة كانت لا تتجاوز شذرة من القوة السوفياتية المتاحة . ولكن منذ ذلك الوقت ، والبنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) تعمل بلا هوادة لحشد قوة ضاربة أميركية للدفاع عن موارد الغرب النفطية والآن فإن القوات ، والمعدات تبدأ في الاستعداد لأسرع حشد عسكري للأمة [الأميركية] منذ فيتنام » («**نيوزويك**»، ١٤ تموز (يوليو) ١٩٨٠) .

وتصف نيوزويك هذه الاستراتيجية الجديدة التي نشطت الولايات المتحدة في تنفيذها في الشرق الأوسط والخليج العربي ، بأنها « في الأساس وليدة ضعف اميركي في هذه المنطقة الحيوية » ... كما تصفها بانها « استراتيجية مواجهة جسورة لم يسبق اختبارها ابداً ـ هي ، في الحقيقة ، استراتيجية ، لنكُنْ أول من يصل ولكن في آخر وقت » .

نحن، إذن، أمام استراتيجية تتمثل في «قوة التدخل السريع » بعد ان تحولت من مجرد مشروع الى حضور عسكري فعلي قوامه ، في منطقة بحر العرب وحدها ، ٣٠ سفينة حربية بينها ثلاث حاملات طائرات و ١٥٠ طائرة حربية ، وقوة من مشاة البحرية مؤلفة من ٤٠ ـ ٤٥ ألف رجل ؛ ومن المقرر أن يبلغ عدد رجال قوة التدخل السريع مئة وعشرة آلاف رجل ، والعدد قابل للزيادة ، وفقاً لتقديرات العسكريين الأميركيين لاحتياجات « هذه المنطقة الحيوية » ، حتى يمكن أن تتعدى القوه ٢٠٠ ألف رجل . وفي سبيل دعم هذه القوة جهزت الولايات المتحدة قاعدة « دييغو غارسيا » في المحيط الهندي ، وأمنت لقواتها قواعد وتسهيلات في مصر وعمان وكينيا ، وتتفاوض للحصول على تسهيلات ـ على الأقل ـ في قاعدة بربارة في الصومال .

والامر الواضح هو أن الولايات المتحدة تمضي في خططها العسكرية الخاصة بالشرق الأوسط والخليج العربي غير عابئة بالانتقادات التي توجه الى هذه الاستراتيجية سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها ، من جانب الحلفاء الأوروبيين . فهناك في الداخل من يتهم الادارة الاميركية بانها تقوم باستعراضات تهدف إلى « الاستهلاك السياسي المحلي » لأن كل ما تفعله لا يقدر على مواجهة التحديات في الخليج العربي ، فضلاً عن أنه يهدد باندلاع مواجهة نووية ، ولا يرضي معظم « حلفاء » الولايات المتحدة في المنطقة . وثمة انتقادات خارجية تتساءل عن جدوى هذه الاستراتيجية في مواجهة انقلابات او ثورات خاطفة لا تجد الولايات المتحدة ازاءها إلا أن تقنع بموقف المتفرج ؛ وهذا ما حدث ، مؤخراً، في أفغانستان. وهو نفسه ما حدث في ليبيا، عام ١٩٦٩ ، وأفقد الولايات المتحدة احدى أهم قواعدها في ذلك الوقت (قاعدة هويلس) . ويذهب نقاد آخرون الى أن الاستراتيجية المبنية على « قوة التدخل السريع انما تنطلق من مقدمة « أسوأ سيناريو ممكن » ، وهو السيناريو الذي يفترض أن الاتحاد السوفياتي سيتدخل عسكرياً وبصورة مباشرة في الخليج العربي لغزو حقول النفط . وهو افتراض يعتبره المحللون الغربيون (وفق رواية « نيوزويك » الاميركية) بعيد الاحتمال الى درجة عالية .

وفي هذا الصدد كان تعليق المعلق العسكري الاسرائيلي نيمرود توفيك القائل : « ان التهديد المباشر لشيوخ النفط ليس الجيش الأحمر ، انما هو عصبة من الثوريين الذين يرعاهم الروس ... » وحتى أصحاب استراتيجية قوة التدخل السريع ، أنفسهم يقولون ان القصد منها هو « ردع العدوان ، وليس التغلب عليه . فالغالب أن السوفيات يملكون تفوقاً في أية مواجهة بالاسلحة التقليدية على الأرض مع القوات الأميركية حول الخليج » . ويقول أحد مخططي « البنتاغون » ، بصراحة : « من الواضح أن لواءً واحداً اميركياً لن يضرب أي قوة مؤلفة من ست فرق سوفياتية تجتاح ايران » .

مع ذلك فقد خطت هذه الاستراتيجية ، على الصعيد التنفيذي ، خطوة كبيرة الى الأمام ، في بدء المناورات المشتركة بين سلاحي الجو الاميركي والمصري (١٠ تموز (يوليو) التي أجرتها طائرات السلاحين من طراز ف ـ ٤ فوق قاعدة « القاهرة ـ غرب » . وهي مناورات من المقرر أن تستمر ٩٠ يوماً ، وتتضمن ، الى جانب التحليقات المشتركة ، تدريبات بالذخيرة الحية . وقد وصف الرئيس المصري أنور السادات نفسه هذه المناورات بأنها « تدريب على تكتيكات المعركة وللتكيف مع أجواء الشرق الأوسط » . لكن الأهم من هذا ما قاله الكولونيل ايد ريديكا ـ من السلاح الجوي الأميركي ـ ان « مستوى التنسيق بين البلدين [الولايات

المتحدة ومصر] ، في الأشهر الثلاثة المقبلة ، يفوق اي معدل وصل إليه التعاون بين سلاحي الجو الأميركي والاسرائيلي » («**وكالات الأنباء** » . ١٠ / ٧ / ١٩٨٠ .

والواقع ان استجابة النظام المصري للاستراتيجية الأميركية الجديدة في الشرق الأوسط ، تمثل أقصى الاستجابات المواتية من « حلفاء » الولايات المتحدة في المنطقة . بخاصة منذ أن أعلن الرئيس السادات انه مستعد لمنح كافة التسهيلات للولايات المتحدة للتصدي لأي خطر في الخليج . وكذلك اعلانه اللاحق ، في حديث مع صحيفة « **واشنطن بوست** » (٢٥/٥/١٩٨٠) انه طلب من الولايات المتحدة أن ترسل مقاتلاتها من طراز ف ـ ١٥ وغيرها من الاسلحة المتطورة لترابط بصورة دائمة في مصر ، كي تسلم فوراً الى القوات الأميركية في أوقات الأزمات في الشرق الأوسط . وقال السادات في هذا الحديث : « حالما تختارون المجيء ارسلوا قواتكم بدلاً من ان تضطروا لخطوط تموين واتصالات طويلة » .

وبصدد استجابة مصر ، التي تشكل الحد الاقصى من التعاون مع الاستراتيجية الأميركية الجديدة في المنطقة ، فقد نسب الى « مصادر دبلوماسية عليمة في القاهرة » ان الحكومة المصرية تلقت مؤخراً عدداً غير معروف من الصواريخ الأميركية من طراز « بيرشنغ » ، وذلك ضمن حمولة الجسرين الجوي والبحري الأميركيين اللذين حملا الى الموانىء المصرية الاسلحة والمعدات اللازمة للمناورات التدريبية المشتركة بين سلاحي الجو المصري والأميركي .

وان صح هذا النبأ فإنه يكسب الاستجابة المصرية دلالة خاصة ، حيث يؤكد على الأقل ، رغبة الولايات المتحدة في أن تقول لمعارضي وضع صواريخ « بيرشنغ » في أوروبا الغربية ـ حتى لا تكون هدفاً لضربات انتقامية سوفياتية ـ إن هناك « حلفاء بديلين » غير بعيدين ، بأي حال ، عن أوروبا ولا عن الأهداف السوفياتية . أما ، على الأكثر ، فان ارسال صواريخ « بيرشنغ » الى مصر يمكن أن يعني أن الولايات المتحدة قررت نهائياً العودة الى استراتيجية احاطة الاتحاد السوفياتي بسلسلة قواعد قريبة ، ومدّ نطاق مظلة حلف الأطلسي كي لا يقتصر على اوروبا الغربية ، وبخاصة بعد كل ما أبدته وتبديه أوروبا الغربية من معارضة لرأي الولايات المتحدة ، ومن رغبة في الاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية . وبصفة أخص ازاء اقتناع « الحلفاء » الأوروبيين بأن سبيل الاستقرار في الشرق الأوسط سياسي ... وأن هذا السبيل السياسي يحمل عنواناً رئيسياً هو : « ايجاد حل للمسألة الفلسطينية ضمن تسوية شاملة في الشرق الأوسط » .

اكن إن كانت مصر تشكل النقطة القصوى لتأييد الاستراتيجية الاميركية الجديدة في الشرق الأوسط ، فإن استجابات غيرها من « حلفاء » الولايات المتحدة في المنطقة ، في بعض الأحوال ، أدنى من ذلك ، بكثير . فالاسرائيليون لا يبدون ارتباطاً كاملاً ، فهم يعتبرون أنهم فقدوا تفردهم بالعلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة . كما أنهم يشاركون في الخوف من أن تكون الاستراتيجية الاميركية الجديدة مجرد مزايدة انتخابية ، أو مظاهرة استعراضية لتهدئة خواطر النظم والحكام الذين أفزعهم عجز الولايات المتحدة إزاء سقوط نظامها في ايران ، وازاء هزيمة الصومال على ايدي اثيوبيا (الماركسية) . ثم ازاء دخول السوفيات الى أفغانستان . ويشكو الأميركون من أنهم لا يجدون استجابات مؤاتية ، بصورة كافية ، من كثير من أصدقائهم في المنطقة ، ممن يفضلون الحصول على امتيازات المظلة العسكرية الاميركية ، على ان تظل ركيزتها بعيدة حتى لا يسمح أي وجود عسكري أميركي مباشر في زيادة حالة عدم استقرار داخلي ، بدلاً من أن يساعد هذا الوجود على تحقيق مثل هذا الاستقرار . وليس بعيداً عن جو عدم الثقة بقُدُرات الولايات المتحدة ، في نظر « حلفائها » في المنطقة ، شعورُهم بعجزها عن « البلوغ بعملية السلام الأميركية في المنطقة الى غاية نهائية » . سواء لضعفها أمام اسرائيل أم لعدم اهتمامها بازاحة الحرج الذي يتعرض له هؤلاء « الحلفاء » من وراء استمرار الولايات المتحدة في دعم اسرائيل على طول الخط .

ان الشك في قدرة « الخيار العسكري » لدى الولايات المتحدة يصل الى حد التحذير من أن هذا الخيار نفسه ـ مهما كانت عواقبه العسكرية ، نجاحاً أو فشلاً ، يمكن « ان يوحد الشرق الأوسط في نزعة عداء عنيف للغرب ... ما لم يظهر أن هذا الخيار لا يحمي المصالح الغربية وحدها ، بل يحمي أيضاً أمن الخليج نفسه » . (« **المسح الاستراتيجي** » ، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ، ١٩٧٩)

أكثر من هذا ، إن لجوء الولايات المتحدة ـ متأخرة في نظر « حلفائها » الى الخيار العسكري إنما يؤكد شعورها بأنها لا تملك خيارات أخرى للتأثير على مجريات الأمور في المنطقة كتلك الخيارات التي يملكها الاتحاد السوفياتي ، والتي تملكها « القوى المعادية للمصالح الأميركية في المنطقة » على اختلاف الوانها وظلالها ، من الشيوعيين الى « الخمينيين » .

إذن فنحن أمام معادلة بسيطة بالفعل ـ على قدر تعقد الواقع الذي تعبر عنه ـ وهي أن الولايات المتحدة قد وجدت نفسها أمام « الخيار العسكري » بلا خيارات أخرى . فهي لم تستطع أن تفرض ، من خلال أي خيار آخر ، نظام كامب ديفيد القائم في أساسه على خيار « المفاوضات المباشرة » (أي الأسلوب السلمي) ، وهي أيضاً لم تستطع ان تنال ثقة وتصديق الاطراف الحليفة لها ، في المنطقة وخارجها ، في كيفية مواجهتها للتطورات الحادة . مثل ايران وأفغانستان ، وهي لم تستطع ، أصلاً ، وبواسطة خيارات غير « الخيار العسكري » أن تحافظ على النظم والاوضاع التي تضمن استمرار « مصالحها » ؛ وايران خير مثل على ذلك

ويصبح الطرف الآخر ، الخفي ، من المعادلة أن الولايات المتحدة تريد ، من خلال « الخيار العسكري » ، لا أن تواجه الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي ، انما تريد ان تفرض بالقوة العسكرية (ربما بمجرد وجود هذه القوة العسكرية دون استخدامها ، وربما باستخدام هذه القوة فعلياً) نظام كامب ديفيد للسلام على الاطراف التي تقبله سلمياً ، أو التي عجزت لأسباب داخلية عن قبوله .

يعني هذا ، بتعبير أكثر مباشرة ، أن « الخيار العسكري » الذي تمثله الاستراتيجية الاميركية الجديدة في الشرق الأوسط واداتها (قوة التدخل السريع) موجَّه ، في الأساس ، ضد القوى الكامنة في المنطقة التي تعتبرها الولايات المتحدة قوى غير مؤاتية لمصالحها . وبهذا المعنى لا يكون « الخيار العسكري » سوى عودة إلى سياسة فرض النظم السياسية ـ الاقتصادية ـ الاجتماعية التي تخدم المصالح الخارجية ، بمواجهة ، ضد القوى الداخلية التي لا تتطابق مصالحها مع تلك المصالح الخارجية . إذن فالمواجهة ليست مع الاتحاد السوفياتي ، انما هي مواجهة مع القوى المحلية التي يمكن ان « تهدد » المصالح الأميركية والمصالح المرتبطة بها... اي مع شعوب المنطقة وقواها الثورية والتحررية .

قد تتطلب هذه المواجهة اثارة حروب « ذرائعية » في المنطقة تتمكن خلالها « قوة التدخل السريع » من اداء دورها في تثبيت نظم ، وحماية حكومات ، أو العمل لاسقاط نظم والتأمر على حكومات ؛ ولكن هذا لا ينفي الطابع الأساسي للاستراتيجية الأميركية في توجهها الجديد في المنطقة ؛ وهو التوجه لمنع تكرار ثورة ايران، وبخاصة حيث تسود اوضاع شبيهة بتلك التي أدت الى ثورة ايران ، والى سقوط الشاه . ومن هنا المفهوم القائل ان قوة التدخل السريع هي « قوة رادعة » اكثر منها قوة للتغلب على الخطر بعد وقوعه . ومن هنا أيضاً القول بأن الأهداف الرئيسية لتقسيم العمل بين أطراف « كامب ديفيد الثلاثة ـ الولايات المتحدة واسرائيل ومصر ـ « هي الحيلولة دون انتشار الخمينية ، ودون تقدم الشيوعية في اعقابها » .

ولهذا فإن كل « حليف » للولايات المتحدة ، في المنطقة ، تقاس درجة تأييده للاستراتيجية الاميركية الجديدة وحماسه للاشتراك فيها بدرجة حاجته إلى وقف « الخطر الداخلي » (سواء سُمِّيَ هذا الخطر خمينية أو شيوعية) . ولهذا يبدو نظام السادات في المقدمة ، تليه اسرائيل التي تبدي حرصاً مطلقاً على ان تصور للرأي العام العالمي (الاميركي بخاصة) أن الثورة الفلسطينية وهدفها ـ اي الدولة الفلسطينية المستقلة ـ هما الخطر الخميني والشيوعي معاً . ويقل بعد ذلك ـ حماس (نظم) أخرى في المنطقة لأنها تشعر بأن الوجود العسكري الاميركي ـ بحجمه وحدوده ـ يقرب الخطر أكثر مما يبعده . ومع ذلك فإن ما يجمع بين المتحمسين للاستراتيجية الأميركية الجديدة والأقل حماساً لها ، في الشرق الاوسط من الخليج العربي ، هو التسليم بفرضية أساسية تقوم عليها هذه الاستراتيجية ، وهي ان الخطر الوشيك هو خطر الثورة ، وان الخطر الآجل هو خطر الصهيونية . وهي الفرضية نفسها التي تأسست عليها سياسة نظام أنور السادات بعد الانتفاضة الشعبية في مصر ، اوائل العام ١٩٧٩، ففتحت الطريق في أواخر العام نفسه امام زيارة القدس ، ثم اتفاقات « كامب ديفيد » فمعاهدة واشنطن المصرية ـ الاسرائيلية . وأخيراً « المناورات المشتركة » ضد الخطر المشترك . ضد الثورة .

سمير كرم

يصدر قريباً
عن مركز الابحاث

تاريخ الطبقة العاملة الفلسطينية
١٩١٨ - ١٩٤٨

تأليف
عبد القادر ياسين

صدر حديثاً
عن مركز الابحاث

القضية الفلسطينية في ايديولوجية
البورجوازية اللبنانية
مدخل الى نقض الفكر الطائفي

تأليف
مهدي عامل

٢٥٤ صفحة

الثمن ١٣ ل.ل.

Palestine Affairs

No. 105, August 1980

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 ($ 24) ; other Arab countries - L. L. 75 ($ 30) ; Europe - L. L. 100 ($ 40) ; elsewhere - L. L.125 ($ 50) .

Surface Mail : L. L. 65 ($ 26) .

الثمن :
٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلسًا في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الإمارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٧٥٠ درهمًا في ج.ع.ل
٧٥٠ درهمًا في المغرب